دراسات حول المدينة المنورة
(٩)

# أخبار الوادي المبارك
## العقيق

تأليف
محمد محمد حسن شُرّاب

مكتبة دار التراث
المدينة المنورة - ص.ب ٢٨٨٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم


أخبار الوادي المبارك
العقيق

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

سمحت بطبعه وتوزيعه في المملكة العربية السعودية إدارة المطبوعات في المدينة المنورة بالخطاب رقم ٩٦٣/ م/ ٣/ بتاريخ ٢/ ١٢/ ١٤٠٤ هـ.

روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول: «أتاني الليلة آتٍ من ربي فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك وقل عمرةٌ في حجةٍ».

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهـداء

قال عليه الصلاة والسلام: «إذا مات الإنسان انقطع عملُه إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له» وأُشهد الله أني ما أردتُ من تأليف هذا الكتاب إلا رضوان الله ونفعَ المسلمين لأكون الولَد الصالحَ، وقد أسلفتُ من الأعمال ما أتقرب به إلى الله في الدعاء أن يرحم الله والديّ «وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً».

فإلى والديّ ـ رحمهما الله ـ أهب ما ينالني من دعوات القُرّاء.

وإلى من حملت السكينةَ إلى قلبي وأشاعت في بيتنا مودةً ورحمة؛ أم أولادي . . .

وإلى ولديّ أحمد وكوثر راجياً أن يكونا ولدين صالحين يدعوان لي بعد انقطاع عملي.

ومن الله أرجو القبول.

**محمد محمد حسن شراب.**

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم

**بقلم الدكتور: محمد العيد الخطراوي**

منذ أكثر من عشر سنوات تقريباً، راودتني فكرة الكتابة عن وادي (العقيق) وما يتصل به من أخبار وأشعار، ثم قرأت في الفهرست لابن النديم أن للزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ستّة كتب عن المدينة، منها: (أخبار العقيق)، فصرفت النظر عن الكتابة في الموضوع، وجعلت همي الحصول على مخطوطة ابن بكار، بسؤال المهتمين بالتراث تارة، وبالبحث في فهارس المخطوطات بالمكتبات الشهيرة في العالم الإسلامي تارات، فلم أعثر ـ مع الأسف ـ على شيء من ذلك إلى الآن.

ولما بدأت في إصدار هذه السلسلة: (دراسات حول المدينة المنورة)، عاودتني الفكرة ـ أعني فكرة الكتابة عن العقيق ـ مرة أخرى، وألحت عليّ أيما إلحاح، ولكنني أرجأت التنفيذ إلى حين، فإن فترة ازدهار العقيق ـ كما سترى في هذا الكتاب ـ إنما كانت في صدر الإسلام وعصر بني أمية، وما كان لي أن أعمد إلى الكتابة عنه قبل الكتابة عن المدينة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وبعد أن أنهيت الحديث عن تينك الفترتين، تهيأت بالفعل لتحقيق الفكرة، ورجعت إلى جذاذاتي التي جمعتها من قراءاتي حول العقيق، أنفض عنها الغبار، وأعدها بالرحلة، ولكنني سعدت بأخي الأستاذ محمد محمد شُرّاب، يبشرني بأنه قد انتهى من الكتابة في الموضوع، فقطعتْ جهيزة قول كل خطيب. وليس هذا بغريب عن رجل مثله، نذر نفسه للعلم، وأعطى وقته

وجهده للبحث، فقد سبق لـه أن اشترك في هـذه السلسلة بكتابـة: (المدينة في العصر الأموي)، ولا عطر بعد عروس، فقد قام عني وعن غيري - جزاه الله خيراً - بواجب كان ينبغي القيام به منذ زمن بعيد، وسدَّ ثغرة في تاريخ المدينة بفكر ثاقب وأسلوب رصين، وورث مجد الزبير بن بكار وخلفه في تقديم أخبار العقيق، وزاد عليه أشواطاً بما ضمه إليها من أخبار جاءت بعده، فجاء كتابه بحمد الله ضافياً وافياً فريداً في بابه، يحتل في عقد هذه السلسلة المباركة مكان الواسطة، ويحوز الإعجاب وينتزع التقدير.

وأغتنم هذه الفرصة لأشكر أخي الأستـاذ محمد شـرّاب باسمي وباسم قراء هذه السلسلة على إسهامه الرائـع وجهده النبيـل.. والله الموفق؟

**الدكتور محمد العيد الخطراوي**
**المدينة المنورة ٣٠/ ٣/ ١٤٠٥ هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقـــدّمَة

كانت لوادي العقيق ـ بالمدينة المنورة ـ حضارة سادتْ ثم توارتْ عن الأنظار وما بادتْ، ونرجو أنْ ينقشع عنها ما حجبها عن الأنظار، هذا هو الدافع الأول إلى الكتابة في موضوع العقيق.

لأن ذكراه بقيتْ سائدة بين الجوانح ورسومَه شاخصةٌ أمام العين، وبقاعَه على الأرض، كلّ شبر فيها ينطق وينادي: هنا كان فلان الجواد، وهنا اجتمع أعلام المدينة، وهنا كان الشاعر وهو ينشد. وليس صعباً على الإنسان العربي المسلم أن يعيد ما كان، ويجعله كائناً ما دامت السيرةُ حيةً في النفس والتاريخ الصادق يتكلم عن الأعمال والطريق واضحة المعالم.

إن للعقيق سحراً غريباً يستولي على كل مَنْ قرأ تاريخه، فأخباره مُبهجة وقَصَصه يستولي على القلوب، وسيرةُ أهله تملأ الأعطاف بالفخر وكأن كلَّ واحد من أهله من أهلك الأدنين.

أخباره تملأ عليك الدروب، إن قرأت سيرة الصدر الأول أو قرأت أخبار الخلفاء والأمراء والأجواد، ويزين اسمه قصائد الشعراء فيكون اسم العقيق في كل قصيدة بدر التمام لا يُرى في السماء إلا ضوءه ويتوارى بمطلعه كل نجم.

ومنذ أن باركه الرسول ﷺ وهو غُرة الأعقة ومنبت الخير وأهزوجة

الركبان، فحوى تاريخ مجد زاهرٍ وسيرةَ علماء وترانيم شعراء وأخلاق قوم نجباء فطبق ذكره الآفاق.

وأصبحت دراسة تاريخ العقيق ضروريةً لمن يقرأ في تاريخ الحضارة الإسلامية وخصوصاً تاريخ المدينة.

ولهذا خصه الأقدمون بالتأليف وأفردوا له الكتب. ومن هؤلاء الزبير بن بكّار المتوفى سنة ٢٥٦هـ، وهارون بن زكريا الهجري من أهل القرنين الثالث والرابع الهجريين. ولكن الكتابين لم يصلا إلينا وإنما عرفنا وجودهما من النقول التي وجدناها في كتب مؤرخي المدينة.

وكان العقيق أحد المعالم الرئيسية التي لا بدّ أن يعرّف بها كلّ من ألَّف في تاريخ المدينة ومنهم مَنْ مَرَّ بهذا المعلم سريعاً ومنهم من خصص له فصولاً. وكان السمهودي في كتابه «وفاء الوفا» أكثر المؤرخين عنايةً بالعقيق حيث خصص له حوالي سبعين صحيفة من كتابه.

وربما كان ذلك لأنه التزم التفصيل في تأليفه وكان كتابه أوسع الكتب التي وصلتنا. وأما الكتب الأخرى(١) فقد كانت موجزة في النواحي الجغرافية مفصلةً فيما يخص المسجد النبوي وآثار الرسول ﷺ.

وفي العصر الحديث قام بعض الباحثين بالتأليف في تاريخ المدينة وآثارها، وخصوا العقيق ببعض جهدهم، ومن هؤلاء المرحوم عبد القدوس الأنصاري في كتابه «آثار المدينة»، والمرحوم إبراهيم العياشي في كتابه «المدينة بين الماضي والحاضر». وقام الأستاذ حمد الجاسر بجمع ما وجده مفرقاً من آراء أبي علي الهجري حول معالم العقيق وغيره من الأماكن وضمنها كتابه «أبو علي الهَجَري وأبحاثه في تحديد المواضع».

وكأني بقارىء تاريخ المدينة يأمل أن يجد كتاباً مستقلاً تحت

---

(١) انظر المراجع.

عنوان «العقيق» ليلقي بجانبه عصا التسيار والتجول في الكتب الكثيرة التي ترد فيها أخبار العقيق.

فرأيت أن أحقق هذا الأمل، وقمتُ بالتفتيش والنبش في كتب التاريخ والتراجم وكتب الأحاديث الشريفة والفقه ودواوين الشعراء وكتب الأدب وجمعت كثيراً من أخباره وأفردت لها هذا الكتاب.

وإذا لم أحقق الأمل كاملاً ولم يرو هذا الكتاب الظمأ كلَّه ولم يسمُ إلى تطلعات الأماني فحسبي أنني أحييت الموضوع وأفردته بالعنوان وجعلته موضوعاً مستقلاً جديراً بالبحث.

وأنا أعترف بأن ما جاء في هذا الكتاب يقبل النقد والنقض، ويستقبل آراء الباحثين لاستدراك ما فات وتصحيح السقطات وجبر النقص، لعل مؤلفه يستفيدُ من ملاحظات الناقدين فيزيد عليه أو ينقص منه ويحقق أخباره، ولعل باحثين آخرين يتخذونه موضوعاً للدراسة لإكمال النقص ولجمع ما شرد عليَّ من أخباره. فأنا لا أدعي أن هذا العمل وصل إلى تمامه، ولا أدعي أنني جمعت كل ما في بطون الكتب من أخبار العقيق.

فما عسى أن يأتي به تلميذٌ في موضوع لم يتصد له إلا جهابذة العلماء في القديم، وهناك جلة من العلماء والباحثين هم أقدر مني على هذا العمل، ولكن العمر محدود والعمل كثير، وليس في وقتهم فسحة، فجعلت عملي هذا بحثاً يقدمه تلميذٌ إلى أستاذه ليصححه وينقحه ويدله إلى الطريق الفضلى وهذا هو المأمول.

وقد قسمت هذا البحث على فصول:

**الفصل الأول**: «مبتدأ العقيق» وجمعت فيه ما قيل عن اسم العقيق وأعقة الحجاز السبعة. واتفق العلماء على أن مبتدأ عقيق المدينة: «النقيع» وكان في النقيع حمى رسول الله ﷺ، فتحدثت عنه وعن أبرز

المعالم، وأتبعت كل معلم ما ورد فيه من الأخبار والأشعار.

**الفصل الثاني**: وسميته العقيق الأقصى لأن أكثر العلماء يرون أن عقيق المدينة عقيقان: العقيق الأدنى من المدينة وعقيق آخر بعيد، وسميته الأقصى ليكون مميزاً من الأدنى. وقد تحدثت عن أبرز المعالم في طريق الوادي وذكرت ما ورد فيها من الأخبار والأشعار.

**الفصل الثالث**: العقيق الأدنى وهو القريب من المدينة، وهو انوادي المبارك الذي صار ذكره على كل لسان وتغنى باسمه الشعراء.

**الفصل الرابع**: تاريخ وادي العقيق.

ورتبت فيه ما وجدتُ من أخبار العقيق منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي الأول.

**الفصل الخامس**: عمران العقيق.

وتحدثت فيه عن قصور العقيق وأخبار أهلها وقصص سكانها، وتحدثت عن الفن المعماري ومادة البناء، وناقشت أسباب زوال قصور العقيق.

**الفصل السادس**: العقيق بين الضلوع.

وتحدثت فيه عن منزلة وادي العقيق في نفوس الناس وسبب إقبالهم عليه. وأثر العقيق على الحياة الأدبية، وذكرت بعض ما قيل في معالمه من الأشعار، وبينت سبب حنين الشعراء إليه.

**الفصل السابع**: مجتمع العقيق.

ودرست فيه مجتمع العقيق ومجتمع المدينة، وناقشتُ ما صدر من الأحكام الاجتماعية في كتب الأدب، وبينت مصادر الأحكام الصحيحة على مجتمع المدينة، لأن كتب الأدب أساءت إلى مجتمع العقيق وقدمته في صورة مشوهة.

وختمت الفصل بدراسةٍ اقتصادية عن أرض العقيق وجغرافيته ومنابع الخير فيه.

**الخاتمة**: وكانت عن عودة العمران إلى العقيق في العصر الحديث، وإلهامه الشعراء القصائد الرقيقة التي تذكر بما له من تاريخ عاطر.

أرجو الله أن يجعل عملي نافعاً مقبولاً وهو الهادي إلى الرشاد.

**محمد محمد حسن شراب**

**المدينة المنورة**

# أين تقع مسارح أخبار هذا الكتاب؟

يضع هذا الكتاب أخبار وادي العقيق بين يديك أيها القارىء. وإذا كنتَ في المدينة وأردت أن تعرف بعض المواطن التي كانت مسرحاً لما في هذا الكتاب من الأخبار في ضواحي المدينة المنورة، فإن أمامك عدداً من الطرق:

١ ـ الطريق الأولى: طريق الجامعة الإسلامية ومستشفى الملك فهد، فمنذ أنْ تصعد الثنية في أول طريق سلطانة تجد نسيم العقيق أول ما يقابلك، فإذا هبطت من الثَّنية ومشيتَ قليلاً في الطريق كان على يمينك حيّ (النصر) وحي (العيون) وهما يشرفان على وادي العقيق في نهايته. وقبل أن تصل إلى المَفْرق تكون بئر عثمان على يمينك (بئر رومة). وعند المفرق تجد ثلاث طرق:

الأولى: تتجه إلى المستشفى (المؤدية إلى تبوك والأردن) فإذا مشيتَ فيها كانت بئر رومة والجرف على يمينك وعرصة العقيق على يسارك.

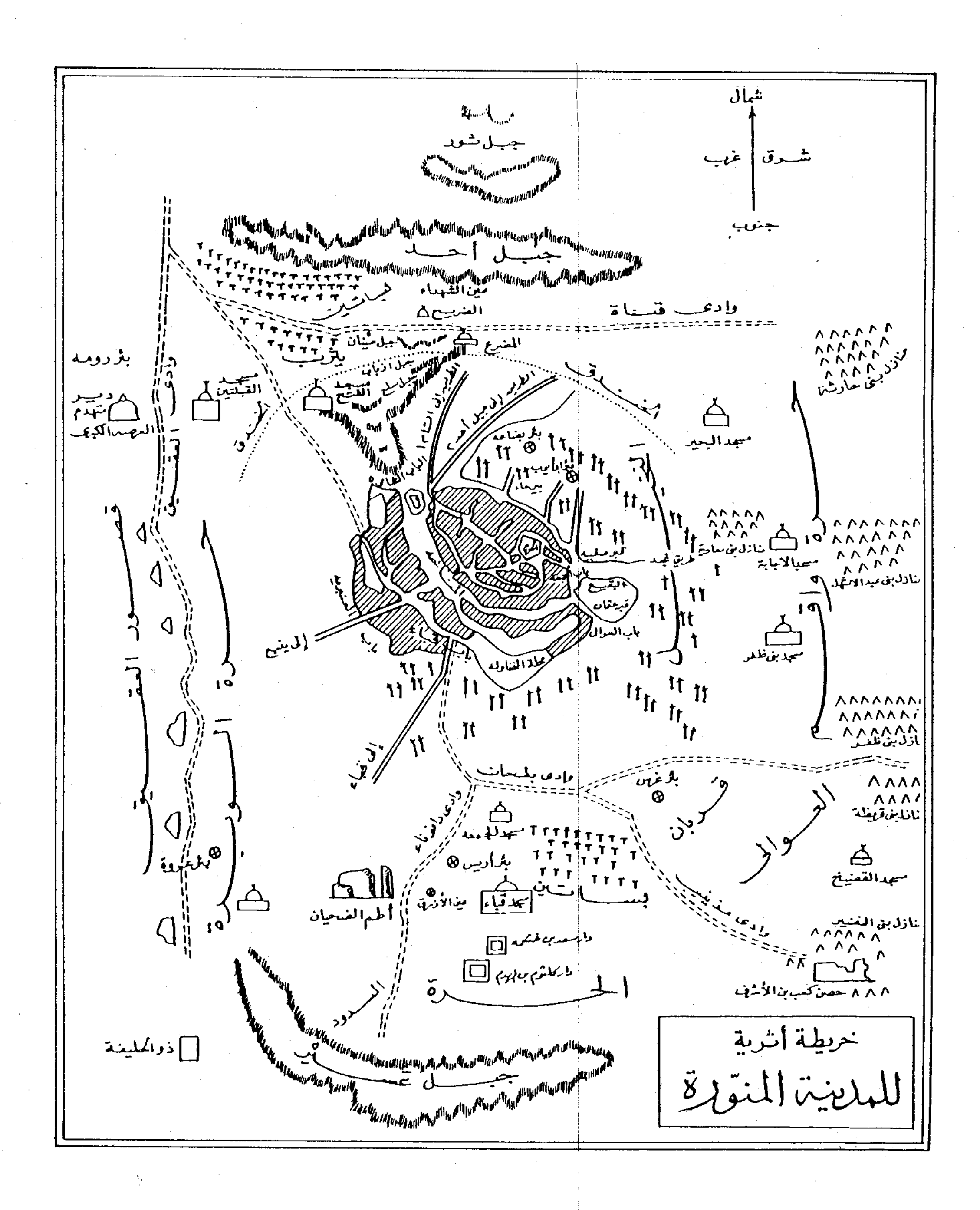
والطريق الثانية: تستقيم متجهةً إلى الجامعة الإسلامية وكل شبر من هذه النواحي في قلب العقيق. أما الطريق التي تتجه من المفرق إلى اليسار فهي تؤدي إلى مسجد القبلتين وهو على شفير وادي العقيق، ثم تأخذك الطريق إلى (العنابس) وهي من العقيق.

٢ ـ طريق العنبرية: وبعد مسجد العنبرية بأكيال تصعد حرة الوبرة ثم تهبط إلى جسر عروة فوق وادي العقيق فإذا قطعت الجسر كان وادي العقيق على يسارك والجماء على يمينك فإذا وصلتَ إلى آبار عليّ (ذي الحليفة) وصلّيتَ في مسجدها فأنت تصلي في العقيق حيث صلى رسول الله ﷺ.

٣ ـ طريق الهجرة: ويبدأ من قباء وبعدْ المسجد بقليل يكون وادي العقيق على يمينك إلى أن تنتهي من ذي الحليفة (محرم الحاج).

هذه بعض المرابع التي شهدت أخبار هذا الكتاب وقد أفرد لها القدماءُ كتباً ولكنها لم تصلْ إلينا فجمعتُ شتاتَ ما تفرق منها ليعرف القارىء العربيُّ مسارح أمجاده وأمجاد مسارحه. وقد قال الشاعر:

هـذا الأديم كتـابٌ لا كفـاء لـه ... رثُّ الصحـائف باقٍ منـه عنـوان




«عن الأطلس الجغرافي التاريخي»

من إعداد الدكتور عبد العزيز الخويطر، وزملائه ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤ م

# الفَصْل الأوَّل

## «مبتدأ العقيق»

* لماذا سُمّي العقيق؟
* أعقة الحجاز السبعة.
* حدود وادي العقيق.
* مبتدأ العقيق (من النقيع).
* النقيع ومعالمه.
* حِمَى النقيع: في اللغة والاصطلاح.
  تحديد المكان.
  صفة حِمَى النقيع.
  من تاريخ حِمَى النقيع.
* معالم أخرى بارزة في النقيع.
* النقيع ومعالمه في الشعر العربي.

# لماذا سُمّي العقيق؟

يقول المؤرخون[1]: إن أولَ من أطلق اسم العقيق على وادي المدينة، هو تبّع اليماني[2] عندما قدم المدينة، ومرَّ بوادي العقيق، فقال: هذا عقيق الأرض فسمي: العقيق. ولم يذكروا العلة في اختيار تُبّعٍ هذا الاسم لوادي العقيق.

ولكننا لا نستطيع الاعتماد على روايات هؤلاء المؤرخين، لأن تاريخ قوم تبّع مجهول التحديد وأخبار زيارة تبعٍ للمدينة ليس لها نقل ثابت يُعتمد عليه.

---

(١) انظر «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة» لأبي بكر حسين المراغي المتوفى ٨١٦ هـ و «معالم طابة» للفيروز أبادي. و «وفاء الوفا» للسمهودي.

(٢) «تبع» لقب، وليس اسماً. ويطلق على مجموعة من ملوك اليمن، كما يطلق على ملوك الحبشة النجاشي وملوك الفرس: كسرى. ويقال إن تبعاً الذي قدم المدينة لإعانة أهلها على اليهود هو «تبع بن حسان» آخر التبابعة «المعارف لابن قتيبة». وهم من نسل سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقد خرّب الله بلادهم وشردهم في البلاد عندما أرسل إليهم سيل العرم. فذهب قوم إلى يثرب، وآخرون إلى الشام وتفرق قوم منهم في اليمن وكونوا دولة التبابعة (انظر تفسير سورة سبأ، وسورة الدخان، وسورة ق).
ولم يحدد زمان سيل العرم وتفرق سبأ. والذي يفهم من القرآن أنه كان بعد هلاك ثمود وعاد. قال تعالى: ﴿أهُمْ خير أم قوم تبّع والذين من قبلهم﴾.
قال المفسرون: «المقصود بالذين من قبلهم عاد وثمود وأضرابهم» ولم يُعرفْ لأحد من ملوك التبابعة تاريخ دقيق على وجه التحديد وأخبارهم مضطربة ولذلك قال ابن حزم في «الجمهرة»: وفي أنساب التبابعة اختلاط وتخليط وتقديم وتأخير ونقصان وزيادة ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلا طرف يسير».

وفي بلاد العرب عددٌ من الأودية يُطلق عليها اسم العقيق[1]: منها: عقيق اليمامة ومنها: عقيق البصرة. ومنها: قرية بالطائف تسمى العقيق، ومنها عقيق «القِنَان» تجري فيه سيول قُلَلِ نجد وجباله[2].

وقد أكثر الشعراء من ذكر اسم «العقيق» دون تقييد، مما يدل على كثرة الأماكن التي تسمى بهذا الاسم. منها ما ذكره الحارث بن حلزة في معلقته التي مطلعها:

آذنَتْنا ببينها أسماءُ  رُبَّ ثاوٍ يُملُّ منه الثَّواءُ

وفيها يقول:

وبعينيك أوقدتْ هندُ النا  رَ أصيلاً تُلوي بها العلياءُ[3]
أوقدتْها بين العقيق فشَخْصيـ  ـن بعُودٍ كما يلوحُ الضياءُ[4]

وقال أعرابي:

أيا سَرْوَتي وادي العقيق سُقيتما  حَيَاً غضَّةَ الأنفاس طيبةَ الوِرد

وإذا كان تبّع هو الذي وضع الاسم لوادي العقيق في المدينة،

---

(١) معجم البلدان (العقيق).

(٢) وقال البكري في «معجم ما استعجم» هما عقيقان: عقيق بني عقيل، ومن أوديته «قوّ» وفيه دُفن صخر أخو الخنساء، فقالت ترثيه:

وقالوا إن خير بني سُليم  وفارسهم بصحراء العقيق

وهو على مقربة من عقيق المدينة ص ٩٥٢.. قال عاتق بن غيث البلادي في «معجم معالم الحجاز» في هذه الرواية خطآن: أحدهما أن عقيق بني عقيل ليس قريباً من عقيق المدينة ولكنه بعيد في جنوب نجد، وكان يُسمى أيضاً «عقيق تمرة» وهو وادي الدواسر اليوم، و«تمرة» لا زالت معروفة هناك. والثاني: قوله دفن فيه صخر وصخر دفن في ديار بني سليم، ولعله في العقيق الشرقي.

(٣) قوله بعينيك، أي برأي عينيك. تلوي بها العلياء: ترفعها وتضيئها له. والعلياء: المكان المرتفع، ويريد به العالية، وهو اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمايرها إلى تهامة (معجم البلدان، وشرح المعلقات للتبريزي).

(٤) شخصان: قال ياقوت: موضع. ويقال: أكمة لها شعبتان في شعر ابن حلزة وقوله: بعود: أراد العود الذي يتبخّر به.

فمن الذي وضع الاسم للأودية الأخرى؟[1].

إن تعدد اسم «العقيق» في بلاد العرب، دليل على وجود صفة أو صفات مشتركة بين هذه الأمكنة، جعلت العرب يطلقون اسم «العقيق» على كل مكان اتصف بهذه الصفات. فما الذي يجمع بين أودية العقيق كلّها؟

في معاجم اللغة نجد قسماً كبيراً من مادة «عقق» تدل على «الشق» حقيقة أو مجازاً. فقال في لسان العرب:

عقه يعقّه عقاً فهو معقوق وعقيق: شقه. والعقيق: وادٍ بالحجاز كأنه عُقَّ أي: شُقَّ. غلبت الصفة عليه غلبة الاسم ولزمته الألف واللام لأنه جُعل الشيء بعينه في الأسماء الأعلام التي أصلها الصفة كالحارث والعباس. والعقّ: حَفْر في الأرض مستطيل سُمي بالمصدر. ويقال: عقت الريحُ المزنَ: إذا استدرته كأنها تشقه. وسحابة معقوقة إذا عقت أي تبعجت بالماء. ويقال: سحابة عقّاقة: منشّقة بالماء.

وَعقَّ والده: شق عصا طاعته. وعق والديه: قطعهما ولم يصل رحمه منهما. وفي المثل: أعق من ضب: يُراد به الأنثى لأنها تأكل أولادها.

وفي الحديث: إنه ﷺ نهى عن عقوق الأمهات وهو ضد البِرّ، وأصله من العق وهو الشقّ والقطع.

والعقيقة: الشعر الذي يولد به الطفل لأنه يشق الجلد. قال امرؤ القيس:

---

(١) قال الأستاذ الجاسر: «كثيراً ما تُعلل الأسماء بأسماء أُناس وبخاصةٍ في المواضع التي لا يتضح اشتقاقها اللغوي ولهذا يلجأ بعض القصاصين كابن الكلبي إلى نسبتها إلى أناس قدماء وقد يكونون مجهولين. وقد علل ابن الكلبي أسماء كثيرة من المواضع بين مكة والمدينة بنسبتها إلى تبع وهو تعليل باطل» (معالم طابة في الحاشية/ ص/ ١٣٦).

يـــا هـنــدُ لَا تنكحي بُــوهــةً   عليــه عـقـيـقـتُــه أحْــســبـــا[1]

وقال صاحب القاموس: وكل انشقاق، انعقاق. وكلّ مسيل شقه ماء السيل فهو عقيق. وهي أعلام على أماكن، بالمدينة واليمامة والطائف وتهامة ونجد وستة مواضع أخر.

وقال: والعقيق واحدته عقيقة: خرز أحمر يكون باليمن وبسواحل بحر رومية، منه جنسٌ كدرٌ كماءٍ يجري من اللحم المملّح وفيه خيوط بيض خفية.

وهكذا نجد في مادة «عقّ» معنى الشقّ، ونجد اللون الأحمر في أحد أسمائها. وقد رجّح العلماء معنى الشقّ. فنقل ياقوت في معجمه عن أبي منصور: إن العرب تقول لكل مسيل ماء شقّه السيلُ في الأرض فأنهره ووسعه: «عقيق».

قال: وفي بلاد العرب أربعة أعقّة وهي أودية عاديّة شقتها السيول. وقال الأصمعي: الأعقة: الأودية.

وقال الفيروز أبادي[2]: ظهر لي أن في بلاد العرب سبعة أعقة، جمع عقيق، وهي في أصل اللغة: أودية عالية شقتها السيول

وقال الزبير بن بكار[3]: سألت سليمان بن عياش السعدي، لم سُمي العقيقُ عقيقاً؟ قال: لأن سيله عق في الحرة. قال الزبير: «وكان

(١) البوهة: طائر يشبه البومة. والأحسب: الأسود. يريد أنه لا زال طفلاً. قال في اللسان: ويقال للصبي إذا نشأ مع حيّ حتى شب وقوي فيهم، عُقّتْ تميمتُه في بني فلان. والأصل في ذلك أن الصبي ما دام طفلاً تعلق أمه عليه التمائم. فإذا كبر قُطعت عنه. وهي عادة جاهلية حرمها الإسلام.

ومنه قول الشاعر:

بــلاد بهــا عَقَّ الـشبــابُ تـمـيـمتي   وأولُ أرضٍ مسَّ جــلدي تــرابُــهــا

(٢) معالم طابة/ ٢٦٦.

(٣) الزبير بن بكار من أحفاد الزبير بن العوام، عالم بالأنساب وأخبار العرب، ولد في المدينة، وولي قضاء مكة، توفي سنة ٢٥٦ هـ (تهذيب التهذيب).

سليمان من أفقه مَنْ رأيتُ في كلام العرب»[1] قال المراغي: فعلى هذا هو: فعيل بمعنى فاعل.

ونقل المراغي في «تحقيق النصـرة» أنه سُمي العقيق، لحمـرة موضعه، كأنه يشبه الخرز الأحمر. ولذلك قال: ورمل مسجد النبي ﷺ من العرصة، وليس بالوادي رملٌ أحمر إلا ما يسيل من الجبل.

وروى أبو داود[2]، عن القاسم قال: دخلتُ على عائشة فقلت: «يا أُمَّهْ، اكشفي لي عن قبر رسول الله، وصاحبيه، فكشفتْ لي عن ثلاثة قبور، لا مشرفة ولا لاطئة[3]، مبطوحة ببطحاء[4] العرصة الحمراء».

ويمكن أن نجمع بين العلتين فنقول: إن الأصل في كل «عقيق» أنه وادٍ عقته المياه، أي شقته، ومياه الأودية تتجمع بعد سقوطها على الجبال والهضاب المحيطة، فإذا كان لون الجبال أحمر، حملت المياه معها من طين الجبال، وفرشته في أرض الوادي، فإذا كان الماء جارياً، كان مشوباً بالحمرة من لون بطحاء الجبل، فإذا جف الماء من الوادي ترسب الطين الأحمر، وجف، فيصبح لون الأرض يميل إلى الحمرة.

فإذا كان الاسم «للمكان» وقلنا: إن العقيق مأخوذ من «عـق» أي شقَّ، يكون «فعيل» بمعنى مفعول، كقولنا: شُق الثوبُ فهوَ مَشْقوق.

وإن كان سبب التسمية «اللون»، فإن اسم العقيق يكون من باب المجاز. وإذا كان الاسم للماء الذي يشق الوادي، يكون: فعيل، بمعنى فاعل.. والأغلب أنهم يطلقونه على المكان، لأنه يبقى اسم العقيق، ولو

---

(١) «وفاء الوفا» وفيه سليمان بن عياش. «وتحقيق النصرة» للمراغي وفيه: سليمان بن عباس ص ١٨٣.

(٢) سنن أبي داوود في (الجنائز/ ٦٨).

(٣) لاطئة: من لطيء بالأرض، لزق بها.

(٤) البـطحاء: تـراب لين مما جـرته السيـول. ومبطوحـة: وضعت عليها البـطحاء وفي الحديث: «كان عمر أول من بطح المسجد» أي ألقى فيه الحصى. وفي «تحقيق النصرة» ص ١٨٥ «مشطوطة» وهو تحريف، ولم أجد لها معنى.

كان خالياً من الماء. فإذا قلنا: سال العقيق، تكون الجملة على حذف المضاف والأصل: سال ماءُ العقيق...

ونعرف مما سبق، أن اسم «العقيق» مِنْ وضع الجاهليين، لأنه مذكور في أشعار الجاهليين، فقالت الخنساء ترثي أخاها صخراً وقد مات بالنقيع[1]:

وقالوا إنَّ خيرَ بني سُليم ... وفارسَهم بصحراءِ العقيق

وفيه دليل على أن «النقيع» من العقيق.

وعندما جاء الإسلام، كان اسم العقيق معروفاً، ويطلق على الوادي - المعروف. وأقدم النصوص الإسلامية التي ورد فيها اسم العقيق، أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام. ولكن الأحاديث الموجودة في «الصحيحين» لم يرد فيها اسم العقيق من كلام رسول الله ﷺ، وإنما يرد في كلام الصحابي، لبيان المكان الذي كان فيه الرسول حين القول، أو لتفسير إشارة الرسول إلى المكان.

ففي صحيح البخاري «باب قول النبي ﷺ: العقيق وادٍ مباركٌ». ثم روى عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول: أتاني الليلة آتٍ من ربي فقال: «صلِّ في هذا الوادي المبارك»[2].

وفي صحيح مسلم نحوه[3].

أما الأحاديث التي ذكرت اسم العقيق من لفظ رسول الله، فهي

---

(١) انظر «معجم ما استعجم» ص ٩٥٢ وفيه أن صخراً دفن في عقيق بني عقيل.

(٢) أخرجه البخاري في الحج. وأبو داود في المناسك باب في الإقران، وابن ماجه باب «التمتع بالعمرة إلى الحج». وسيأتي ص ١٥١.

(٣) في الحج باب التعريس بذي الحليفة، وسيأتي ص ١٥١.

كثيرة، لكنها ليست في درجة الصحيح، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام لسلمة بن الأكوع «لو كنت تصيد بالعقيق لشيّعتك إذا خرجت وتلقّيتك إذا جئت، إني أحب العقيق»(١).

وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العقيق واد مبارك»(٢).

وروى القسطلاني في شرح البخاري عن ابن عديّ عن عائشة مرفوعاً: «تختّموا بالعقيق فإنه مبارك»(٣) أي: اجعلوا الخاتم من العقيق.

وبناء على ما ورد بشأن وادي العقيق في الأحاديث النبوية - إشارة أو لفظاً.. نقول: إنه المكان الوحيد - في منطقة المدينة - ومن بين الأماكن الصالحة للسكنى - الذي خصه الرسول بالعناية، وذكر له من الخصائص المباركة، والمزايا التي تشجع على سكناه. فقد روى ابن النجار بسنده إلى عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: ركب رسول الله إلى العقيق ثم رجع فقال: «يا عائشة، جئنا من هذا العقيق فما ألين موطئه وأعذب ماءه» فقالت: يا رسول الله، أفلا ننتقل إليه؟ فقال: «كيف وقد ابتنى الناس»(٤).

---

(١) رواه ابن شبة جـ/ ١/ ١٤٨. وفي منتخب كنز العمال جـ/ ٥/ ٣٦١. مع اختلاف في الألفاظ. وانظر تخريجه ص/ ١٥٤ «فضل وادي العقيق».

(٢) تاريخ المدينة جـ/ ١/ ١٤٨. وإسناده ضعيف وسيأتي في «فضل وادي العقيق».

(٣) شرح القسطلاني جـ/ ٣/ ١٠٣ وقال السخاوي في «المقاصد» له طرق كلها واهية. وفي اللسان «لا تختموا» وقال: هذا تصحيف إنما هو «لا تخيموا» أي لا تقيموا به لأنه كان خراباً. والأقرب، أن يكون مُصحّفاً من الفعل الأمر «تخيّموا» بالياء بعد الخاء، ليكون مناسباً الأحاديث التي تذكر فضل العقيق وتدعو إلى سكناه». وانظر «كشف الخفاء» للعجلوني.

(٤) أخبار مدينة الرسول ص / ٣٨/ تأليف محمد بن محمود بن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ هـ قال الذهبي: كان من أعيان الحفاظ الثقات مع الدين والصيانة. والحديث إسناده ضعيف فهو منقطع، أولاً لأن عامراً تابعي، وفي سنده محمد بن الحسن بن زبالة كذبوه ثانياً. وسيأتي ص/ ١٥٣.

وفي هذا توجيه من الرسول عليه الصلاة والسلام، إلى المسلمين بأن يعمروا الأرض ويستغلوا خيراتها الباطنة والظاهرة. وسوف نرى أثر هذا التوجيه على المسلمين في القرن الأول، حيث عمروا وادي العقيق واستفادوا من خصائصه.

# أعقة الحجاز السبعة

تقول المعاجم: إن كلَّ مسيل شقه ماء السيل فهو (عقيق) ولكن الأودية التي وُضع لها اسم العقيق معدودة ومعروفة. وقد تبين أن في إقليم الحجاز سبعة مواضع تُسمى العقيق عدا غيرها من الأودية في بلاد العرب. فأردت وصف أعقة الحجاز السبعة لأنها تقع في إقليم وادينا المبارك[١].

● **وأولها**: عقيق المدينة وهو الأشهر والأكثر ذكراً في كتب التاريخ والأدب بل هو الذي إذا قيل (العقيق وحاجر) اشتد الشوق وتحدرت الدموع من المحاجر. يأخذ أعلى مساقط مياهه من قرب وادي الفرع ثم ينحدر شمالاً بين الحرار شرقاً وسلسلة جبال قُدْس[٢] غرباً حيث ترفده أودية عظيمة فيُسمى هناك (النقيع) إلى أن يقرب من بئر الماشي فيسمى (عقيق الحسا)[٣]، وفي هذا المكان يعدل غرباً إلى الشمال، إلى أن يصل إلى بئار علي (ذي الحليفة) فيسمى (العقيق)، فيعدل شمالاً يحفّ به من الشرق جبل (عَيْر) ومن الغرب (البيداء)[٤] ثم جماء (تضارع). وفيه مقاهٍ

---

(١) انظر (معجم معالم الحجاز) لعاتق البلادي.

(٢) جبال قُدْس: جبال متصلة غربي «ضاف» من النقيع وهي كثيرة الخير تنبت العرعر وكان بها تين و فواكه وفيها منازل لمزينة.

(٣) الحسا: وادٍ بالقرب من المدينة يُنسب إليه النعنع الحساوي عند أهل المدينة.

(٤) البيداء: هي التي إذا رحل الحجيج بعد الإحرام من ذي الحليفة استقبلوها مصعدين إلى جهة الغرب وفيها نزلت آية التيمم (معالم طابة).

ومنازل وزراعة وفيه بئر عروة وقصره. وقد جعل له سدّ يمر فوقه الطريق من المدينة إلى مكة. ثم يستمر حتى يجتمع به وادي بُطْحان قرب مسجد القبلتين فيستمران إلى الجرف والغابة فيأتيهما من الشرق وادي (قناة) الذي يكون قد أخذ سيل العقيق الشرقي. فإذا اجتمعت الأودية الثلاثة (العقيق وبطحان وقناة) سمي الوادي (الخُليل) بالتصغير. فإذا تجاوز وادي (مخيض)[1] سمي وادي (الحَمْض)[2]. وفي العقيق يقول ابن المعلم[3]:

كم قلتُ: إياكَ العقيقَ فإنه ضَريتْ جآذره بصيد أُسوده
وأردت صيد مها الحجاز فلم يسا عدك الزمان فرحت بعض صيوده

● **والعقيق الشرقي**: وكان يُعرف بالشُّعبة[4] وهي صدره مما يلي نجداً.

وهذا الوادي يأخذ سيل الشعبة وجبال (أُبْلَى)[5] وأودية كبيرة تأتيه

---

(١) وادي مخيض: بلفظ مخيض اللبن: واد يصب في إضم على طريق الشام من المدينة. وهو المذكور في غزوة بني لحيان.

(٢) الحَمْض: كل نبات في طعمه حموضة. وقيل: كل نبات لا يهيج في الربيع ويبقى على القيظ وفيه ملوحة إذا أكلته الإبل شربتْ عليه وإذا لم تجده رقت وضعفتْ.

(٣) ابن المعلم: هو نجم الدين محمد بن علي المعروف بابن المعلم ولد بقرية الهرث من أعمال واسط جنوبي العراق سنة (٥٠١) وتوفي سنة (٥٩٢ هـ) قال ابن خلكان: كان شاعراً رقيق الشعر يكاد شعره يذوب من رقته. يغلب على شعره وصف الشوق والحب وذكر الصبابة والغرام. ومما قال في العقيق:

واسأل الربع ومَنْ لي لوْ وعى رجعَ الكلام أوْ سخا بردّ
بانوا فلا دارُ العقيق بعدهمْ دارٌ ولا عهدُ الحِمى بعهدِ

(وفيات الأعيان جـ/ ٥/ ص/ ٦).

(٤) الشُعبة: بالضم وسكون العين: واحدة الشُّعب وهي من الجبال رؤوسها: وهو موضع ذكره ابن إسحاق في المغازي حيث خرج رسول الله يريد قريشاً وسلك شعبة يقال لها شعبة عبدالله.

(٥) أبلى: على وزن حبلى: قال عرام: تمضي من المدينة مصعداً إلى مكة فتميل إلى وادٍ يقال له (عُريفطان معن) ليس له ماء ولا مرعى، وحذاه جبال يقال لها (أبلى) فيها مياه:

من الغرب، من الحرة، فيسيل بأطراف الحرة ـ حرة النقيع ـ من الشرق متجهاً شمالاً غـربياً حتى يجتمـع بأوديـة الحناكيـة (نخـل) و(نُجـار) و(النُّخيل) ثم تُسمى كلها وادي (الخنق) فتدفع في (العاقول)[1] حيث سد العاقول، ثم في (قناة). وقد اكتشف في هذا الوادي معدن النحاس والذهب ولكن لم يستثمر بعد[2].

● **وعقيق الحسا**: وهو أحد أجزاء عقيق المـدينة. ويُـطلق على الناحية بين (بئار الماشي) إلى (ذي الحليفة)، يمر بين حمراء الأسد و (حمراء نمل)[3] غرباً وجبل (عَيْر) شمالاً شرقياً. وفيه مـزارع كثيرة وقرى لـ (حرب) منها (العلاوة) و (الوُسَطة) و(بئار علي) ويُشتهر بالنعنع الحساوي المنسوب إليه. وهو أفضل أنواع النعنع في الحجاز. وسكان الوادي عوف من حرب[4].

● **وعقيق الطائف**: وادٍ يأخذ من جبل الغُمير الذي يظلل الطائف وقت الأصيل، ثم يمر بطرف الطائف من الغرب والشمال وعليه أحياء من الطائف، ثم يعدل شمالاً، وفيه قرى منها المليساء ولُقيم وأم الحمضة.

---

= منها بئر معونة. وعن الزهري: بعث رسول الله قِبَل أرض بني سليم وهو يومئذ ببئر معونة بجرف أُبلى. و(أُبْلِيّ) بالضم ثم السكون وكسر اللام وتشديد الياء: جبل عند أجأ وسلمى: جبلي طيىء.

(١) العاقول: قال ابن منظور: عاقول البحر: معظمه وقيل: موجه. وعاقول الوادي والنهر والرمل: ما اعوجّ منه وكل معـطف وادٍ: عاقول. وهو علم على حوض العاقول على بعد اثني عشر ميلاً من المسجد النبوي في اتجاه الشرق.

(٢) معجم معالم الحجاز: لعاتق البلادي.

(٣) حمراء نمل: قال العياشي: هناك جبل عند حمراء الأسد كثير الرؤوس كثرة النمل وقد يطلق عليه أهل البادية (حمراء نَمَلَى) ونقل عن السمهودي أن على يسار المصعد من ذي الحليفة جبل يعرف بـ (حمراء نملة).

(٤) حرب: قبيلة أكثرها من العدنانية وهي غير متحدرة من سلالة واحدة بل هي مجموعة أحلاف. وقسمها بعضهم إلى بطنين: بني مسروح وبني سالم. (وعوف) فخذ من بني مسروح. (معجم قبائل العرب) لعمر كحالة. (والارتسامات اللطاف) لشكيب أرسلان.

فإذا وصل إلى الحويّة سمي شَرِب، ومُلاّكه الأشراف وخصوصاً العبادلة وفيه أخلاط من عتيبة. والحمدة من ثقيف ملاكه الأصليون.

وفي عقيق الطائف يقول بديوي الوقداني:

خـطرتْ تـميس وتـنـثـني      مـا بين شـبـرة والعـقيـق

ويطلق العقيق هناك على أحد الأحياء الواقعة على الوادي، وفي هذا العقيق يقول دُريد بن الصمة[1] في أيام الفِجار[2]:

ولاقـتْ قـريشٌ غـداةَ الـعـقيـ      ـق أمـراً لهـا وَجَـدتْـه وبيـلا
وجئنـا إليـهم كـمـوج الأتيِّ(م)      يعلو النِّجـاد ويـمـلا السُّـهـولا

ذلك أن أحد أيام حرب الفِجار حدث بعكاظ بوادي شَرِب[3] بأسفل عقيق الطائـف.

---

(١) دريد بن الصمة بن بكر من هوازن شاعر جاهلي شهد الإسلام ولم يسلم، جعله ابن سلاّم أول شعراء الفرسان وأطولهم غزواً وأبعدهم أثراً وأكثرهم ظفرا. غزا نحو مائة غزوة فما أخفق في واحدة منها. وأمه ريحانة أخت عمرو بن معديكرب. له أربعة أخوة قُتل أعظمهم في يوم اللِّوى على يد غطفان، فانتقم له دريد في يوم الغدير. تغزل بالخنساء وخطبها فامتنعت.

مات قتيلاً في وقعة حنين فيمن قتل من المشركين. ومن جيد شعره:

أمـرتـهمُ أمـري بـمـنـعـرج الـلّوى      فلم يستبينوا النصح إلا ضُحى الغد
فلما عَصَوني كنتُ منهمْ وقـد أرى      غـوايتهـم وأنـنـي غيـر مـهـتـدي
وهـل أنـا إلا من غَـزيَّة إنْ غـوتْ      غَـوَيتُ وإن تـرشُـدْ غَزيـةُ أرشُـد

انظر «الشعر والشعراء» ٢/ ٦٣٥.

(٢) الأغاني - ١٠/ والفِجار: حرب حدثت بعد عام الفيل بين قريش وأحلافهم وبين هوازن، سميت بذلك لأن القتال حدث في الأشهر الحُرم. وشهدها رسول الله ﷺ وعمره خمس عشرة سنة. وفي الحديث: «كنتُ أيام الفِجار أنبّل على عمومتي» أي: يجهز لهم النبل للرمي. «ابن هشام/ ١/ ٨٤». وإنما سمتْ قريش هذه الحرب فجاراً لأنها كانت في الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيها قالوا: قد فجرنا فسميت فِجاراً. ولذلك نقل ياقوت: أن النبيّ حضرها ولم يقاتل فيها وكان قد بلغ سن القَتال، وإنما منعه من القتال فيها أنها كانت حرب فجار. «المعجم» مادة «شرب».

(٣) شرب: بفتح أوله وكسر ثانيه موضع قرب مكة كانت فيه وقعة الفجـار.

● **وعقيق عُشَيْرة**: وادٍ فحل من أودية الحجاز الشرقية يأخذ أعلى مساقط مياهه من شمال الطائف حيث يسيل وادي قُرّان من شمال حويّة الطائف. ثم يتجه العقيق مشملاً بين حرتي «بُسّ» غرباً ثم حرة الروقة، وحرة كشب شرقاً حتى يدفع في قاع حاذة جنوب مهد الذهب، ولا يفيض سيله عن هذا القاع الواسع المساحة الذي يبلغ قرابة أربعين كيلاً.

قال أحد شيوخ تلك الديار(١): لو هطل المطر غزيراً لمدة شهرين دون انقطاع ما بلغ في قاع حاذة نصف الساق، وكل ما قيل عن ذهاب سيل هذا الوادي إلى المدينة غير صحيح. إذ لو فرضنا تجاوزه قاع حاذة فإنه سيقابل بقاع إرن وهو قاع لا يقل عن سابقه. ثم إن جبال أُبلى وجبال مهد الذهب «معدن بني سليم» تشكل حاضناً من الشمال، لذلك السهل الواسع الذي يجري فيه عقيق عُشَيرة مع أودية أخرى ضخام كالنَّجِيل وحاذة وإرَن وغيرها.

أما مَنْ قال: إن كل واد لا بد أن يفضي سيله(٢) إلى البحر أو إلى ما هو أوسع من دائرته، فنقول: إن في سهل تبوك عبرة ومثلاً ففيها تجري عدة أودية كبيرة يبلغ طول أحدها «١٥» كيلاً فلا يفيض ماؤها أبداً.

وعقيق عُشيرة قليل المياه قليل الزراعة وجل ما فيه من المناهل هي: عشيرة، والمحدثة والمسلح ويبلغ طوله قرابة «١٤٠» كيلاً.

وخطب دريد بن الصمة الخنساء الشاعرة فرفضته، فقال:

لمن طلل بذات الخِمْس أمس عفا بين العقيق فبطن حَرْس

---

(١) «معجم معالم الحجاز».

(٢) المرجع السابق.

وقالت الخنساء ترثي أخاها:

وقولي إن خيرَ بني سُليم وأكرمهم بصحراء العقيق

ذلك أن قوم الخنساء، وقوم دريد كانوا يتجاورون في تلك الناحية. وهو أيضاً ما عناه أبو وجْزَة السعدي بقوله:

يا صاحبيّ انظرا هل تؤنسان لنا بين العقيق وأوطاسٍ بأحداج[1]

وقال الشافعي: ولو أهلوا من العقيق كان أحب إليّ. أي قبل ذات عرق[2].

وفي الحديث: «أن رسول الله وقّت لأهل العراق بطن العقيق» أراد العقيق الذي بالقرب من ذات عرق.

وقال جرير:

إذا ما جعلتُ السِّيّ بيني وبينها وحَرةَ ليلى والعقيقَ اليمانيا[3]

رغبتُ إلى ذي العرش ربِّ محمدٍ ليجمعَ شَعباً أو يقرب نائياً

● **والعقيقُ**: وادٍ في منطقة الباحة جنوب تربة وقد يُسمى (عقيق غامد) لأنهم سكانه. وهو أعلى وادٍ من الأودية الرئيسية هناك. ويَستمد سيله من جبال السراة الغربية ويرفده وادي ثراد الجنوبي ويتجه لوادي رنية.

وفي شرقي الوادي تقع مدينة (العقيق) والتي أخذت اسمها من

---

(١) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين. والأحداج: جمع حِدْج، وهو من مراكب النساء، يشبه المحفة. وأبو وجزة: اسمه: يزيد بن عبيد، من سُلَيم، وانتسب إلى بني سعد لأن عبيداً والده، كان عبداً لبني سعد، بيع في الجاهلية.

(٢) ذات عرق: مهلّ أهل العراق، وهو الحدّ بين نجد وتهامة.

(٣) السي: علم لفلاة على جادة البصرة إلى مكة. وقال السكري: السِّي ما بين ذات عرق إلى وجرة ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة، وحرة ليلى لبني سليم قريب من ذلك، والعقيق وادٍ لبني كلاب نسبه إلى اليمن لأن أرض هوازن في نجد مما يلي اليمن «معجم البلدان».

الوادي. وتُعتبر رابعة كبرى مدن البـاحـة، وهي مركز رئيسي لمنطقـة العقيق التي تضم حوالي خمسين ألف نسمة. (وعقيق غامد) منطقة زراعية خصبة تجود فيه الأشجار المثمرةُ كالنخيل والعنب والرمـان والبرتقـال وتُزرع فيه مساحاتٌ واسعةٌ من الحنطةِ والشعير وجميع أنواع الخضار[١].

**والعقيق**: وادٍ يسيـلُ من (ختارق) غـرب مكة المكـرمـة ومن روافده: الخمرة والخميرة فيه مزارع (حبحب) ثم يدفع إلى الساحل غير بعيد عن مصب مَرّ الظهران[٢] وقد يأخذ مياه عَمْق هناك[٣].

وإلى عقيق المدينة يُنسب محمد بن جعفر بن علي بن عبدالله بن الحسين الأصغر ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالعقيقي له عقب وفي ولده رياسة. ومن ولده أحمـد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العقيقي أبو القاسم. كان من وجوه الأشراف في دمشق وتوفي سنة/ ٣٧٨ هـ.

وقال القاضي عياض: العقيقُ وادٍ عليه أموال أهل المدينةِ وهو على ثلاثة أميالٍ أو ميلين وقيل ستة وقيل سبعة. وهي أعقة: أحدها عقيقُ المدينة، عُقَّ عن حرتها أي: قُطع وهذا العقيق الأصغر وفيه بئر رومة. والعقيق الأكبر بعد هذا، وفيه بئر عروة. وعقيق آخر أكبر من هذين وفيه بئرٌ على مقربةٍ منه[٤].

---

(١) (معجم معـالم الحجاز) و(لقـاء مع أميـر عقيق غامـد) جريـدة المدينـة ١٤/ ٢/ ١٤٠٥ هـ.

(٢) الظهران: وادٍ قرب مكة وعنده قرية يقال لها (مَرّ) تُضاف إلى هذا الوادي فيقال: مَرّ الظهران.

(٣) عَمْق: بفتح أوله وسكون ثانيه: وادٍ من أودية الطائف نزله رسول الله ﷺ لما حاصر الطائف. والعَمْق أيضاً: موضع قرب المدينة. وعُمَق: بوزن زُفَر: عَلَمٌ مرتجلٌ على جادةِ الطريقِ إلى مكةَ بين معدن بني سُليم وذاتِ عرقٍ. (معجم البلدان).

(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي (عقيق).

وهو من بلاد مزينة: وهو الذي أقطعه رسول الله ﷺ، بلالَ بن الحارث المزني، ثم أقطعه عمرُ الناسَ.

ومنها العقيق الذي جاء فيه «إنك بواد مبارك» وهو الذي ببطن وادي ذي الحُليفة وهو الأقرب منها[١].

قال ياقوت في معجم البلدان[٢]:

وقد أكثر الشعراء من ذكر العقيق وذكروه مطلقاً، ويصعب تمييز كل ما قيل في العقيق فنذكر مما قيل فيه مطلقاً. قال أعرابي:

أيا نَخْلَتَيْ بطن العقيق أمانِعي　　جَنَى النخلِ والتّين انتظاري جناكما؟
لقد خفتُ أن لا تنفعاني بطائلٍ　　وأن تمنعاني مجتنى ما سواكما
لو ان أمير المؤمنين على الغنى　　يُحدَّث عن ظليكما لاصطفاكما

وزُوجت أعرابية ممن يسكن عقيق المدينة وحملت إلى نجد فقالت:

إذا الريحُ من نحو العقيق تنسمتْ　　تجدّد لي شوقٌ يُضاعف من وَجْدي
إذا رحلوا بي نحو نجدٍ وأهله　　فحسبي من الدنيا رجوعي إلى نَجْدي[٣]

---

(١) قال عاتق البلادي: قوله: العقيق الأكبر، والأصغر: لا يعرف اليوم إلا واحد، وليس هناك واديان بل وادٍ واحد، وقد يسمى في كل جزع منه باسمٍ كما هي عادة العرب. وقوله وعقيق آخر فيه بئر: هو جزع أعلى من بئر عروة والوادي واحد. وكذلك قوله عن العقيق الذي ببطن وادي ذي الحُليفة. وقوله هو الأقرب خطأ، بل هو الأبعد من العقيق الذي مر ذكره.

(٢) معجم البلدان مادة (عقيق).

(٣) المصدر السابق. ومن معاني (نجد) ما يُزين به البيت، ونوع من الشجر (اللسان).

## حدود وادي العقيق (عقيق المدينة)

يرى أكثر المؤرخين أن صدر العقيق يبدأ من «النقيع» وهو من المدينة على أربعة بُرُد[1] في يمانيها. ويرى بعضهم أن العقيق يبدأ من ذي الحُليفة. أما الزبير بن بكار فقال: ولم أزل أسمع أهل العلم والسنن يقولون: إن العقيق الكبير مما يلي الحرة، ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل، مما يلي الجماء ما بين قصور عبد العزيز بن عبدالله العثماني إلى قصر المراجل، ثم اذهب صُعُدا إلى منتهى النقيع. ويقولون لما أسفل من المراجل إلى منتهى العرصة، «العقيق الصغير» فأعلى أودية العقيق النقيع[2].

ونقل ابن زَبالة[3] عن هشام بن عروة أنه كان يقول: العقيق، ما بين قصر المراجل فهلم صُعُداً إلى النقيع. وما أسفل من ذلك ـ أي من قصر المراجل فمن زغابة.

وعن المنذر بن عبدالله الحزامي[4]، أنه سمع أهل العلم يقولون: إن العقيق من العرصة إلى النقيع.

---

(١) البريد يساوي (٢٨ كم) تقريباً.
(٢) وفاء الوفا/ ١٠٣٩.
(٣) ابن زبالة: محمد بن الحسن بن زبالة من أهل المدينة، وهو غير ثقة في رواية الحديث. وضع كتاب مثالب الأنساب «فجفاه أهل المدينة». (لسان الميزان).
(٤) المنذر الحزامي: من أهل المدينة من بني حزام، راوية ثقة متوفى سنة ١٨١ هـ (تهذيب التهذيب).

ونقل أبو علي الهَجَري[1] أن النقيع يبتدىء أوله من (بـرام)، والعقيق يبتدىء أوله من (حضير) إلى آخر منتهاه من العقيق الصغير، ثم يصب في (زغابة).

ونقل أيضاً: أن (حضيراً) آخر (النقيع) وأول العقيق. وآخر العقيق (زغابة).

وقال البكري[2]: هما عقيقان: الأكبر والأصغر، فالأصغر فيه بئر رومه التي اشتراها عثمان رحمه الله، والأكبر فيه بئر عروة التي قالت فيها الشعراء.

وقال القاضي عياض[3]: النقيع صدر العقيق، وهما عقيقان: أدناهما: عقيق المدينة، وهو: أصغر وأكبر. فالأصغر فيه بئر رومة، والأكبر فيه بئر عروة. والعقيق الآخر على مقربة منه، وهو من بلاد مزينة[4].

وقال المطري[5]: وادي العقيق أصل مسيله من النقيع قبلي المدينة

---

(١) أبو علي الهجري: هارون بن زكريا، منسوب إلى «هجر» بالأحساء، عالم بـالأدب وببلدان الجزيرة العربية. كان مؤدب أولاد طاهر بن يحيى بن الحسن الطالبي، استقر بالمدينة. وله كتاب «التعليقات والنوادر» متوفى نحو سنة ٣٠٠ هـ. (الأعلام للزركلي) وللشيخ حمد الجاسر كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع».

(٢) البكري: عبدالله بن عبد العزيز الأندلسي. مؤرخ جغرافي علامة بالأدب. توفي سنة ٤٨٧ هـ. له كتاب «معجم ما استعجم» وهو معجم جغرافي للبلاد التي جاء ذكرها في أشعار العرب. وفي صدره مقدمة عن قبائل العرب.

(٣) القاضي عياض بن موسى، أندلسي، متوفى سنة ٥٤٤ هـ، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم، ومن كتبه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (الأعلام).

(٤) مزينة: بطن من مضر، من العدنانية. ومزينة أم جاهلية تنسب لها القبيلة، وكانت مساكنهم بين المدينة ووادي القرى (العلا) وكانت لهم مساكن عند جبل (قدس) في بداية النقيع. قدم وفد منهم على الرسول ﷺ، وقاتلوا معه في حنين. وفي صحيح البخاري: قال رسول الله: «الأنصار، ومزينة، وجهينة، وغِفَار وأشجع... مواليّ ليس لهم مولى دون الله ورسوله» (كتاب المناقب).

(٥) المطري: محمد بن أحمد، منسوب إلى المطرية بمصر، صاحب كتاب «التعريف» متوفى سنة ٧٤١ هـ، وقد سكن المدينة، وولي نيابة القضاء فيها (الدرر الكامنة ٣/ ٣١٥).

الشريفة وبينه وبين قُباء يوم ونصف. ويصل إلى بئر عليّ العليا، المعروفة بالخليقة ـ بالقاف والخاء المعجمة ـ ثم يأتي على غربي جبل عَيْر، ويصل إلى بئر عليّ بذي الحُليفة المَحْرم، و من بئر المحرم يُسمى العقيق، فينتهي إلى غربيّ بئر رومة.

قال السمهودي: وقوله: من بئر المحرم يسمى العقيق: أي: في زمنه كزماننا وهو العقيق الأدنى..

وهكذا نجد أن أكثر العلماء يرون أن وادي العقيق، يبدأ من النقيع وأنه يسمى «العقيق» بعد أن يخرج من النقيع[1]. وقسموه إلى قسمين: عقيق أدنى وهو الأقرب إلى المدينة، وهذا يتفقون على أنه العقيق. وعقيق آخر: «أقصى» وهو الذي يكون قبل ذي الحليفة، وهو المختلف فيه. وقد استدل من اعتبر «النقيع» من العقيق بقول الخنساء ترثي أخاها صخراً وقد مات بالنقيع من جراحه فدفن فيه: تقول الخنساء:

أفيقي من دموعك واستفيقي ... وصبراً إنْ أطقت ولن تطيقي
وقولي: إن خير بني سُلَيم ... وفارسَهم ببطحاء العقيق[2]

فالعقيق اسم جامع للوادي.. من النقيع حتى زغابة، ومن البداية حتى النهاية، جبال تحيط بالضفاف، وأودية فرعية تصب في الوادي الكبير وهناك أراض ومزارع، ولكل اسم، وقد ينتسب أحدهم إلى الاسم الجامع وهو «العقيق» وقد ينسب إلى الجزء.

ومن النقيع حتى زغابة، أعلام شهيرة لها ذكر في السيرة والتاريخ والشعر، سوف أعرضها حسب ترتيب مجرى السيل من أعلاه إلى

---

(١) نقل البكري عن نافع أن النبي ﷺ كان يقصر الصلاة بالعقيق.
(٢) الديوان ص ١٠٨ (دار الأندلس بيروت ١٩٧٨ م) وكانت الخنساء تطوف بالبيت وتلطم، فرآها عمر بن الخطاب كذلك. فقال: إن في الناس من هو أعظم منك مصيبة والإسلام قد حرم ذلك، فكفت عن ذلك، وقالت ترثي أخويها.

أسفله، ثم أقوم بالتعريف بها حسب الترتيب نفسه.

أما عمر بن شبة، فيروي أن سيل وادي العقيق يأتي من موضع يقال له «بطاويح» وهو حَرس[١] من الحرة. وغربي «شُطْآن»[٢]، حتى يصبا جميعاً في (النقيع) وهو قاع كبير الدرّ.. ثم يصب في غدير «يلبن، وبَرام» ويدفع في وادي - «البقاع» ويصبّ فيه «نقعاء»[٣] فيلتقين جُمَع بأسفل موضع يقال له «بَقَع» ثم يذهب السيل مشرقاً، فيصب على «رُوَاوتين»[٤] ويدفع عليه وادٍ يقال له «هلوان» ثم يستجمعن فيلقاهن بوادي (درّ)[٥] بأسفل الحليفة العليا، ثم يصب على «الأتمة» وعلى «ألجام» ثم يفضي إلى وادي «الحميراء»[٦] وتدفع عليه الحرتان شرقاً وغرباً حتى ينتهي إلى «ثنية الشريد» ثم يُفضي إلى الوادي فيأخذ في (ذي الحليفة) حتى يصب بين «أرض أبي هريرة» صاحب رسول الله، وبين «أرض عاصم بن عديّ ابن العجلان» حتى يفضي إلى أرض «عروة بن الزبير وبئره» ثم يستبطن بطن الوادي فيأخذ منه شطيب إلى «خليج عثمان بن عفان» الذي حفر إلى أسفل العرصة، الذي يقال له: خليج بنات نائلة.. ثم يفترش سيل العقيق إذا خرج من «قراقر» عبدالله بن عنبسة بن سعيد، يمنة ويسرة.. ثم يستجمع حتى يصب في زغابة»[٧].

(١) الحرس: بفتح الحاء المهملة، وسكون الراء: مجرى الماء.

(٢) في الأصل «شطاي» ولم أر له ذكراً، وذكر ياقوت «شُطْآن»، وقال: إنه من أودية المدينة، وورد ذكره في شعر كثيّر.

(٣) في الأصل: نقعا، بدون همزة، وهو خطأ، والتصحيح من معجم البلدان.

(٤) في الأصل: راويتين: تثنية راوية، وشرحها المحقق بأنها «المزادة فيها الماء» والصحيح تقديم الواو على الألف، لأنها تثنية رواوة (معجم البلدان).

(٥) في الأصل: (ربر) برائين بينهما باء. وفي حاشية «معالم طابة» «دبر» بالدال في أوله، ولعلّ الصحيح ما أثبت بالدال، والراء المشددة. قال ياقوت: (درّ) بفتح الدال وتشديد الراء، غدير في ديار بني سليم يبقى ماؤه الربيع كله، وهو بأعلى النقيع.

(٦) في الأصل: الحمراء: بالتكبير والتصحيح من معجم البلدان.

(٧) تاريخ المدينة: لابن شبة: جـ ١/ ١٦٦.

وأما أبو علي الهجري[1] فيقول: «النقيع» صدر وادي العقيق.. وتحف هذا القاع «حرة بني سُليم» في شرقيه وفيها قيعان دوافع في بطن النقيع. وفي غربيه «الصُّحرة»[2] وأعلام مشهورة منها «بَرام» و«الوَتِدة» و«ضافٍ»[3] وأول أعلامه «عسيب». و«مُقَمَّل» جبل أحمر بين برام والوَتِدة. شارع في غربي النقيع.

وبقاع النقيع غُدُر تصيّف، فلأعلاها «يَراجم»[4]، وأذكرها «يلْبَن». وبشرقي النقيع (قَلْتان) يبقى ماؤهما ويصيّف وهما أُثب وأُثيب.. وأما مجرى الوادي بعد قاع النقيع، فيبدأ بـ«حَضير» ثم يُفضي الوادي إلى غدير يقال له «المُزْج» ثم إلى «رُواوة» ثم يفضي إلى «الطُفْيتين» ثم إلى «الأُثَبَة» ثم «رابغ» ثم يلتقي وادي العقيق ووادي «ريم» ويدفعان في «الخليقة».

ثم تتبطح السيولُ: سيل النقيع، و«مراخ» و«آنفة» عند جبل يقال له «فاضح المنتطح» وهو «واسط» ثم يفضي إلى الجثجاثة. وله دوافع من الحرة منها «شوطى» وروضة «ألجام». ثم يفضي إلى «حمراء الأسد» وفي شق الحمراء الأيسر «مُنْشِد» وفي شقها الأيمن «خاخ» ثم يفضي إلى «ثنية الشريد» ثم يُفضي إلى الشجرة. ثم على مزارع أبي هريرة.

---

(١) «أبو علي الهجري» تأليف الأستاذ حمد الجاسر. وانظر «معجم ما استعجم»... ص ١٣٢٥. فقد نقل الأستاذ الجاسر ما جاء عند البكري، لأنه يرى أنه مأخوذ عن أبي علي الهجري.

(٢) في «معجم ما استعجم» «الصخرة» بالخاء المعجمة، والصحيح بالحاء المهملة (معالم طابة).

(٣) ضاف: بالضاد المعجمة. وفي (المعجم) بالصاد المهلمة، ولكنه جبل بتهامة وأما (ضاف) بإعجام أوله، فهو واد غربي النقيع. انظر «وفاء الوفا» و(معالم طابة) باب الضاد.

(٤) في «وفاء الوفا» بالياء في أوله، وأحياناً تذكر بالتاء، والمطبوع من «وفاء» لا يعول عليه في ضبط الأسماء لكثرة التحريفات فيه، وعند البكري (١٣٢٥) بالباء الموحدة، ولكنه لم يبوب لها، وذكرها عرضاً أثناء الكلام على النقيع. ولم يذكرها ياقوت في معجمه.

ثم خَيْف حرة الوبرة، مزارع عروة... ثم «العَرْصة»، وهي أربع عَرَصات: عرصة البقل، وعرصة الماء، وعرصة جعفر بن سليمان، وعرصة الحمراء، وبها قصر سعيد بن العاص.. ثم يفضي إلى «الغابة».

وهكذا يمكن تقسيم الكلام عن وادي العقيق وأعلامه إلى ثلاثة أقسام:

**الأول**: منطقة قاع النقيع، قبل أن يأخذ السيل مجراه.

**الثاني**: مجرى الوادي بعد النقيع، ابتداء من «حَضير» حتى الشجرة: «العقيق الأقصى».

**الثالث**: منطقة العقيق الأدنى إلى المدينة، ابتداء من الشجرة حتى نهايته.

وفي كل قسم جبال، وأودية، وجداول، ومزارع، وآبار، ومساكن.. لا بد من الوقوف عند الكثير منها. وسوف أعرّف بكل معلم له ذكر في التاريخ والسيرة والأدب، مما له صلة قريبة بوادي العقيق.

* * *

# مبتدأ العقيق من النقيع

رأينا فيما سبق أن أكثر العلماءِ يَرَوْن أن العقيق يبدأ من النقيع ولذلك سأبدأ به، وأعرّف بمعالمه لوجود اتصال وثيق بينه وبين العقيق الأشهر الذي شهد التاريخ العريق. وإذا كان النقيع بداية الغيث الذي يجلب إلى المدينة النَّماء فإن عقيق المدينة كان بدايةَ التاريخ الذي عمّر النقيع، فهما إذنْ يتبادلان الودَّ والعطاء. وعندما قالوا لعروة بن الزبير: إنك بنيت قصرك بوادٍ غير مدرّ قال: يأتي الله به من النقيع. وعندما أراد المسلمون لخيلهم مرعى خصباً ذهبوا إلى النقيع فوجدوا فيه خير البقاع عطاءً. فخلّدوا بذلك ذكره وأحيوا سيرته بعد موات.

## أولاً: النقيع، ومعالمه

**أبرز المعالم في منطقة النقيع:**

١ ـ حِمى النقيع.

٢ ـ وتحفّ القاعَ من شرقيه حرةُ بني سُليم.

٣ ـ وفي غربيه الصُّحرة، وأعلام مشهورة منها.

٤ ـ بَرَام.

٥ ـ الوَتِدة.

٦ ـ وضَافٍ.

٧ ـ وعَسيب.

٨ ـ ومُقَمِّل.
٩ ـ وهناك غُدُر تصيّف، أعلاها: يَراجم.
١٠ ـ وأذكرها: يَلْبن.
١١ ـ وبشرقي النقيع في الحرة أثـب، وأُثيب.
١٢ ـ وليس بإزاء النقيع مما يلي الصُّحرة إلا مـاءة واحدة وهي حفيرة لجعفر بن طلحة بن عمرو، يقال لها: «السدرة».

## حمى النقيع

النقيع في اللغة «القاع». والنقيع أيضاً: الموضع الذي يستنقع فيه الماء، وبه سمي هذا الموضع. قال الهجري: وسيل النقيع يفضي إلى قرار أملس، وهي أرض بيضاءَ جَهاد[1]، لا تُنبت شيئاً، لها حس تحت الحافر، والعرب تسمي هذه الأرض «النفخاء»، والجمع: النَّفاخَى.

والحمى: أصله في اللغة: الموضع فيه كلأٌ يُحْمى من الناس أن يرعوه، أي يمنعونهم. يقال: حميت الموضع: إذا منعت منه، وأحميته: إذا جعلته حمىً لا يقرب. وقال ﷺ: «لا حمى إلا لله ولرسوله»[2].

والحمى شـرعاً: مـا يحمي الإمام من الأرض المـوات لمواش بعينها، ويمنع سائر الناس الرعْي فيه.

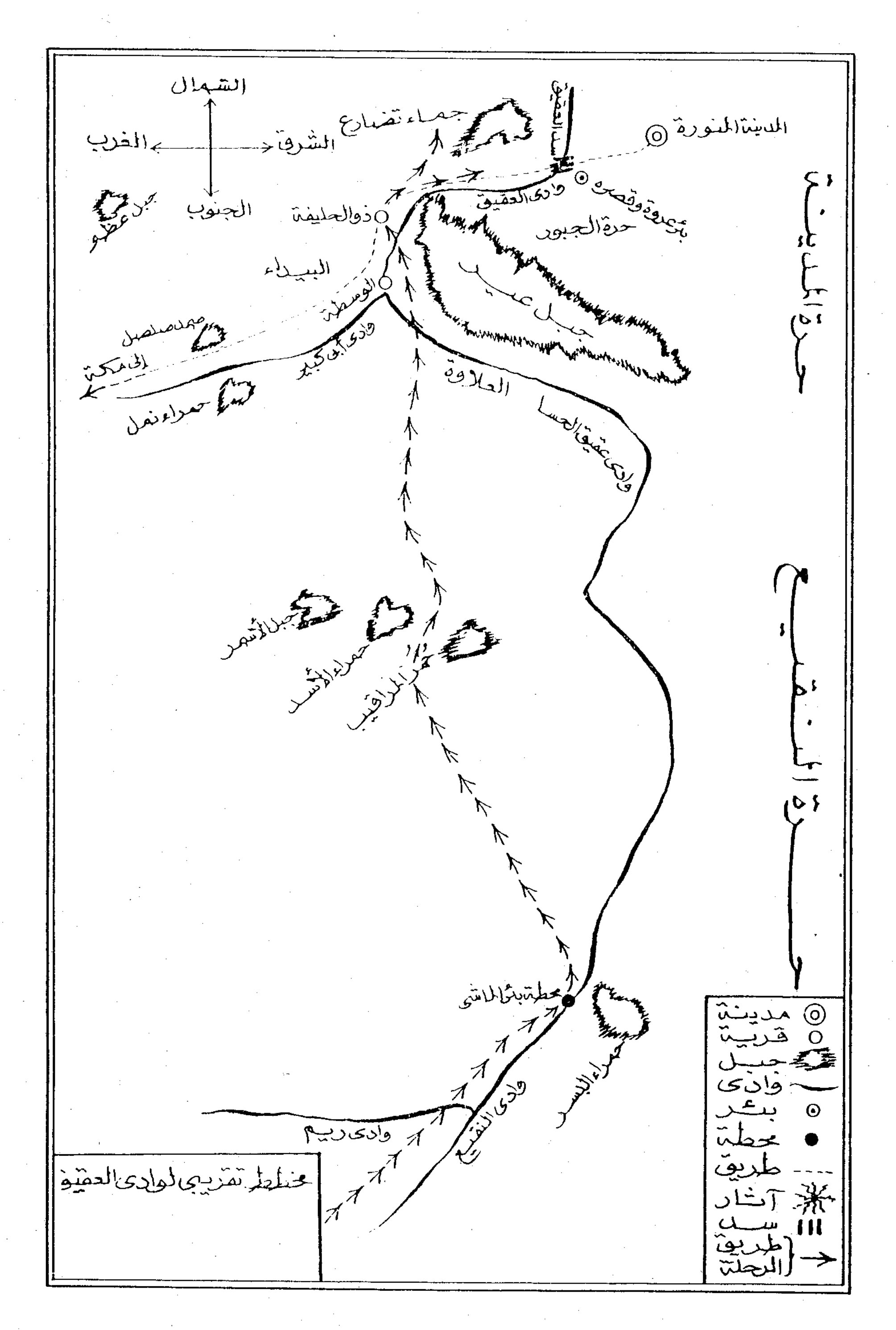
قـال الشـافعي في تفسيـر قـول النبي ﷺ: «لا حمى إلا لله ولرسوله»[3]: كان الشريف من العرب في الجاهلية إذا نزل بلداً في

---

(١) قال القسطلاني: النقيع في الأصل كل موضع يستنقـع فيه الماء؛ فإذا نضب الماء نبت فيه الكلأ. وأرض جهاد: صلبة لا نبـات فيها. (اللسان).

(٢) رواه البخاري رقم (٢٣٧٠) وأبو داود في الخراج (٣٠٨٣) وانظر صحيح ابن حبان رقم ١٣٦ بتحقيق حسين أسد.

(٣) معجم البلدان، و«إرشاد الساري» جـ ٤. وقال العباس بن مرداس يذكر ما كان يفعله كليب بن وائل في الجاهلية، وأن ذلك سبب قتله.




من كتاب «على طريق الهجرة»

عشيرته، استعوى كلباً لخاصةٍ به، وأوقف له من يسمع منتهى صوته، فحيث بلغ صوته حماه من كل ناحية، فلم يرعه معه أحد، وكان شريكاً في سائر المواقع حوله. قال الشافعي: فنُهي أن يُحمى الحمى على الناس كما كان في الجاهلية. وقوله: إلا لله، ولرسوله فأضاف الحمى لله، ولرسوله: أي ما يحمى للخيل التي تُرصد للجهاد، والإبل التي يُحمل عليها في سبيل الله، وإبل الزكاة، كما فعل الرسول ﷺ، والعُمَران، وعثمان رضي الله عنهم.

ويذكر الشعراء «الحمى» في أشعارهم، وكل شاعر يقصد حمى بعينه في دياره.. وفي بلاد العرب أحماء كثيرة[1].

ومقصدنا هنا الحمى الذي يُضاف إلى النقيع، فيقال: «حمى النقيع» وفي الكلام عن النقيع وحماه فروع.

---

= كما كان يبغيها كليبُ بظلمه ... من العزّ حتى طاح وهو قتيلها
على وائل إذ يترك الكلب نابحاً ... وإذْ يمنع الأفناء منها حلولها

قال ابن حجر في فتح الباري: «قال الشافعي: يحتمل معنى الحديث شيئين: أحدهما: ليس لأحد أن يحمي للمسلمين إلا ما حماه النبي ﷺ. والآخر: معناه: إلّا على مثل ما حماه عليه النبي. فعلى الأول: ليس لأحد من الولاة بعده أن يحمي وعلى الثاني: يختص الحمى بمن قام مقام رسول الله ﷺ وهو الخليفة خاصة. وأخذ أصحاب الشافعي من هذا أن له في المسألة قولين، والراجح عندهم الثاني. والمراد بالحمى: منع الرعي في أرض مخصوصة من المباحات، فيجعلها الإمام مخصوصة برعي بهائم الصدقة مثلاً».

أما حمى الجاهلية: فهو مخصوص برئيس القبيلة، وقول العباس بن مرداس: «وإذ يمنع الأفناء» الأفناء: بالفاء: ورجل من أفناء القبائل: أي: لا يُدرى من أيّ قبيلة هو. وقيل يقال: قوم من أفناء القبائل، ولا يقال: رجل، وليس للأفناء واحد (اللسان). والعباس بن مرداس السلّمي: شاعر مخضرم، صحابي، شهد فتح مكة، وتوفي سنة ١٨ هـ. وقيل: إن الخنساء الشاعرة المشهورة أمُه (الإصابة/ ٤٥١١/ والشعر والشعراء جـ١ / ٢١٨).

(١) انظر: معجم البلدان (الحمى).

**١ ـ تحديد مكان النقيع وحماه:**

قال الهَجَري(١): النقيع: صدر وادي العقيق، وهو مُبتدَىً للناس، ومُتصَيَّد.

وقال القسطلاني: موضع على عشرين فرسخاً من المدينة ـ ١٦٠ كيلاً ـ وقدره ميل في ثمانية أميال، في طريق الذاهب إلى مكة.

**٢ ـ صفة حمى النقيع:**

قال البكري: حمى النقيع في قاع مدرّ(٢) طيب، ينبت أحرار البقل(٣)، والطَّرفاء، ويستأجم(٤) حتى يغيب فيه الراكب. وفيه مع ذلك: العضاه، والغرقد(٥)، والسدر، والسيّال، والسّلم(٦)، والطَّلح(٧)، والسَّمُر، والعوسج، والعَرْفج شجر كثير.

ويبدو أن النقيع كان مرتعاً خصباً، ومرعى مشبعاً، يكفي الكثير من النعم، لأن إبل الصدقة وإبل الجهاد التي كانت ترعاه كثيرة العدد.

فقد روى الإمام مالك في الموطأ: أن عمر رضي الله عنه كان يحمل في العام الواحد على أربعين ألف بعير(٨). وعن مالك أيضاً: أن

---

(١) (أبو علي الهجري) نقلاً عن: «معجم ما استعجم» جـ ١٣٢٤/٣.

(٢) درّ النبات: طلع والتف ووادٍ مدرّ: كثير الإدرار بالماء.

(٣) أحرار البقل: ما يؤكل منها غير مطبوخ: كالخس. والبقل أيضاً: جميع النباتات العشبية التي يتغذى بها الإنسان.

(٤) استأجم: صار كالأجمة، وهي الشجر الكثير الملتف.

(٥) الغرقد: نبت كبار العوسج وبه سُمي بقيع الغرقد، مقبرة أهل المدينة.

(٦) السلم: واحدته سلمة، شجر ذو شوك يُدبغ بورقه وقشره ويسمى ورقه «القَرَظ». له زهر أصفر فيه حب أخضر طيب الرائحة. وبه سمي وادي ذو سلم ـ بالحجاز ـ وقد أكثر الشعراء من ذكره. قال الشريف الرضي:

يا ظبية الإنس هل أُنس ألذّ به ... من الغداةِ فأشفى من جوى الألم

وهل أراك على وادي الأراك وهل ... يعودُ تسليمَنا يوماً بذي سلم

والسيّال: شجر له شوك أبيض أصوله أمثال ثنايا العذارى (اللسان).

(٧) الطلح: شجر أم غيلان، له شوك معوج، وهو من أعظم العضاه شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً. والطلح في القرآن: الموز، وقيل غير ذلك.

(٨) الموطأ جـ ٣٠٨/١. باب (ما يكره من الشيء يجعل في سبيل الله).

الخيل التي أعدها عمر ليحمل عليها في الجهاد، ومن لا مركوب له: عدتها أربعون ألفاً.

ولم يعرف في ذلك الوقت إلا ثلاثة أحماء، وهي: النقيع، الرَّبَذَة، والسرِف[1]. وكان عمر بن الخطاب يمنع الناس من الرعي في الحمى، وقد يسمح لفقراء المسلمين. ولكن يبدو أن عثمان سمح لهم فيما بَعْدُ، حيث يُروى أن عبد الرحمن بن عوف عندما مات خلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعى بالنقيع[2].

وقال يعقوب المزني[3]: ثم تزايد الناس بَعْدُ في الحمى، واتخذوا المرابد يحبسون فيها ما رعى الحمى من الإبل.

وقال الزبير، قال لي يعقوب المزني: لقد رأيت لأبيك أكثر من ثلاثة آلاف شاة بالنقيع، وهو إذْ ذاك أمير المدينة، ما يرعى رعاؤه شيئاً منها في الحمى حتى يكتمل العشب ويبلغ نهايته، فيرسل عاملُ الحمى، فيسرعُ فيه رِعاء أبيك والناسُ يداً واحدة كفرسي رِهان[4].

### ٣ ـ من تاريخ حمى النقيع:

دخل النقيع في التاريخ منذ أن أحماه النبي ﷺ لخيل المسلمين. فروى البخاري أن النبي ﷺ حمى «النقيع» وروى ابن شبة في تاريخ

---

(١) انظر البخاري (باب لا حمى إلا لله ولرسوله). السرف: موضع على ستة أميال من مكة. قالوا: هو قرب التنعيم. ويرى ياقوت أنه بالشين المعجمة (الشَّرف) لأن سِرف لا تدخله (أل) (وانظر الأحكام السلطانية للماوردي ١٨٦).

(٢) «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» لابن عبد البر، ترجمة عبد الرحمن بن عوف.

(٣) عاش في النصف الثاني من القرن الثاني في الدولة العباسية، لأنه عاصر، بكار بن عبدالله والد الزبير بن بكار. وكان بكار والياً على المدينة أيام الرشيد توفي سنة ١٩٥ هـ. (الأعلام للزركلي).

(٤) «وفاء الوفا» ص ١٠٨٦. وهذه الرواية تدل على أن النقيع بقي مأهولاً حتى نهاية القرن الثاني لأن بكاراً تولى إمارة المدينة في الربع الأخير من القرن الثاني ونعرف من الرواية أنه كان عادلاً لأنه لم يخص نفسه بشيء من المرعى.

المدينة: أنّ النبي ﷺ: حمى النقيع للخيل، وحمى الرَّبَذَة[١] للصدقة.

وفي رواية أخرى: «حمى النقيع لخيل المسلمين ترعى فيه».

وفي رواية: حمى النقيع لخيله[٢].

ونقل الهَجَري أن أول الأحماء وأفضلها وأشرفها ما أحمى النبيّ من «النقيع» حماه لخيل المسلمين وركابهم.

وروى الزبير بن بكار عن مراوح المزني، قال: نزل النبي بالنقيع على «مُقَمِّل» - جبل هناك - فصلّى، وصليتُ معه - وقال في حمى النقيع: «نعم مرتع الأفراس يُحمى لهنَّ، ويُجاهد بهنَّ في سبيل الله»[٣].

ونقل ابن حجر في الإصابة[٤] في ترجمة عبيد بن مراوح المزني عن أبيه قال: «نزل رسول الله «النقيع» والناس يخافون الغارة بعضهم على بعض، فنادى مناديه: الله أكبر، فقال: لقد كبرت كبيراً، فقال أشهد أن لا إله إلا الله، فارتعدتُ وقلتُ: لهؤلاء نبأ، فقال: أشهد أن محمداً رسول الله، فقلت: بُعث نبيّ، فقال: حَيَّ على الصلاة، فقلت: نزلت فريضة. واعتمدت رسول الله فسألته عن الإسلام، فأسلمتُ، وعلمني الوضوء والصلاة، وصلّى، فصليت معه، وحمى النقيع واستعملني عليه».

---

(١) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال، وكانت قرية عامرة، وبها قبرأبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وقد خربت سنة ٣١٩ هـ بالقرامطة (معجم البلدان).

(٢) تاريخ المدينة جـ ١/ ١٥٦.

(٣) معجم البلدان «النقيع» و«الأحكام السلطانية» للماوردي ورَوَى أن الرسول ﷺ، قد حمى بالمدينة، وصعد جبلاً بالنقيع وقال: هذا حماي، وأشار بيده إلى القاع». (الأحكام السلطانية الباب السادس عشر ص ١٨٥).

(٤) الإصابة/ ٥٣٥٩. وانظر البخاري رقم (٢٣٧٠) عن الصعب بن جثامة قال: بلغنا أن النبي ﷺ حمى النقيع وأن عمر حمى الشرف والربذة. «كتاب المساقاة من فتح الباري».

وفي رواية أخرى عن ابن زَبَالة، عن الزبير بن بكار عن محمد بن هيضم المزني: عن أبيه قال: دعا رسول الله أبي فقال: إني مستعملك على هذا الوادي - النقيع - فمن جاءك من هاهنا وهاهنا فامنعه، فقال: إني رجل ليس لي إلا بنات، وليس معي أحد يعاونني، فقال: إن الله سيرزقك ولداً، ويجعل لك أولياء - قال فعمل عليه، وكان له بعد ذلك ولد، فلم يزل الولاة يولون عليه[1] والياً، منذ عهد رسول الله، يستعمله والي المدينة حتى كان داود بن عيسى[2] فتركه سنة ثمان وتسعين ومائة. وإنما تركه داود لأن الناس جلوا عنه للخوف ذلك الزمان فلم يبق فيه أحد يستعمله عليه[3]. وقال البكري: ثم أُبيحت الأحماء أيام المهدي، فلم يحمها أحد.

ورُوي أن النبي ﷺ، صلى الصبح في المسجد، بأعلى عسيب - وهو جبل بأعلى قاع النقيع. ثم أمر رجلاً صيّتاً، فصاح بأعلى صوته فكان مدى صوته بريداً، وهو أربعة فراسخ، فجعل ذلك حمى طوله بريد، وعرضه الميل، وفي بعضه أقل[4].

وحمى النقيع الذي حماه الرسول ﷺ ثم عمر بن الخطاب، هو الذي يضاف إليه في الحديث «غَرَز» فيقال: غَرَزُ النقيع[5] - وهو يختلف عن «نقيع الخَضِمات[6] الذي حماه عمر بن الخطاب،

(١) الإصابة، باب الكنى رقم ١٢٠٣.

(٢) داود بن عيسى: أحد ولاة المدينة في عهد بني العباس، وقضاتها وربما كان في عهد المأمون العباسي (انظر أخبار القضاة لوكيع ص ٢٥٦ «وفي أمراء المدينة» للخياري أن الرشيد ولاه سنة ١٩٣ هـ).

(٣) «وفاء الوفاء» النقيع وهو تاريخ قريب من تاريخ بناء سور المدينة حيث كثرت الغارة انظر ص ١٩٤ من هذا الكتاب.

(٤) «أبو علي الهجري» لحمد الجاسر نقلاً عن البكري ص ٢٨٥، و«الأحكام السلطانية» ١٨٥.

(٥) الغَرَز، بالزاي الأخيرة المعجمة، وفتح الأوّل والثاني: نبات ترعاه الماشية (اللسان).

(٦) الخَضمات: بفتح أوله وكسر ثانيه، جمع خَضِمة، وهي الماشية التي تخضم، والخَضْم

وهو من أودية الحجاز أيضاً[١].

رُوي أن عمر بن الخطاب رأى رجلاً يعلف بعيراً، فقال له: أما كان في النقيع ما يكفيك؟.

ورُوي أن عمر بن الخطاب رأى في روث فرس شعيراً في عام الرمادة[٢]، فقال: «لأجعلنّ له من غَرَزِ النقيع ما يكفيه، ويغنيه عن طعام المسلمين»[٣].

وقد عاب الناسُ على عثمان أنه «حمى الحمى» وهو إنما زاد فيه، كما زاد عمر بن الخطاب على ما حماه رسول الله، وعلى الشروط نفسها التي وضعها رسول الله، وسار عليها عمر بن الخطاب وهو أنه «لا حِمى إلا لله ولرسوله».

وقد اضطر عثمان لزيادة الحمى، لكثرة الحاجة إلى الإبل والخيل التي تُستعمل في سبيل الله. وقد قال عثمان معتذراً: «إن عمر حمى الحمى وإن الصدقة زادت فزدتُ في الحِمى، فمن شاء أن يرعى فليرع»[٤].

وكان عمر بن الخطاب يمنع الأثرياء من الرعي في الحمى، ويسمح للفقراء. روى البخاري في كتاب الجهاد، وصية عمر لمولاه

= الأكل بالفم كله، فسمي بذلك، للخصب الذي فيه «وفي معالم طابة» الخضيمة: النبات الناعم فأسقطوا الياء، وجمعوه «خَضِمات».

(١) روى البخاري في الصحيح: أن عمر حمى غَرَز النقيع، ونقيع الخَضِمات.

(٢) عام الرمادة: حصل في زمن عمر بن الخطاب. وكان في هذا العام جدب عم الأرض في الحجاز، وجاع الناس جوعاً شديداً، وسميت عام الرمادة: لأن ـ الأرض اسودتْ من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد (البداية والنهاية جـ ٧ سنة ١٨).

(٣) معالم طابة ص / ٤١٧.

(٤) تاريخ المدينة لابن شبة جـ / ٣/ ١١٢٩.

هُنَيّ(١)، عـامله على الحمى قـال: يـا هُنيّ، اضمُم جَنـاحـك عن المسلمين، واتق دعوة المظلوم. فإن دعوة المظلوم مجابة، وأدخل رَبّ الصُّريمة ورب الغُنَيمة(٢)، وإياك ونَعَم ابن عفان وابن عوف، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع، وإن ربّ الصُّريمة ورب الغُنَيمة يأتيني بعياله فيقول: يا أمير المؤمنين، أفتاركهم أنا، لا أبالك، فالكلأ أهون عليّ من الدينار والـدرهم. والذي نفسي بيده، لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبراً»(٣).

والحمى جزء من النقيع، وليس النقيع كله.

وبعد أن عرّفت بحمى النقيع، أذكر تعريفاً موجزاً بكل مَعْلم من معالم النقيع الأخرى.

---

(١) قال ابن حجر: وهذا المولى لم أر من ذكره في الصحابة مع إدراكه.

(٢) الصريمة والغنيمة بالتصغير: القطعة القليلة من الإبل والغنم.

(٣) البخاري في كتاب الجهاد رقم/ ٣٠٥٨/ وفيه اختلاف يسير في الألفاظ.

قال ابن حجر: وإنما ساغ لعمر ذلك لأنه كان مواتاً فحماه لنعم الصدقة لمصلحة العموم. (فتح الباري) وإذا ذكر الرقم أمام صحيح البخاري فإنما هو (الفتح).

## معالم أخرى بارزة في النقيع

### حرة بني سُلَيْم:

قال أبو علي الهَجَري: تحف قاع النقيع من ناحية الشرق، حرة بني سُليم وفيها رياض وقيعان، وفيها دوافع في بطن النقيع. قال: وهي أعظم الحِرار، طول ثمانية أيام وأكثر. وربما مساحتها الواسعة جعلت ياقوت الحموي يقول: إنها في عالية نجد، نقلاً عن أبي منصور الثعالبي... وبنو سُليم يُنسبون إلى سليم بن منصور، قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان من العدنانية. ويتفرع إلى عدة عشائر وبطون، منها بنو الشريد قوم الخنساء، وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر، وتيماء، ووادي القُرى، وكانت بنو سليم تفخر بأشياء: منها أنهم كانوا مع الرسول يوم فتح مكة. ومنها: أن عمر كتب إلى الكوفة والبصرة والشام ومصر أن ابعثوا لي من كل بلد بأفضله رجلاً، فبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السُلمي(١)، وأرسل أهل الكوفة عتبة بن فرقد السلمي(٢)، وأرسل أهل الشام أبا الأعور السلمي(٣)، وأرسل أهلُ مصر

---

(١) مجاشع.. صحابي، من القادة الشجعان، توفي سنة ٣٦ هـ، (الإصابة ت ٧٧٢٣).

(٢) عتبة.. صحابي، نزل الكوفة، وهو الذي فتح الموصل سنة ١٨ هـ (تهذيب التهذيب جـ ٧).

(٣) أبو الأعور: عمرو بن سفيان.. صحابي، ذكره ابن حجر فيمن أرسل إلى عمر (الإصابة ٥٨٨١ جـ ٢).

معن[1] بن يزيد بن الأخنس السُلمي[2].

**الصُّحْرة:**

بالضم وإسكان الحاء المهملة؛ جوبة في الحرة، وتكون أرضاً لينة تطيف بها حجارة. وهي أيضاً: اسم أرض تحف قاع النقيع من غربيه. قال السمهودي: وأعراب تلك الجهة يسمونها اليوم: السُّحرة، بضم السين المهملة بدل الصاد.

**بَرَام:**

بفتح الباء والراء.

قال ياقوت: جَبلٌ في بلاد بني سُليم عند الحرة من ناحية النقيع.

وذكر الزبير بن بكار أودية العقيق، فقال: ثم تلعة برام، وفيها يقول المُحَرِّق المزني[3]، وهو ابن أخت معن بن أوس المزني:

وإني لأهوى مِنْ هَوَى بعض أهله    بَـراماً وأجـزاعـاً بهن بـرام[4]

وقال السمهودي: برام: جبل كأنه فسطاط، يبتدىء منه النقيع، وهو من أعلامه في الغرب، ويقابله «عسيب» في الشرق.

---

(١) معن.. صحابي، كانت له مكانة عند عمر بن الخطاب. قتل في وقعة مرج راهط سنة ٦٤ هـ (الإصابة ت ٨١٦١).

(٢) ولكن بني سُليم لم يحافظوا على مفاخرهم التي كسبوها في الإسلام. فمند أن انثالت الدولة العباسية واستبد الموالي من العجم عليهم اعتزّ بنو سليم بالقفر من أرض نجد وأجلبوا على الحاج بالحرمين ونالتهم من ذلك معرات، وتطاولت على الناس حول المدينة بالشر. وكانوا إذا وردوا سوقاً بالحجاز أخذوا سعرها كيف شاؤوا. انظر (معجم قبائل العرب) لعمر كحالة.

(٣) في معالم طابة: المخرق: بالخاء، وفي معجم البلدان: محرق: بالحاء المهملة، وفي «وفاء الوفا» الممزق: بالزاي أخت الراء، ولم أهتد إلى الحقيقة.

(٤) قوله من هوى: من: حرف جر، وأجزاعاً: جمع جزع: محلة القوم. والجزع من الوادي: حيث تقطعه. وفي رواية: وأجراعاً: بالراء المهملة، جمع الجرع، وهو الرملة التي لا تنبت شيئاً.

وقال أبو براء، عامر بن مالك[١]، يمدح أوس بن حارثة الطائي، لأنه أطلق أسرى «هوازن» وكساهم:

ألم تـرني رحلتُ العيس يومـاً      إلى أوس بن حـارثـةَ بـن لأم
وفـي أسـرى هـوازنَ أدركتـهـمْ      فـوارس طـيـيء بلِوى بـرام[٢]

وقال عمرو بن الوليد أبو قطيفة، يتشوق إلى المدينة ـ عندما نفاه ابن الزبير معَ مْن نَفى من بني أمية[٣]:

لـيت شعـري وأين مـني لـيتٌ      أعـلى الـعـهـد يَلْبَنٌ فـبَـرام
أم كعهـدي العقيقُ أم غيـرتْـه      بـعـديَ الـحـادثـاتُ والأيـام

**الواتدة:**

قال السمهودي: قَرْن منتصب شارع على أعلى نقيع الحِمَى. قال ياقوت: واتد: أي: منتصب، ومنه قولهم وَتَدٌ واتِد. والواتدة ماءة. ونقل الهجري: أنها «الوَتِدة» بغير ألف، وقال: من أعلام النقيع الغربية. وقال ياقوت: الوَتِدة: موضع في نجد، أو بالدهناء منها.

**ضاف:**

قال السمهودي: وادٍ غربي النقيع، تحفه الجبال، وقُدْس في غربيه، وأرضه مستوية يخالطها حمرة: قال عروة بن أذينه يذكره[٤]:

لسُعْدى بضـافٍ منـزلٌ متـأبّـدُ      عفا ليس مأهولاً كما كنت أعهد[٥]

---

(١) عامر بن مالك.. الملقب ملاعب الأسنة، أحد أبطال العرب في الجاهلية، أدرك الإسلام، وقدم على رسول الله في تبوك، ولم يثبتْ إسلامه «الإصابة ت ٤٤٢٤». توفي حوالى سنة ١٠ هـ.

(٢) وقوله: بلوى برام: اللوى: منقطع الرملة. يقال قد ألويتُم فانزِلوا: إذا بلغوا منقطع الرمل (وقصة الأبيات في معجم البلدان) (برام).

(٣) معجم البلدان (برام).

(٤) عروة.. شاعر غزل من أهل المدينة، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين، ولكن الشعر غلب عليه توفي سنة ١٣٠ هـ «المعارف لابن قتيبة».

(٥) متأبد: من تأبد المكان، أي: أقفر، وألفته الوحش. وعفا: انمحى. وبعد البيت: =

وقال ياقوت: صاف: بالصاد المهملة: جبل بتهامة. قال: ورواه بعضهم بالضاد المعجمة.

عسيب:

عسيب الذنَب: منبته. والعسيب: جريدُ النخل إذا نُحّي عنه خوصُه. قال ياقوت: جبل بعالية نجد معروف. قال الأصمعي: ولهُذيل جبلٌ يقال له: عسيب.

ونقل السمهودي عن الهجري: أن عسيب: جبل يقابل بَرَام في شرقي النقيع وهو أول أعلامه من أعلاه. ونقل الهجري: أن عليه مسجداً للنبي ﷺ. قال السمهودي: والمعروف أن المسجد على «مقِّمل». وقد مَرَّ أن الرسول أوقف رجلاً صيتاً فوق جبل عسيب، وحمى مدى صوت هذا الرجل، وهو حمى «النقيع».

وفي المثل يقولون: «لا أفعل ذلك ما أقام عسيب».

وفي كتاب «أبو علي الهجري»: وقال صخر بن الشريد وذكر عسيباً:

أجارَتنا إن المنونَ قريبُ ... من الناس كلَّ المخطئين تصيبُ
أجارتنا لستُ الغداةَ بظاعنٍ ... ولكنْ مقيمٌ ما أقام عسيبُ

وللشاعر امرىء القيس بيتان في المعنى نفسه، وعلى القافية نفسها والوزن نفسه:

أجارتنا إن المزار قريبُ ... وإني مقيمٌ ما أقامَ عسيب(١)

---

= عفتْه السواري والغوادي وأدرجت ... به الريح أبواغاً تَصُبُّ وتَصعد
فلم يبق إلا النؤى كالنّون ناحلاً ... نحول الهلال، والصفيحُ المشيدُ
الأبواغ: التراب الرخو. والنؤي: الحفير حول الخباء يدفع عنه السيل.

(١) الشعر والشعراء، لابن قتيبة: ص ٦٣ ويقول في المناسبة: ورأى امرؤ القيس قبراً =

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكلُّ غريب للغريب نسيب

وفي الكامل للمبرد[1] ثلاثة أبيات لصخر بن الشريد وليس فيها «عسيب» وهي:

أيا جارتا إنّ الخطوب قريب من الناس كلَّ المُخطئين تصيب
أيا جارتا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب
كأني وقد أدنْوا إليّ شِفَارهم من الأُدْم مصقولُ السَّراةِ نَكيبُ

وأبيات صخر قالها عندما اشتد ألمه من طعنة في جنبه، جاءَته يوم «ذات الأثل» وقد مات، ودفن عند «عسيب».

**مُقَمِّل:**

بضم الميم، وفتح القاف، والميم الثالثة المشددة المكسورة: وهو ظَرِبٌ - جَبَلٌ - صغير وسط النقيع. روى الزبير بن بكار: أن رسول الله أشرف علَى **مقمل** وسط النقيع وصلى عليه، فمسجده هنالك.

وقال ياقوت: مقمل: مسجد للنبي ﷺ. بحمى غَرَز النقيع.

وقال البكري: مقِّمل: جبل أحمر أفطح بين برام والواتدة، شارع في غربي النقيع.

روى المجد: قال أبو هيضم المزني[2] كان أبو البَخْتَري وهب بن وهب[3]، في سلطانه على المدينة بعث إليَّ بثمانين درهماً فعمرته بها. يريد أنه عمر المسجد فوق جبل مُقمِّل.

= لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقرة، وهو في رحلته إلى قيصر فسأل عن صاحبه، فخبر بخبرها، فقال الأبيات.

(١) الكامل جـ ٢/ ٣٤٥ وانظر شرح شواهد المغني، بتحقيق عبد العزيز رباح، وأحمد الدقاق ٣/ ١١١.

(٢) أبو هيضم: من أحفاد هيضم المزني الذي ولاه الرسول حمى النقيع (انظر حمى النقيع) من هذا الكتاب.

(٣) أبو البَخْتري: من قريش، قاض من العلماء بالأخبار والأنساب، ولد ونشأ في المدينة =

## يراجم:

بالياء والجيم: قال السمهودي: غدير ببطن وادي النقيع في صَير[1] الجبل، يصيّف. وروى الزبير أن النبي ﷺ، توضأ من غدير «يراجم» بالنقيع، وقال: «إنكم ببقعة مباركة» وفي «معالم طابة» وقال: «إنكم بعقدة مباركة» وقال تبّع الملك[2]:

ولقد شربتُ على يـراجمَ شربـةً    كـادتْ ببـاقيـة الحيـاة تُـذيـع

قال حمد الجاسر في حاشية «معالم طابة» يراجم يعرف الآن باسم الحويّط، وفدك باسم الحائط: واديان فيهما نخل وسكان كثيرون شرق خيبر في جوف الحرة.

## يَلْبَن:

بالياء المفتوحة في أوله، ثم اللام الساكنة، وبعدها الباء المفتوحة الموحدة قال ياقوت: جبل قرب المدينة، ومثله في «معالم طابة».

ونقل ياقوت عن ابن السكيت: يَلْبن: قَلْت[3] عظيم بالنقيع من حرة بني سُليم على مرحلة من المدينة.

قال كثير عزة[4]:

---

= وانتقل إلى بغداد في خلافة الرشيد ولاه الرشيد قضاء المدينة وأضيف إليه حرسها وصلاتها وعزل فعاد إلى بغداد فتوفي بها سنة ٢٠٠ هـ كان جواداً كثير العطايا للشعراء. وكان متهماً في رواية الحديث (تهذيب التهذيب) عده بعضهم من أمراء المدينة في العهد العباسي.

(١) الصَّير: بفتح الصاد المهملة: الناحية من الشيء أو طرفه.

(٢) معالم طابة: «يراجم».. ويراجم: لم تضبطها المراجع: بالجيم أو الحاء. في معالم طابة بالحاء، وفي حاشيته بالجيم. ومرة تكون بالباء الموحدة التحتية في أوله، ومرة بالياء المثناة التحتية، ونسبة الشعر إلى تبّع اليماني من اختلاقات المؤرخين.

(٣) القلت: النقرة في الجبل، أو النقرة في الصخرة أو العين ونحوها.

(٤) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، توفي سنة ١٠٥ هـ. وهو أشهر من تسمى بكثير من الشعراء. وهو صاحب «عزّة» شاعر حجازي. وكان يتشيع، وهجا عبدالله بن الزبير لما =

أأطلالَ دارٍ من سُعادَ بيَلْبَنٍ وقفتُ بها وَحْشاً كأنْ لم تُدمَّن[1]

وقال البكري: بقاع النقيع غُدُر تصيّف، فأعلاها يراجم، وأذكرها يَلْبَن. قال ياقوت: وقيل: يلبن: غدير للمدينة، وفيه يقول أبو قطيفة.

ليت شعري وأين مني ليتُ أعلى العهد يَلْبَنٌ فبَرام

وقد مرّ البيت في «برام».

**أثب، وأثيب**[2]:

قال الهَجَري: وبشرقي النقيع في الحرة، قلتان، يبقى ماؤهما ويصيّف، وهما أثب، وأثيب. وقال في ترتيب مجرى النقيع وغدرانه: ثم الأثبة[3]، وبها غدير يسمى الأثبة، وبه سُميت. وبه مال لعبد الله بن حمزة الزبيري، ونخل ليحيى الزبيري. وفي غدران العقيق «ذو الأثب» وفيه يقول أبو وجزة السعدي[4].

---

= كان بينه وبين بني هاشم ثم كان شاعر بني مروان وخاصاً بعبد الملك (معجم الشعراء).

(١) تدمّن المكان: سقطت فيه أبعار الإبل أو الغنم. والدمنة: آثار الناس وما سوّدوا ودمنت الماشية المكان: بعرت فيه وبالت. (اللسان).

(٢) لم أجدْ من ذكر هذين العلمين غير أبي علي الهَجَري وأثبتهما الأستاذ حمد الجاسر في كتابه عن الهجري. ومادة «أثب» قليلة في المعاجم. ولم يذكر اللسان إلا كلمة «المآثب» التي ذكرها كثيّر، وهي موضع لم يحدده فقال:

وهبتْ رياح الصيف يرمين بالسفا تليّة باقي قرمل بالمآثب

وفي القاموس: المِئثب كمنبر: وجمعه المآثب، الأرض السهلة والجدول. والمآثب علم أو جبل كان فيه صدقات النبي ﷺ. والأثَب: شجر. وقد تكون تصحيفاً لكلمة «الأتمُ» وهو شجر يشبه الزيتون واسم واد.

(٣) كتاب «أبو علي الهجري». و «معالم طابة» و «وفاء الوفا».

والأثبة: بالتحريك: نوع من الشجر.

(٤) أبو وجزة: واسمه يزيد بن عبيد توفي سنة ١٣٠ هـ. وكان شاعراً مجيداً وراوية للحديث، وقال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وهو مدني، من بني سعد أظآر رسول الله «الشعر والشعراء» و «تهذيب التهذيب».

قصدْن رِياضَ ذي أُثَبٍ مقيلاً وهنَّ روائح عين العقيق

وذكر ياقوت «الأثَيب» وقال: مويهة في رمل الضاحي قربَ رمَّان في طرف سلمى أحد الجبلين (أجا وسلمى).

وفي «معجم ما استعجم» ذكر «أَثيث» بفتح أوله وكسر ثانيه، وآخره ثاء معجمة بثلاث. و «أُثيّث» بضم أوله، تصغير «أثيث» وقال: هما قَلْتان بشرقي النقيع في الحرة. قال كثير:

ارْبَعْ فَحَيٍّ معارفَ الأطلال بالجزع من حُرُض فهن بوالي
فشِراجَ ريمةَ قد تقادم عهدها بالسفح بين أُثَيثٍ فثُعال[1]

. . . وهما غير الأثبة التي تذكر في منطقة «النقيع» لأن البكري أفردها بالذكر.

ويبدو أن المكان بقي عامراً حتى منتصف القرن الثالث، لأن ـ عبد الله بن حمزة الذي كان له به مالٌ متوفى سنة خمس وخمسين ومائتين[2].

(١) معجم ما استعجم ص/ ١٣٢٥، ١٠٩، ٤٣٩، تحقيق مصطفى السقا.
(٢) التحفة اللطيفة، لشمس الدين السخاوي جـ٢/ رقم ٢٠١٧.

# النقيع ومعالمه في الشعر العربي

يقول نقاد الشعر: إن كثرة دوران الاسم في الشعر دلالة على حب المسمى والعناية به. وذكر الشعراء الأماكن والديار دليل على مالهم من ذكريات عزيزة فيها أو لجمال بقاعها.

وقد أكثر الشعراء من ذكر «النقيع» ومعالمه في شعرهم، مما يدل على شهرة الموضع وأنه كان آهلاً بالناس، وملقى الأحبة والخلان. ولم أقع على شعر جاهلي يذكر النقيع، مما يدل على أنه عظم شأنه في الإسلام، بعد أن أصبحت المدينة عاصمة المسلمين، وهاجر الناس إليها وكثر سكانها، فبحثوا عن كل أرض صالحة للعيش، لاستدرار خيراتها، وحيثما كان العمران، كان الشعر.. وعواطف الشعراء لا تتوجه إلى خلاء. فحيثما يكون العمران تجود قرائح الشعراء، ولذلك كان أكثر ما وصلنا من الشعر الذي يذكر النقيع ومعالمه، من الشعر الإسلامي، الذي عاصر زمان عمرانه في القرن الأول، والقرن الثاني. وقد مرت بنا أمثلة من الشعر الذي يذكر معالم النقيع، ونذكر هنا بعض الأشعار التي ذكرت النقيع نفسه:

قال عبد الرحمن بن حسان يذكر قاع النقيع[1]:

---

(١) عبد الرحمن بن حسان، بن ثابت الأنصاري. شاعر وابن شاعر، كان مقيماً في المدينة، وتوفي بها سنة ١٠٤ هـ واشتهر بالشعر زمن أبيه، فقال حسان:

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ... ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

أرقتُ لبـرق مستـطيـر كـأنـه		مصابيحُ تخبو ساعةً تم تَلْمَح
يضـيء سنـاه لي شَـرَوْرَى ودونه		بقاع النقيع أو سنا البرق أنزحُ[١]

وقال كثير بن عبد الرحمن صاحب عزة:

فـهـل أُريَـنّ كـمـا قـد رأيـتُ		لعزّة بـالنَّعف يـومـاً حُمُـولا[٢]
بقـاع النقيـع بـصحـن الحـمى		يباهين بـالـرَّقم غيمـاً مُخيـلا[٣]

وقال أبو قطيفة، وهو من أرق الحنين إلى المواطن:

لـيت شـعـري وأين مـني لـيتُ		أعـلى الـعـهـد يَلْبَـنٌ وَبَـرام
أو كعهـدي النقيـع أم غيـرتـه		بـعـديَ الـمـعـصـرات والأيـام
اقْرَ مني السلام إنْ جئت قـومي		وقـليـلٌ لـهـم لـديّ الـسـلام

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات[٤]:

أزجـرتَ الفؤاد منـك الـطروبـا		أم تصـابيتَ إذْ رأيت المشيبـا
أم تـذكـرت آل سَلْمـة إذْ حلوا		ريـاضـاً من النقيـع ولُـوبـا[٥]
ثم لم يتـركـوا على مـاء عَمْقٍ		للرجـال الـوُرّاد منهم قلوبـا[٦]

---

(١) شَرَوْرى: ذكر ياقوت أقوالاً فيها: ومنها: جبل مطل على تبوك في شرقيها، أو مِنْ أرض ٍ لبني سُليم. ويروى البيت بصورة أخرى:
يـضـيء سـنـاه لـي سـروراً وودقُـه		بقـاع النقيـع أو سنـا البـرق أبـرَحُ
انظر «معجم البلدان». و (معالم طابة).

(٢) النعف في اللغة: ما انحدر من حزونة الجبل، وارتفع عن منحدر الوادي، والنعف من الرملة: مقدمها، وقد يكون مكاناً بعينه على وادي النقيع، والحُمول بضم الحاء والميم مفرده حمل، وهي الهوادج، أو الإبل التي عليها الهوادج.

(٣) الرقم: ضرب مخطط من الوشي أو البرود، وغيم مخيل: منذر بالخير. يقال: خَيّل السحاب: رعد وبرق وتهيأ للمطر، وهو مشتق من الخيل، وهو الظن.

(٤) عبيد الله: شاعر قريش في العصر الأموي، وكان زبيري الهوى، ثم أمنه عبد الملك، لقب: بالرقيات، لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهم «رقية» توفي نحو سنة ٨٥هـ (الأغاني جـ ٥).

(٥) لوبا: جمع اللوبة، الحرة من الأرض.

(٦) عَمْق: بالفتح والسكون: قيل: واد يصب في الفرع. وقيل: عين بوادي الفرع.

وقال أبو صخر الهذلي[1]:

قضاعية أدنى ديار تحلها ... قناة وأنّى من قناةَ المُحَصّب
ومن دونها قاع النقيع فأسقُفٌ، ... فبطن العقيق فالخبيتُ فعُنْبُب[2]

وقال ناهض بن ثومة[3]:

تركنا بالنقيع بني سُليم ... ذوي ذلّ لنا وذوي خنوع
وقد نزلوا النقيع ولابَتَيْه ... فما نجّاهُمُ لُوْب النقيعِ
نقبنا الحَرة السوداء عنهم ... كنقب الرأس عن أم السَّميع[4]

أما «الحمى» فللعرب أشعار كثيرة فيه، ولكنه يُذكر مطلقاً دون إضافة، ومنه[5]:

ومَنْ كان لم يغرضْ فإني وناقتي ... بنجدٍ إلى أهل الحمى غَرِضان[6]
أليفا هوى مِثلان في سرّ بيننا ... ولكننا في الجهر مختلفَان
تحنُّ فتُبدي ما بها من صبابةٍ ... وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

وقال آخر:

خليليَّ ما في العيش عيب لَوَاننا ... وجدنا لأيام الحمى مَنْ يعيدُها
لياليَ أثوابُ الصِّبا جُددٌ لنا ... فقد أبهجتْ هذي عليَّ جديدُها

---

(١) أبو صخر.. اسمه عبدالله بن سلمة.. توفي سنة ٨٠ هـ، شاعر من الفصحاء، كان في العصر الأموي موالياً لبني مروان متعصباً لهم. وكان قد حبسه عبدالله بن الزبير عاماً وأطلقه بشفاعة رجال من قريش «الأغاني طبعة الدار ٥/ ١٨٥». (والبيتان في معجم البلدان).

(٢) أسقف: بضم القاف موضع بالبادية، كان به يوم من أيام العرب. والخبيت: ماء لأشجع وعبس. وعنبب: واد باليمن.

(٣) ناهض بن ثومة: شاعر بدوي فارس فصيح، من شعراء العصر العباسي، كان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره، وتؤخذ عنه اللغة، وله أخبار في الأغاني متوفى سنة ٢٢٠ هـ والأبيات في كتاب «أبو علي الهجري» ٣٧٩.

(٤) أم السميع: الدماغ.

(٥) معالم طابة ص ١٢٢.

(٦) غرض: بكسر عينه ـ اشتاق.



# الفَصْل الثَانِي

## «العقيق الأقصى»
## من نهاية النقيع إلى الشجرة

معالم العقيق الأقصى:

* الأَتَمة.
* حَضير.
* ذو العش.
* نقعاء.
* ذو الميث.
* مزج.
* رَواوة.
* الأثبة.
* ريم.
* الخليقة.
* الجثجاثة.
* شوطى وألجام.
* حمراء الأسد.
* مُنشد.
* روضة خاخ.
* ثنية الشريد.
* جبل عَيْر.
* ذو الحليفة.

الطريق من المدينة إلى مكة تمر بالعقيق.

# معالم العقيق الأقصى

يرى بعض المؤرخين: أن العقيق يبتدىء من «حَضِير» وأن ما قبلها هو النقيع، ومنهم من يعتبر النقيع من العقيق. وهو قول الزبير بن بكار الذي قال: «ثم اذهب بالعقيق صُعُداً إلى منتهى «النقيع».

وقد أخذت في تقسيمي برأي القاضي عياض: حيث جعل للعقيق صدراً وهو «النقيع». وقد خصصت له الفصل الأول.

ثم قسم المجرى إلى قسمين: العقيق الأدنى: وهو القريب من المدينة، بعد ذي الحُليفة. وهناك عقيق آخر من الشجرة فهلم صعداً حتى النقيع، وقد سميته العقيق الأقصى، وخصصت له الفصل الثاني من هذا الكتاب.

وقد تعددت المعالم في ترتيب مجرى السيل، واتفق المؤرخون على عدد منها واختص بعضهم بذكر معالم لم يذكرها الآخرون، وسوف أعرّف بما اتفقوا عليه، وأنتقي مما اختص به بعضهم، وسيكون اختياري مقصوراً على المعالم التي لها ذكر في الشعر أو التاريخ أو السيرة، لأن منهجنا يميل إلى التأريخ وليس مقصدنا الاستقصاء، فالاستقصاء نجده في كتب معاجم الأماكن والكتب الجغرافية. أما التاريخ، فيأخذ من المعالم ما له دلالة على تاريخ الديار التي يؤرخ بها. وقد جمعت بين أشهر المعالم التي ذكرها ثلاثة من أشهر مؤرخي المدينة المنورة وهم: عمر بن شبة، والزبير بن بكار. وأبو علي الهجري. وسوف أعرض

المعالم حسب موقعها في ترتيب مجرى وادي العقيق:

## الأَتَمة

قال البكري: واد من أودية النقيع الذي حماه رسول الله ﷺ. وهي أتمة ابن الزبير. وهي بساط طويلة واسعة تُنبت عَصْما[1] للمال. وهناك بئر تُنسب إلى ابن الزبير. وكان الأشعث المدني[2] ينزل الأتمة[3] ويلزمها، فاستمشى ماشية كثيرة، وأفاد مالاً جزلاً. وقال عـاتق البلادي: وهي تسمى اليوم: اليَتمة.. وهو وادٍ زراعي يصب في النقيع، ومنـه ترى بياض أرض النقيع الواسعة وتبعد عن المدينة (٨٥) كيلاً.

## حَضِير

بفتح الحاء المهملة والضاد أخت الصاد المعجمة، وزن «أمير». وهو عند الأكثرين: بداية العقيق[4] وأول مرحلة بعد قاع النقيع في طريق السيل إلى المدينة.

قال البكري: وسيل النقيع يفضي إلى قرار أملس، وهي أرض بيضاء جهاد لا تنبت شيئاً، لها حس تحت الحافر، والعرب تسمي هذه الأرض: النفخاء والجمع: النَّفَاخى[5]، ويليها أسفل منها «حَضِير»[6].

---

(١) العصم: النبات يعقل بطن الماشية. والمال: الإبل والغنم.

(٢) الأشعث المدني: أشعث بن إسحق بن سعد بن أبي وقاص يروي عن عمه عامر وعنه: الأعرج.

(٣) نقل السمهودي أنها أتمة عبدالله بن الزبير وبها بئر تعرف باسمه. وفي رواية: الأشعث المزني. وأوصاف الأتمة تنطبق على «الأثبة» التي سيأتي ذكرها.

(٤) انظر حدود وادي العقيق من هذا الكتاب.

(٥) في مجالس ثعلب جـ ١/ ٢٨٤: «وقد قالوا: نفخاء رابية: أي ليس بها رمل ولا حجارة، والجمع: نفاخى، بفتح النون والفاء والخاء، والألف بعدها.

(٦) معجم ما استعجم ص ١٣٢٦. وهي بالصاد المهملة. ولكن المراجع الأخرى تضبطها بالضاد المعجمة، ويرى «عاتق البلادي» أن (حضيراً) كانت تطلق على عقيق الحسا، ما بين بئر الماشي إلى ذي الحليفة (على طريق الهجرة) ص ١٠٥.

وقال ياقوت: قاع يفيض عليه سيل النقيع، ثم ينتهي إلى «مُزْج».

قالوا: وفي حضير آبار، ومزارع، ومرعى للمال[1] من عضاه، ورمث وأشجار.

وفي «حضِير» يقول الشاعر، وكلن يسكنه هو وولده بعده، ولامته امرأته في بعض أمره، وتركه المدينة[2]:

ألا قــالــت أُثيــلة إذْ رأتنــي ... وحلو العيش يُذْكرُ في السنين[3]
سكنتَ مُخـايـلاً وتــركت سَلعـاً ... شقـاءً في المعيشـةِ بعــد لين[4]
فقلت لهــا ذبـتُ الـدَّين عـني ... ببعض العيش ويحـك فاعـذريني
وقَـرْفـي الأرضَ إن بـه معـاشـاً ... يكفّ الوجه عن بـاب الضنين[5]
ستكفيني الـمِذاقُ على حضيــر ... فتغنيني وأُحْبَسُ في الـدَّرِيـن[6]
أسـرك أنـني أتـلفـت مــالــي ... ولـم أرْعِ على حسبـي وديـنـي

أما رواية ابن شبة فتقول: كان ابن نُمير الحضرمي شاعراً مسناً،

---

(١) المال: والجمع أموال. وهو كل ما ملكته من جميع الأشياء. ويطلق عند أهل البادية على النعم والمواشي، كالإبل والغنم. يذكر ويؤنث. ويقال: خرج إلى ماله، أي: إلى ضياعه أو إبله.

(٢) في كتاب «أبو علي الهجري» نسبها إلى «مصعب» ولم أعرف من مصعب الذي كان يسكن «حضير» ويقول الشعر. في «معجم الشعراء» للمرزباني «مصعب بن عبدالله» صاحب نسب قريش، وكان يسكن في بغداد، وحاله لا ينطبق على قصة الأبيات، لأنه كان مقرباً من الخلفاء في سعة من العيش. قلت: لعله: مصعب بن ثابت المتوفى سنة ١٥٧ هـ، ولم ينقل أنه شاعر، وكان راوية للحديث، وكان عابداً زاهداً (تهذيب التهذيب). وفي «وفاء الوفا» نسبها إلى «نمير مولى عمر».. ولم أعرف من هو «نمير». وفي «تاريخ المدينة» لابن شبة جـ ١/ ٢٩٣، نسبها إلى «ابن نمير الحضرمي» وليس في روايته اسم «حضير».

(٣) في «معالم طابة» في «مخايل» ألا قالت أثالة يوم قوّ. وفي رواية ابن شبة: «ألا قالت أمامة».

(٤) مُخايل: بضم الميم وكسر الياء: من أودية العقيق التي تصب على حضير.

(٥) وقرفي.. قرف لعياله: كسب. وقد تكون فرقي: بتقديم الفاء على القاف: من «فرق» بمعنى اتخاذ الطرق في الأرض والسعي.

(٦) المذاق: جمع مذقه: الشربة من اللبن تخلط بالماء. والدرين: ما بلي من العشب فلا تأكله الدواب. وأم درين: الأرض المجدبة. وأدرنت الماشية: رعت الدرين.

وكان نازلاً ببلاد قومه، ثم نزل المدينة يسيراً من دهره ثم حن فرجع إلى بلاده نكراً منه في معيشته، فلامته على ذلك زوجته، فقال يعتذر لخروجه عن المدينة:

ألا قـالت أُمـامـه بعـد دهـر ... وحلو العيش يُـذكـر في السنين
سكنتَ مُخـايـلاً وتـركت سَلْعـاً ... شقـاءً في المعيشـة بعـد ليـن
فقلت لهـا ذببتُ الـدَّين عـني ... ببعض العيش ويحك فاعـذريني
أرجّي في المعاش على «خضمّ» ... فيكفيني وأحسن في الـدرين[1]
وغَـرْب الأرض أرض به معـاشـاً ... يكف الوجه عن بـاب الضنين[2]

وقال أبو زياد[3]:

ألم تـر أني والهـزبـرَ وعـامـراً ... وثـورةَ عشنا من لحـوم الـطرائـد
يقـولـون لمـا أقلع الغيث عنهم ... فهـل من ليالٍ بـالحضير عـوائد

## ذو العش

بضم العين المهملة بلفظ عش الطائر. ذكره الزبير بن بكار من أعالي أودية العقيق بعد النقيع. ويقول المجد: ذو العش وادٍ من أودية عقيق المدينة.

قال القتّال الكلابي[4]:

---

(١) «خضم» بدل «حضير» ولم أجده في معاجم الأمكنة. وقوله: وأحسن في «الدرين» لا تناسب المعنى. ورواية «أحبس» أقرب.

(٢) قوله: وغرب الأرض «أرض». سياق الكلام يقتضي أن يكون فعلاً مضارعاً ولكنه حذف آخره دون سبب... إلا إذا مال الشاعر إلى الحكمة ويكون «أرض» فعل أمر والفعل «يكف» جواب الأمر. والغرب: النوى والبعد والذهاب والتنحي عن الناس.

(٣) «معجم البلدان» و«معالم طابة» وأبو زياد: أحد الأعراب الذين كانوا يفدون من البادية واسمه يزيد بن عبدالله بن الحر. قدم بغداد أيام المهدي حين أصابت الناس المجاعة وكان شاعراً «انظر الفهرست» وهو من شعراء حماسة أبي تمام.

(٤) القتال: اسمه عبدالله بن المجيب. ولقب القتال لأنه قتل جارية وعدا على ابن عمه فقتله وعندما حبسه والـي المدينة قتل حارس السجن.

كأن سحيقَ الإثمدِ الجون أقبلتْ مدامعُ عنجـوجٍ حَذَرْن نـوالُها[1]
تـتبـعَ أفنــان الأراك مقيَـلُهــا بذي العشُ يُعري جانبيه اختصالُها

وقال ابن ميادة[2]:

وآخر عهد العين من أم جحـدرٍ بذي العُش إذ رُدتْ عليها العرامس[3]
عــرامُس مـا ينـطقن إلا تبغّمـاً إذا أُلقيتْ تحت الرحال الطنافس[4]
وإني لأن ألقـاك يـا أمَّ جحــدرٍ ويحتــل أهـلانـا جميعــاً لآيس

## نَقْعاء

بالفتح، ثم السكون والمدّ. قال ياقوت: مأخوذ من الاستنقاع وهو كثرة الماء في الأرض أو من النقع وهو الريّ من العطش.

و «نقعاء» ذكرها ابن شبة من مراحل العقيق..

قال ياقوت: موضع خلف المدينة فوق النقيع من ديار مزينة، وكان طريق رسول الله في غزوة بنِي المصطلق[5]، وقال ابن السكيت: هي خلف المدينة وأنشد المزرّد[6]:

---

(١) العنجوج: الرائع من الخيل والنجيب من الإبل.
(٢) ابن ميادة: الرماح بن يزيد وميادة أمه. عاش في الدولتين وتوفي سنة ١٤٩ هـ وهو شاعر رقيق هجاء. وكان مقامه في نجد. «الشعر والشعراء».
(٣) العرامس: جمع عرمس وهي الناقة الصلبة الشديدة.
(٤) بغمت الناقة وتبغمت: قطعت الحنين ولم تمده.
(٥) انظر أنساب الأشراف جـ/ ١/ ٣٤١/ وحصلت الغزوة سنة ست في شعبان. فقد علم الرسول ﷺ أن رئيس بني المصطلق سار في قومه لحرب المسلمين فخرج النبي إليهم وسبى ذراريهم وأموالهم ومن السبايا أمّ المؤمنين جويرية بنت الحارث. وتسمى الغزوة «المريسيع» وهو اسم ماء نزل الرسول ﷺ عليه. وفي أعقاب هذه الغزوة كان «حديث الإفك».
(٦) معجم ما استعجم/ ١٣٢٢ مزرّد: اسمه يزيد بن ضرار، أخو الشمّاخ شاعر مخضرم، توفي سنة ١٠هـ. وله ديوان مطبوع. [ معجم الشعراء في لسان العرب ].

أكلَّفْتمــاني ردَّهـا بعــدمــا أتتْ      على مَخْرِمِ النَّقْعاء من جَوْف هيثم[١]

## ذو المِيث

بكسر أوله وسكون ثانيه، وآخره مثلّثة.

قال ياقوت: الميثاء: الرملة اللينة، وجمعها: ميث.

وذو الميث موضع بعقيق المدينة. وذكره الزبير من مراحل العقيق، بعد أن يخرج السيل من النقيع. قال علي بن أبي جحفل.

أتــزعِم يـومَ المِيث عَمْـرةُ أنني      لدى البين لم يعززْ عليّ اجتنابُها
وأُقسم أنسَى حُبَّ عمرة ما مشتْ      وما لم ترمْ أجزاعَ ذي المِيث لابُها[٢]

## مُزْج

بضم الميم وسكون الزاي، قد يكون جمعاً لـ «مَزِج» بفتح الميم وكسرها، وهو العسل، لأنه مزاج لكل شراب حلو.

و «مزج» اسم غدير يفضي إليه سيل العقيق، بعد «حَضِيـر» لا يفارقه الماء، وهو في شقّ بين جبلين يمرّ به وادي العقيق فيحفره لضيق مسلكه.

قال السمهودي: مُزْج: من غُدُر العقيق، يفضي السيل من حضير إليه.

وقال الهَجَري: إنه غدير يمرّ بين فلقتي جبل يشقه السيل، واسم الجبل «أسْقُف».

---

(١) مخرم الجبل والسيل ـ بكسر الراء ـ أنفه. وهيثم: موضع هناك.
(٢) معجم البلدان «ميث». وقوله: وأقسم أنسى: يريد: لا أنسى.

قال الأحوص الأنصاري يذكر المُزج[1]:

وأنَّى له سَلْمى إذا حلّ وانتوى بحلوانَ واحتلتْ بمُزْج وجُبْجُب[2]

ولولا الذي بيني وبينك لم تجبْ مسافة ما بين البُويب ويثرب[3]

وقال أيضاً يذكر أُسقُف وحَضِير:

طربتَ وكيف تطرب أم تَصابى ورأسُك قد توشّع بالقتير[4]

لغانيةٍ تحل هضابَ خاخٍ فأُسقفَ فالدوافعَ من حَضِير[5]

## رُواوة

نقل السمهودي عن أبي علي الهَجَري في ترتيب مجرى العقيق: قال: ثم يُفضي إلى المُزج، ثم إلى المستوجبة، ثم إلى غدير يقال له «ديوا الضرس» ثم إلى غدير المجاز، ثم إلى غدير يقال له: «روارة» برائين، أما رُواوة، بوزن زُرارة فهي بتكرير الواوين.

ونقل عن ابن السكيت قوله: رُواوة، وادٍ بين الفرع والمدينة، وذكره ياقوت مفرداً، وقال: موضع في جبال مزينة.

وفي تاريخ ابن شبة ذكر «رواوتين» مثناه.

---

(١) الأحوص: اسمه عبدالله، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه. وهو من الأنصار شاعر هجّاء ماجن من أهل المدينة. نفي إلى جزيرة دهلك بين اليمن والحبشة لسوء سيرته، وأطلقه يزيد بن عبد الملك، توفي سنة ١٠٥ هـ (الشعر والشعراء/ ٤٢٤).

(٢) انتوى بالمكان: أقام. حلوان: منها حلوان مصر. ومنها حلوان: مدينة قديمة بالعراق. وجبجب: ماء بنواحي اليمامة. وقال البكري: ماء بيثرب.

(٣) البويب: نهر كان بالعراق موضع الكوفة، كانت عنده وقعة بين المسلمين والفرس في أيام أبي بكر الصديق والبويب: مدخل أهل الحجاز إلى مصر انظر «شعر الأحوص الأنصاري» ص ٨٦. و«معجم البلدان» البويب.

(٤) تصابى: تتصابى حذف إحدى التائين. توشع الشيب رأسه: علاه. والقتير: الشيب.

(٥) الدوافع: جمع دافعه. وهي التلعة من مسايل الماء «خاخ» سيأتي تعريفها في إحدى مراحل العقيق «شعر الأحوص» ص ١٣٤.

وذكرها مثناة في شعر ابن هَرْمَة(١):

حيٍّ الديار بمُنْشدٍ فالمنتضى ... فالهضبهضب رُواوتين إلى(٢) لأي

قال ياقوت: «ثناه لإقامة الوزن، وهم يفعلون ذلك كثيراً جداً».

وقال ابن هرمة أيضاً:

عفا النَّعف من أسماءَ نعفُ رُواوةٍ ... فريمٌ فهُضْب المُنتَضَى فالسلاسل(٣)

وقال كثير عزة:

وغير آياتٍ ببُرْق رُواوة ... تنائي الليالي والمدى المتطاولُ(٤)

ظللتَ بها تغضي على حَدّ عَبرة ... كأنك من تجريبك الدهر جاهلُ

وقال الأحوص الأنصاري في مطلع قصيدة يمدح بها عبد العزيز بن مروان:

أقوتْ رُواوة من أسماءَ فالسندُ ... فالسَّهْبُ فالقاعُ من عَيرين فالجُمُدُ(٥)

## الأَثَبَة

واحدة الأثب، وهو شجر.

---

(١) ابن هرمة: إبراهيم بن علي، من سكان المدينة، متوفى سنة ١٧٦ هـ عاش في الدولتين الأموية والعباسية (الشعر والشعراء) ص ٦٣٩.

(٢) منشد: بضم الميم وكسر الشين المعجمة: جبل بطريق الفرع. لأي: ناحية من نواحي عقيق المدينة. وقال البكري: موضع في بلاد مزينة. والمنتضى والسلاسل: أودية بين الفرع والمدينة.

(٣) النعف لغة: ما انحدر من حزونة الجبل، وارتفع من منحدر الوادي، ومن الرملة: مقدمها وتضاف إلى عدد من الأماكن. ريم: اسم واد قرب المدينة لمزينة، وقال السمهودي: ريم من أودية العقيق. وروي أن رسول الله هبط بطن ريم في سفر الهجرة (سيرة ابن هشام جـ ٢/ ١٣٦).

(٤) بُرق: بضم الباء الموحدة: أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين. جمع (برقة).

(٥) أقوت الدار: خلت. والسند: مكان معروف في البادية، والسهب: ما استوى من الأرض. والقاع: أرض واسعة سهلة مطمئنة.

وعيرين: تثنية عير: وهما جبلان يقال لهما: عير الوارد، والآخر عير الصادر. وهما متقاربان. وهما عن يمينك ببطن العقيق وأنت تريد مكة، والجُمد: جبل في نجد.

قال أبو علي الهجري في ترتيب مجرى العقيق: ثم يفضي إلى الأَثَبة، وبها غدير يسمى «الأثبة» وبه سميت الأرض. وفيها مال: لعباد[1] ابن حمزة بن عبدالله بن الزبير، ونخل ليحيى الزبيري[2]، وفيها نخل كثير وهو وَقْف... وقد يقصدها الشاعر بقوله:

قصدن رياض ذي أَثَب مقيلاً  وهن روائح عين العقيق

وهناك خلط بين الأثبة والأتمة ويظهر: أنهما مكان واحد. فكلاهما مملوك لآل الزبير وهما علمان في مجرى العقيق بعد أن يخرج من النقيع.

وعلى كل حال فإننا نعرف من قصة المكانين أن آل الزبير كانوا يهوون عمارة الأرض وكان جدهم الزبير رضي الله عنه قد نمّى ثروته من عمارة الأرض والتجارة.

## ريم، أو رئم

قال ياقوت: بكسر أوله، وهمز ثانيه وسكونه: واحد الآرام. وقيل: بالياء غير مهموزة. وهي الظباء الخالصة البياض.

وهو واد لمزينة قرب المدينة يصب فيه «ورِقان»[3] وريم من أودية العقيق يلقاه ثم يدفعان في خليقة ابن أبي أحمد.

---

(١) عباد بن حمزة: من رواة الحديث، وكان سخياً كريماً، أحسن الناس وجهاً، ويحيى: هو ابن عباد. وفي (وفاء) عبدالله بن حمزة.

(٢) هناك يحيى بن عباد بن حمزة ويحيى بن عبدالله وكلاهما من آل الزبير والاثنان من رواة الحديث وكانا متعاصرين. انظر (تهذيب التهذيب) لابن حجر.

(٣) ورِقان: بكسر الراء، أو سكونها في الشعر: جبل أسود، يميل إلى الحمرة وهو في الطريق بين المدينة ومكة، عنده عيون كثيرة عذاب، وسكانه من مزينة. وروي أن الرسول ﷺ قال: «خير الجبال أحد والأشعر وورقان» «معجم البلدان» و«تحقيق النصرة للمراغي ص ١٥٩» و«الأشعر» جبل جهينة ينحدر على ينبع.

وفي «الموطأ» أن ابن عمر ركب إلى «ريم» فقصر الصلاة في مسيره ذلك[١].

وفي السيرة النبوية لابن هشام: أن رسول الله ﷺ، هبط بطن رئم في سفر الهجرة، ثم قدم قباء.

قال عروة بن أذينة:

لسُعدى موحشٌ طلل قديم ... بريم ربما أبكاك ريم[٢]

وفي طبقات ابن سعد أن عبدالله بن بحينة، كان ينزل بطن ريم، وتوفي فيه[٣].

وقال كثير:

عرفتُ الدارَ قد أقوتْ برئم ... إلى لأيٍّ فَمَدْفعِ ذي يَدُومِ[٤]

وقال حسان بن ثابت:

لسنا بريم ولا حمتٍ ولا صَوَرى ... لكن بمرج من الجولان مغروس
يُغدى علينا براووق ومسمعة ... إن الحجاز رضيع الجوع والبوس[٥]

---

(١) قال البكري: وقال سالم بن عبدالله بن عمر أن أباه عبدالله زكب إلى ريم فقصر الصلاة في مسيرة ذلك. قال مالك وذلك نحو أربعة برد انظر «الموطأ» باب ما يجب فيه «قصر الصلاة».

(٢) قوله: لسعدي موحش.. برفع موحش: كما أثبته محقق معجم البكري. «وموحش» صفة طلل، وطلل نكرة، ونعت النكرة إذا تقدم عليها انتصب على الحال، كقول الشاعر كثير عزة:

لمية موحشاً طللُ يلوحُ كأنه خلل

انظر شذور الذهب الشاهد رقم ٧ صفحة ٢٤. وشرح أبيات المغني جـ/ ٢/ ١٨١.

(٣) عبدالله بن عبد الملك، وبحينه أمه، صحابي، روى عن النبي ﷺ وكان ناسكاً فاضلاً يصوم الدهر، توفي في إمارة مروان بن الحكم على المدينة «الإصابة» و«تهذيب التهذيب».

(٤) لأي، ويدوم: واديان من بلاد مزينة يدفعان في العقيق.

(٥) قال ابن شبة في تاريخ المدينة جـ ١/ ٢٨٧: وقدم حسان بن ثابت على الحارث بن عمرو بن أبي شمر الغساني، فأكرمه وحباه، وأصاب عيشاً فقال.. وذكر البيت الثاني.

# الخليقة ـ الخلائق

نقل ياقوت عن أبي منصور، قال: رأيت بذروة الصَّمان[1] «قلاتاً» تمسك ماء السماء، في صفاة خلقها الله تعالى فيها، تسميها العرب «الخلائق» الواحدة خليقة.

قال صخر بن الجعد الخضري[2]:

كفى حَزَناً لو يعلمُ الناسُ أنني أدافعُ كأساً عند أبواب طارق[3]
أتنسيْن أياماً لنا بسُويقة وأيامنا بالجِزْع جِزْع الخلائق[4]
لياليَ لا نخشى انصداعاً من الهوى وأيام جَرْم عندنا غير لائق[5]

قال الهَجَري: وسيل العقيق بعد خروجه من «النقيع» يلقاه وادي «ريم» وهما إذا اجتمعا، دفعا في الخليقة ـ بالقاف ـ خليقة عبدالله[6] بن أبي أحمد. وبها مزارع وقصور ونخيل لغير واحد من آل الزبير وآل أبي أحمد.

---

= ولم أجد البيتين في ديوان الشاعر. و«حمت وصورى» واديان قرب المدينة، والبيتان في «معجم البلدان» و«معالم طابة» ولا يوجدان في ديوان الشاعر وقد يكونان منتحلين. فكما يبدو من قصة البيتين أن الشاعر قالهما في الجاهلية ولم تكن حال الحجاز أو المدينة كما وصفهما الشاعر في البيت الثاني. ولم يكن من شأن الشعراء أن يذموا مواطنهم. والبيتان أشبه بالشعر الإسلامي الذي يصور حال الحجاز في أواخر العصر الأموي وقد توفي الشاعر في خلافة معاوية.

(١) الصَّمان: كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل. وموضع بعينه شرق الدهناء.

(٢) صخر بن الجعد: شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وكان مغرماً بفتاة اسمها «كأس» بنت بجير، وأشهر شعره ما قاله فيها، متوفى سنة ١٤٠ هـ «الأعلام».

(٣) طارق: وهو طارق بن عمرو، أمير المدينة بعد تخليصها من سلطان ابن الزبير وقد أقيمت دعوى على الشاعر، فأحضر إلى المدينة.

(٤) سويقة: موضع قرب المدينة.

(٥) جرم ـ بالراء المهملة، أو بالزاي، رجل كان يعاديه ويشي به.

(٦) عبدالله بن أبي أحمد بن جحش الأسدي، ولد في حياة النبي ﷺ، وهو من كبار التابعين، لقي عمر بن الخطاب (تهذيب التهذيب ـ والإصابة).

وقال ياقوت: وكان لعبدالله بن أبي أحمد أرض يقال لها: الخلائق، بنواحي المدينة، فقال فيها الحَزين الدِّيلي[1]:

لا تـزرعنَّ من الخلائق جـدولاً ... هيهات إنْ ربُعت وإن لم تُرْبـع
أمـا إذا جاء الـربيع لبئـرهـا ... نُـزحت وإلا فهي قـاع البلقـع
هذي الخلائق قد أطرتُ شرارها ... فلئن سلمتُ لأفـرغـن لينبـع

وفي السيرة، أن الرسول عليه الصلاة والسلام، مَرّ بالخلائق وهو في طريقه إلى ذات العُشَيرة[2].

وفي سيرة ابن هشام جـ ٤/ ٤٠: أن الرسول لما أجمع المسير إلى مكة لفتحها، كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم، فأوحى الله إلى الرسول بالخبر، فأرسل عليًّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام، فقال: أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش يحذرهم، فخرجا حتى أدركاها بالخليقة، خليقة بني أبي أحمد[3].

قال الأستاذ إبراهيم العياشي[4]: الخليقة: يقول لها الناس اليوم «الخريقة» محرفة اللام إلى راء. وتقع في وسط مجرى العقيق. وبين مزارع الحُليفة العليا ـ بالحاء المهملة ـ مما يلي حمراء الأسد، وبعد ثنية الشريد. ويفهم من كلامه: أن مزارع ثنية الشريد التي اشتراها معاوية بـواسطة عبـدالله بن أبي أحمد وهي تجـاور الخليقة هي التي تسمى

---

(١) عمرو بن عبيد، من بني الديل. ويقال له: الحزين الكناني. من شعراء الدولة الأموية وكان كثير الهجاء لآل الزبير وقد كانت لهم مزارع وقصور ونخيل في الخلائق.

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢/ ٢٤٨. والعُشيرة: تصغير: العَشَرة، العدد. وهو مكان قرب ينبع. وكانت الغزوة قبل غزوة بدر الكبرى سنة اثنتين، في جمادى الأولى، وانظر البخاري (رقم ٣٩٤٩).

(٣) وسيأتي ذكر لهذا الخبر في روضة «خاخ» وأن الرسول حدد المكان عند إرسال عليّ والزبير، وهو روضة خاخ ـ وانظر مسند أبي يعلي، مسند الإمام علي ٣٩٤.

(٤) «المدينة بين الماضي والحاضر» ٤٦٥ ـ ٤٦٦.

«الخلائق» وأرى أنها مجموعة من الآبار والمزارع يملكها عدة من الناس، غلب عليها اسم أحد مالكيها[1].

وبعد الخليقة، تَنْبطحُ السيول، أو تنتطح: سيل النقيع، وسيل مُراخ[2] وآنقه، عند جبل يقال له: «فاضح المنتطح»[3] ويسمى «واسط»[4] أيضاً، وهو الذي عناه كثيّر بقوله:

أقاموا فأما آلُ عَزَة غُدوةً فبانوا وأما واسطٌ فمقيم[5]

وقال عروة بن أذينة يذكر «آنقة»:

يا دارُ مِنْ سُعدى على آنقة أمستْ وما عينٌ بها طارفة[6]

وفي «معجم البلدان» فاضح: موضع قرب مكة عند أبي قبيس. كان الناس يخرجون إليه لحاجاتهم. سمي بذلك لأن بني جرهم، وبني قطوراء، تحاربوا عنده، فافتضحت قطوراء، وقتل رئيسهم السميدع. . .

وقال ياقوت: قال نصر: فاضح جبل قرب «رئم» وهو واد قرب المدينة، وبهذا يكون العلَم، هو «فاضح» وأضيف إلى المنتطح، ليعني: الجبل الذي يحصل عنده الانتطاح. وهنا يراد به الجبل الذي تلتقي عنده السيول فتنتطح أو تنبطح.

---

(١) انظر «أبو علي الهجري» ص ٢٩٢ قال: خليقة عبدالله بن أبي أحمد، وفيها مزارع ونخل، لقوم من آل الزبير، وآل عمر، وآل أبي أحمد.

(٢) مُراخ: بضم الميم: من أودية العقيق، مما يلي القبلة في الغرب، ويقال له: «مُراخ الصّحرة» وبئر معروف اليوم «وفاء الوفا ١٣٠٢».

(٣) «أبو علي الهجري» ٢٩٣.

(٤) «وفاء الوفا».

(٥) في معجم البلدان: «واسط» جبل في مكة. قال: وقف عبد المجيد بن أبي روّاد بأحمد بن ميسرة على «واسط» في طريق منى، فقال له: هذا واسط الذي يقول فيه كثير عزة. . وذكر البيت.

(٦) معجم ما استعجم ص ٩٤ ـ آنقة: بالقاف، من الأنق.

# الَجْثجاثة

بفتح الجيم وتكريرها: قال ياقوت: وهو نبت مرّ[1].

ويفضي سيل العقيق إليها، بعد الانتطاح عند جبل «فاضح».

وروى الزبير بن بكار أن النبي ﷺ، صلى في مسجد بين الجثجاثة وبين بئر شداد في تلعة هناك[2].

وكان عبدالله بن سعد بن ثابت[3] قد اقتُطع قريباً منه، وبناه، أي بنى مسجد الجثجاثة، ولا يعلم متى كان ذلك، لأن المذكور مجهول.

وقال الهجري: الجثجاثة: صدقة عبد الله بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، وبها قصور ومُتبّدى، وقال الزبير. وبها منازل آل حمزة وعباد وثابت بني عبد الله بن الزبير[4].

# شَوْطى، وألجام

قال الهَجَري: وللعقيق دوافع من الحرة مشهورة، ذكرتها الشعراء، منها شوطى وروضة ألجام. ويكثر ذكرهما مجتمعتين في الشعر الواحد

---

(١) قال في «اللسان» الجثجاثة واحدة الجثجاث وهو نبات أخضر ينبت في القيظ له زهرة صفراء طيبة الريح تأكله الإبل إذا لم تجدْ غيره وتكثر العرب ذكره في أشعارها وقال الشاعر:

فما روضة بالحزن طيبة الثرى    يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً    وقد أوقدتْ بالمجمر اللدن نارُها

(٢) عمدة الأخبار. ص ٢٠٦.

(٣) عبدالله بن سعد: وفي الإصابة رقم (٤٧١٩) عبدالله بن سعيد بن ثابت بن الجذع. قال: ذكره الطبري وقال: استشهد أبوه بالطائف، وحضر هو الفتوح.

(٤) قال الشاعر إسماعيل بن يعقوب التيمي يمدح يحيى بن أبي بكر بن يحيى:

مات مَنْ ينكر الظلامة إلا    مَضْرحيٌّ بجانب الجثجاثة
لعليّ وجعفر ذي الجناحين    وبنت النبيّ خير ثلاثة

(المضرحي: السيد الكريم والسري عتيق النجار).

والبيت الواحد، ولذلك جمعتهما في التعريف.

والشوط: العَدْو. والشوط: مكان بين شَرفَين من الأرض يأخذ فيه الماء والناس كأنه طريق. ودخوله في الأرض أن يواري البعير وراكبه، ولا يكون إلا في سهـول الأرض ينبت نبتاً حسناً»(١).

والشوطى: قال ياقوت: ألفه للتأنيث كسلمى، ورضوى.

وألجام: بوزن أفعال، جمع لُجمة الوادي، وهو العلم من أعلام الأرض.

قال ياقوت: وهو موضع من أحماء المدينة جمع حِمىً..

وأما شوطى: فقال ياقوت: هي من عقيق المدينـة.

قال عروة بن أذينة يذكرهما:

جاد الربيـع بشوطى رَسْم منـزلةٍ ... أُحبُّ مِن حبهـا شَوْطى وألجـاما
فبـطنَ خاخ فـأجزاع العقيق لهـا ... نهوى ومن جَوْنَتي عَيْـرين أهضاما(٢)
داراً تـوهمتهـا من بعـدمـا بليتْ ... فاستودعتْـك رسومُ الـدار أسقامـا

وقال كثير يذكر شوطى:

يــا لَقــومي لحبلك المصــروم ... يــومَ شَـوْطَى وأنت غيـرُ مليم(٣)

وقال عروة بن أُذينة يذكر شوطى:

---

(١) معجم البلدان «شوط».

(٢) جونتي: في كتاب «أبو علي» جوذي. وخطّأ الأستاذ الجاسر رواية (وفاء) جونتي. ولم أجد معنى «جوذى» وقد يكون الصحيح: جونتي تثنية: جونة. ومن معانيها: الفحمة. والشمس عند مغيبها. والجونة أيضاً «الخابية المطلية» وأهضام: جمع هِضم: بكسر الهاء. وهو المطمئن من الأرض وبطن الوادي.. وعيرين: جبلان في قبلة المدينة. وسيأتي لهما مزيد من التعريف في أعلام العقيق.

(٣) مليم، وملوم: لامه على كذا بمعنى كـدّره بالكلام لإتيانه ما ليس جائزاً، أو ما ليس ملائماً لحال اللائم أو حال الملوم.

عرفت بشوطى أو بذي الغُصن منزلاً فأذريت دمعاً يسبق الطرفَ مُسبلا[1]
وكنتَ إذا سُعدى بُليتَ بذكرها بدا ظاهراً منك الهوى وتغلغلا

وقال كثيّر في روضة ألجام وشوطى:

فروضة ألجامٍ تهيج لي البكا وروضاتُ شَوْطى عهدهنّ قديم

وفيها يقول المزني لغلام اشتراه من المدينة[2]:

تروّحْ يا سنانُ فإن شَوْطى وتربانين بعد غدٍ مَقيل[3]
بلادٌ لا تحسّ الموتَ فيها ولكن الغِذاء بها قليل

## حمراء الأسد

حمراء: بالمدّ، مضافة إلى الأسد، والأسد: الليث.

ذكرها الهجري في إحدى مراحل العقيق، وقال: بعد أن ذكر «شوطى، وألجام» ثم يفضي إلى حمراء الأسد[4]. وبها قصور لغير واحد من القرشيين.

قال: وهي تُرى من العقيق نحو طريق مكة، أي: عن يسارها.

وقال الأستاذ/ إبراهيم العياشي: حمراء الأسد: أرض فسيحة حصبها القَدَر بالحصباء الحمراء، وتقع في طرف جبل عَيْر الصادر الذي يقول له السكان «الضلع الأسمر» في طرفه الشمالي الشرقي. وبها بعض

---

(١) ذو الغصن: من أودية العقيق.

(٢) «معجم البلدان» شوطى.

(٣) تربانين: لعلها «تربان» وهو واد على ليلة من المدينة، نزله رسول الله ﷺ في طريقه إلى غزوة بدر. وكان ينزل به الشاعر عروة بن أذينة، وقد يكون الشاعر ثناه أو يكون مصحفاً من المفرد.

(٤) نقل الجاسر عن الهجري أنها أربع حمراوات «حمراء الأسد» المشهورة «وحمراء بُسْر» بعد الأولى بثلاثة أميال «وحمراء أفراق». وعند ملحتين «حمراء الأسد» ليست بمشهور كشهرة التي بقرب المدينة. «أبو علي الهجري ص ٣٠٣».

الآبار والمزارع ولكنها قليلة. وقد قاس الأستاذ العياشي بعدها عن المدينة فوجدها تبعد ستة عشر كيلاً ابتداء من مسجد الغمامة وبها سميت غزاة «حمراء الأسد» وكانت لثمان أو تسع من شوال سنة ثلاث من الهجرة. بعد غزوة أُحُد.

قال البلاذري: وكان المشركون قد صاروا إليها من أُحُد، فنادى منادي رسول الله أن احرجوا لطلب عدوكم، فلما انتهى إلى حمراء الأسد، انصرف المشركون عنها، فأقام الرسول ثلاثة أيام.

وكانت الغزوة في صباح الغد من معركة أُحُد، يوم الأَحد الثامن من شهر شوال. وكان هدفها إظهار قوة المسلمين وحتى لا يفكر المشركون في العودة إلى المدينة لغزوها مرة ثانية.

وفي «أنساب الأشراف «غزوة حمراء الأسد» وسيرة ابن هشام جـ٣/ ١٠٩، وفي «وفاء الوفا»؛ كان المسلمون يوقدون كلَّ ليلة أكثر من خمسمائة نار، لترى من المكان البعيد».

وقال الزبير بن بكار: كان سعد بن أبي وقاص قد اعتزل بطرف حمراء الأسد في قصر بناه، واتخذ هناك أرضاً حتى مات فيه ودفن بالمدينة[١]. . ولكن ابن عساكر يقول: إن سعداً اعتزل اختلاف الصحابة بعد مقتل عثمان، ونزل «قلهي» واحتفر فيه بئراً فأعذب وأمر أهله ألا يخبروه بشيء من أخبار الناس حتى تجتمع الأمة على إمام. فإن كانت «قلهيًّ»[٢] من حمراء الأسد، فإن سعداً يكون قد توفي فيها. وإن لم تكن من حمراء الأسد، فإن سعداً يكون قد غير مكانه فيما بعد وسكن حمراء الأسد من العقيق. فالمدة بين اعتزاله ووفاته طويلة.

---

(١) معجم ما استعجم ص ٩٥٦.

(٢) في معجم ما استعجم «قلهيّا» بفتح الثلاثة وتشديد الياء بعدها ألف التأنيث. قال: وهو في ديار بني سليم، اعتزل فيه سعد حين قتل عثمان. قال الشاعر كثير:

ولكن سقى صوب الربيع إذا نأى ... على قلهيّا الدار والمتخيّما

فقد اعتزل حوالي سنة ٣٥ هـ، وكانت وفاته سنة ٥٥ هـ.. وإذا كانت قلهي من ديار بني سليم، فإنها تكون بعيدة عن المدينة، وهذا ما كان يريده من عزلته، أن يكون بعيداً عن أخبار الناس. أما وقد اتفق الناس على أمير، بعد ولاية معاوية، فقد يكون اقترب من المدينة عند حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة.. فقد نقل السمهودي عن الهَجري أن حمراء الأسد بها قصور لغير واحد من القرشيين، وهي ترى من العقيق نحو طريق مكة.

وقال عاتق البلادي في معجمه: لعل قَرْن قصر «سعد» بحمراء الأسد لشهرتها، ويوجد قصر يشبه قصر عروة في بئر الماشي على «١٨» كيلاً شمال حمراء الأسد.

## مُنْشِد

بالضم ثم السكون وكسر الشين، ودال مهملة: بلفظ: أنشد، ينشد فهو مُنْشد.

ذكر ياقوت عدداً من الأماكن بهذا الاسم، منها: جبل من حمراء المدينة على ثمانية أميال من طريق الفرع.

قال الهَجَري: هو في شق حمراء الأسد الأيسر.

وقال السمهودي: وعلى يسار المصعد من ذي الحليفة جبل يعرف بحمراء نملة والظاهر أنه «منشد».

وقال حمد الجاسر: لا يزال هذا الجبل «حمراء نملة» معروفاً بهذا الاسم يشاهده المقبل على المدينة مع الطريق الحديث عن يمينه[١].

أما إبراهيم العياشي[٢]: فيرى أن جبل «منشد» من جبال الفرع

(١) الطريق الحديث: يقصد طريق السيارات الذي بدأ في العهد السعودي. وهناك طريق قديم وهو طريق الهجرة، وسيكون هو الطريق الحديث ـ للسيارات بعد ١٤٠٣ هـ.

(٢) «المدينة بين الماضي والحاضر».

على أكثر من مائة وخمسين كيلاً من المدينة، ولا علاقة له بالمنطقة. قال: وليس في الشق الأيسر من حمراء الأسد إلا الحرة، وصحح أن يكون الذي على يسار حمراء الأسد، هو جبل «حمراء نملة».

قال ياقوت: وجبل «منشد» هو المقصود بقول معن بن أوس المزني[1]:

تعفت مغانيها وخفّ أنيسها    من ادهمَ محروس قديم معاهده
فمُنْدَفَعُ الغُلان من جنب مُنشد    فنَعْفُ الغراب خُطْبه وأساوده[2]

وذكره الأحوص الأنصاري في قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك، مطلعها:

ألا لا تلمْه اليومَ أن يتبلّدا    فقد غُلب المحزون أن يَتَجلدا

ويقول فيها:

إذا أنت لم تعشقْ ولم تدر مالهوى    فكن حجراً من يابس الصخر جَلْمدا
نظرتُ رجاءً بالموقّر أن أرى    أكاريس يحتلون خاخاً فمنُشدا[3]

وقال في موضع آخر:

ولم أرَ ضوء النار حتى رأيتُها    بدا مُنشِدُ في ضوئها والأصافر[4]

---

(١) معن بن أوس.. متوفى سنة ٦٤ هـ وكان معاوية يفضله ويقول: أشعر أهل الجاهلية زهير، وأشعر أهل الإسلام كعب بن زهير ومعن بن أوس (الإصابة ٨٤٥١).

(٢) الغراب: جبل قرب المدينة. ويقال له: غرابات، ويقال له: غريبات. وفي السيرة في غزاة النبي لبني لحيان، خرج من المدينة فسلك على غراب (معالم طابة ٣٠١) خطبه: جمع الأخطب. وهو لون كدر مشرب حمرة. والأساود: يريد خلاف الأبيض. فالسواد جمعه، أسودة، وجمع الجمع أساود. والغلان: منابت الطلح منه.

(٣) شعر الأحوص: ص ١٠١. والموقّر: اسم مكان قرب دمشق. والأكاريس: الأصرام من الناس، واحدها: كرس. وهو الجماعة. والكرس أيضاً: جماعة الخيل.

(٤) شعر الأحوص ص ١٢٠. والأصافر: ثنايا سلكها رسول الله في طريقه إلى بدر. وقال البكري: الأصافر: جبل يجاور منشد.. وذكر بيت الأحوص. ص ١٢٦٩.

## روضة خاخ

بخائين معجمتين. . قال ياقوت: موضع بين الحرمين[1]، ويقال له روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة.

قال ياقوت: وذُكر في أحماء المدينة ـ جمع حمى ـ خاخ.

وقال أبو علي الهجري: «وفي شقّ حمراء الأسد الأيسر: خاخ. . وهي بَلَدٌ مشترك بين جماعة، فيه منازل لمحمد[2] بن جعفر بن محمد، وعلي[3] بن موسى الرضا. وغيرهم من الناس. وبئر محمد بن جعفر وعلي بن موسى تعرف بالحضَر.

وقال العياشي: تقع خاخ في الجنوب الغربي من «عَيْر الصادر» المسمى اليوم بالضلع الأسمر. وتقدر المسافة بينها وبين جامع الغمامة بـ: ثمانية عشر كيلاً.

وقال أيضاً: إن روضة خاخ، هي على أول وادي العقيق، ويليه الناصفة[4] ثم حمراء الأسد، ثم الخليقة ـ بالخاء والقاف ـ بالحُليفة العليا، وهي على خمسة عشر كيلاً من مسجد الغمامة. ثم الحليفة السفلى وأولها مما يلي المدينة تسعة أكيال، وعنده ينتهي حرم الصيد ويبدأ حرم الشجر على مذهب مَنْ رأى الحرمين.

---

(١) قوله: بين الحرمين: لعله يريد: حرم الصيد، وحرم الشجر، فقد نقل المراغي عن ابن زبالة عن مالك: الحرم حرمان: حرم للطير والوحش، من حرة واقم إلى حرة العقيق. وحرم الشجر بريد في بريد. .

(٢) محمد بن جعفر الصادق الملقب بالديباج، خرج بمكة أوائل دولة المأمون، وبايعه الناس، ثم قُبض عليه وأخذ إلى بغداد، وتوفي سنة ٢٠٣ هـ.

(٣) علي بن موسى: وهو الذي عقد له المأمون ولبس الناس الخضرة في أيامه. وكان المأمون أشخصه من المدينة واستخلفه. توفي سنة ٢٠٣ هـ. (التحفة اللطيفة).

(٤) الناصفة: موضع بعقيق المدينة.
قال الشاعر:
ألم تُلممْ على الدّمن الخشوع ... بناصفة العقيق إلى النقيع

ولروضة خاخ ذكر في السيرة، حيث رُوي عن علي بن أبي طالب قال: بعثني رسول الله والزبير، والمقداد، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه، فأتوني به[1]..

وروى ابن هشام في السيرة، قال: «لما أجمع رسول الله المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة يقال إنها من مزينة، وجعل لها جعلاً فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسولَ الله الخبرُ من السماء، فبعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام[2]، فقال: أدركا امرأة قد كتب معها حاطب ابن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له... فخرجا حتى أدركاها بالخليقة - خليقة بني أحمد، فاستنزلاها، فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً، فقال لها عليّ: إني أحلف بالله، ما كذب رسول الله، ولا كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الجد منه، قالت: أعرض، فأعرض، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها..». قال البكري: والمرأة هي: سارة، مولاة عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف.

وقد أكثر الشعراء من ذكر روضة خاخ، ومن أشهر ما قيل، وله قصة - قول الأحوص الأنصاري من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك[3]:

---

(١) وانظر «فتح الباري» رقم (٣٠٨١) ومسند أبي يعلى الموصلي رقم (٣٩٦) بتحقيق حسين أسد.

(٢) للحديث ثلاث روايات، الأولى تذكر علياً والزبير والمقداد، والثانية تذكر علياً والزبير وأبا مرثد السلمي، والثالثة تذكر علياً وأبا مرثد.

(٣) قال أبو الفرج: وهي قصيدة طويلة لم يبق منها سوى هذه الأبيات، يمدح بها يزيد بن عبد الملك، فقال له يزيد: ارفع حوائجك.. ويزيد هو الذي أطلق الأحوص بعد أن نفي إلى جزيرة دهلك منذ عهد سليمان بن عبد الملك.

يا موقـدَ النار بـالعلياءِ من إضم ... أوقدْ فقد هجتَ شوقاً غير منصرم[1]
يـا موقـدَ النار أوقـدها فـإن لهـا ... سَناً يهيجُ فؤاد العاشق السَّدم[2]
نـارٌ أضـاء سنـاهـا إذْ تُشبُّ لنـا ... سعـديـةً دلّهـا يشفي من السقم
ولائم لامنـي فيـهـا فقـلتُ لـه ... قد شفّ جسمي الذي ألقى بها ودمي
فمـا طـربتَ لشجـوٍ كنتَ تـأملُه ... ولا تـأملتَ تلك الـدار من أَمَم
ليست ليـاليك من خـاخٍ بعائـدةٍ ... كما عهدتَ ولا أيام ذي سلم[3]

وقصة الأبيات تقول: غنى معبد[4] في هذه الأبيات وشاع الشعر في المدينة. وأُنشد لسكينة بنت الحسين قول الشاعر في خاخ. فقالت: قد أكثر الشعراء في خاخ ووصفه. لا والله ما أنتهي حتى أنظر إليه، فبعثت إلى غلامها «فند» فحملته على بغلة، وألبسته ثياب الخز، وقالت: امضِ بنا نقف على خاخ. فمضى بها، فلما رأته قالت: ما هو إلا ما أرى؟. قال: ما هو إلا هذا. فقالت: والله لا أريم حتى أوتى بمن يهجوه فجعلوا يتذاكرون شاعراً قريباً لكي يرسلوا إليه، إلى أن قال «فند» والله أنا أهجوه، قالت: أنت؟ قال: أنا، قالت: قل: فقال: خاخ خاخ خاخ أخ...

ثم تفل عليه كأنه يتنخع، فقالت: هجوته ورب الكعبة، لك البغلة وما عليك من الثياب[5].

---

(١) إضم: واد يسمى عند المدينة «قناة» وقال الهجري: أول إضم مجتمع الأسيال وإياه عنى الأحوص بقوله: يا موقد النار.. وسمي إضم، لانضمام السيول إليه.
(٢) عاشق سدم: شديد العشق.
(٣) ذو سلم: بالتحريك: موضع بالحجاز، له ذكر في طريق الهجرة النبوية ويكثر الشعراء من الحنين إليه في شعر المديح النبوي، وقال البوصيري:
أمِنْ تـذكـر جيـرانٍ بـذي سَـلم ... مـزجت دمعاً جـرى من مقلة بـدم
(٤) معبد بن وهب: كان مولى لبني مخزوم، ونشأ في المدينة يرعى الغنم واشتغل بالتجارة، ثم أصبح مغنياً، رحل إلى الشام، ومات في عسكر الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ. (الأعلام للزركلي).
(٥) «شعر الأحوص» تحقيق عادل جمال ص ٧٢. قال المحقق، عندما وصل إلى قوله =

وقد ورد ذكر خاخ في أكثر من موضع من شعر الأحوص، منه قوله:

ولهـا مـربـع بـروضـة خـاخٍ ومصيف بـالقصـر قصـرِ قُبـاء

وقال أيضاً:

وشـاقـك بـالمـوقّـر أهـلُ خـاخ فـلا أَمَمٌ هنـاك ولا قـريـب[١]

وقال:

وللعين أسـرابٌ تفيض كـأنمـا تُعَلُّ بكحل الصَّاب منها المدامع[٢]

لأبصـر أحيـاءً بخـاخٍ تضمنت منازلهم منها التلاع الدوافعُ[٣]

## ثنية الشريد

وبعد حمراء الأسد، يفضي سيل العقيق إلى ثنية الشريد. . والثنية في الأصل، كل عقبة في الجبل. يقال فلان طلاع الثنايا: أي: ركّاب المشاق. قال الشاعر[٤]:

---

= «فبعثت إلى غلامها فند» وهذا دليل على أن التي أنشدت هـذا الشعر عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، لا سكينة.

ورائحة الصنعة واضحة في القصة، فهي لا تليق بمن نسبت إليها، سواء كانت سكينة، أم عائشة بنت سعد، ويبدو أن الغرض منها الإساءة إلى روضة خاخ، لأن فيها بيوتاً للعلويين، والله أعلم.

(١) الموقّر: مكان قريب من دمشق.

(٢) الصّاب: عصارة شجر مرّ، إذا وقعت قطرة منه في العين، كأنها شهاب نار.

(٣) الدوافع: جمع دافعة، وهي التلعة من مسايل الماء، تدفع ماءها في تلعة أخرى.

(٤) البيت للشاعر سحيم بن وثيل الرياحي من قصيدة في الأصمعيات، ومنها كما في «أمالي ثعلب» جـ ١/ ١٧٦.

وإنـي لا يـعـود إلـيّ قِـرْنـي غـداةَ الـرَّوع إلا فـي قَـريـن

ومـاذا يـبـتـغي الـشعـراء مـنـي وقـد جـاوزت حـدّ الأربـعـيـنِ

قال ثعلب: كسر نون الأربعين لأن العدد ليس له واحد، فجاء به على الأصل واستشهد النحويون بالبيت الثاني على كسر نون الجمع (شرح أبيات المغني جـ ٤).

أنـا ابن جـلا وطـلاعُ الثنـايـا    متى أضـع العمامـة تعـرفـوني[١]

والشريد: جد الخنساء الشاعرة، فهي ابنة عمرو بن الحارث بن الشريد، من بني سليم[٢].

قال السمهودي: إن ثنية الشريد كانت لرجل من بني سليم، كان بقية أهل بيته، فقيل له: الشريد[٣]..

وقال: وكانت أعناباً ونخلاً لم ير مثلها..

وقال الهجري.. وبها منازل وبئار كثيرة، وهي ذات عضاه وآجام، تنبت ضروباً من الكلأ صالحة للمال...

وروى السمهودي: أن معاوية عندما قدم المدينة، رآها فأعجبته، فطلبها من صاحبها، فأبى.. ثم ركب الشريد يوماً، فوجد عماله في الشمس، فقال: مالكم؟ فقالوا: يستجم الماء[٤] فركب إلى معـاوية، فقال: يا أمير المؤمنين: إنه لم يزل في نفسي منعي إياك ما طلبتَ مني، فهو لك بما أردت. فكتب معاوية إلى ابن أبي أحمد[٥] أن يدفع إليه الثمن، فقال له ابن أبي أحمد:

إن أمير المؤمنين لم يَسُمْك بها وهي على هذه الحال.. فقال:

---

(١) يروى: وطلاع: بالرفع مدحاً لابن. ومن خفضه جعله مدحاً «لـ: جـلا». والكلام لثعلب: وأراد أن الرفع بالعطف على المضاف، والخفض بالعطف على المضاف إليه. ومنهم مَنْ يعتبر «جلا» فعلاً، وجملته صفة لموصوف محذوف، تقديره: أنا ابن رجلٍ جلا، أي جلا الأمور بأعماله وكشفها.

(٢) جمهرة أنساب العرب/ ٢٦١.

(٣) نفهم من كلامه أن الرجل سمي «الشريد» لأنه بقية أهله، وليس لأن الرجل من بني الشريد، ولو كان من بني سليم، ففي بني سليم، فروع كثيرة «انظر معجم قبائـل العرب».

(٤) جم الماء: تجمع بكثرة. وجمت البئر: تجمع ماؤها. وجم الرجل الماء: تركه يجتمع. وأجم الماء: تركه يجتمع.. ويبدو أن الرجل أحس أن الآبار قلّ ماؤها وأنها تحتاج إلى مزيد من العمل لا يقدر عليه.

(٥) مضت ترجمته في «الخليقة» أو الخلائق. ويبدو أنه كان وكيل معاوية.

إني رجوت حين صار أمري إليك التيسير عليّ . . فدفع له الثمن.

وبالقرب من ثنية الشريد من الأعلام جبل يقال له «الفُراء» بالمدّ والقصر، ومن شواهد المدّ قول عبدالله بن الزبير بن بكار[١].

ولقد قلت للفُراء عشيا كيف أمسيتَ يا نعمتَ صباحا

ومن شواهد القصر، قول مصعب الزبيري:

وعلى عيرٍ فما حاز الفُرا وابلٌ مار عليه واكتسح

وبالقرب منها جبل «عَيْر الوارد» وهو أحد جبلين يسمى كل منهما «عَيْر» سيأتي التعريف بهما.

## جبل عَيْر

من أعلام العقيق التي يرد ذكرها عند تحديد معالم العقيق ومراحله. . وهو بفتح أوله وسكون ثانيه، بلفظ حمار الوحش. .

والعير: الوتد. والعير: الطبل. والعير: العظم الناتىء في وسط الكتف. . وكلُّ ناتىء في مستو فهو عَيْر.

وعير: اسم واد. . قال ياقوت: إنه كان لرجل من عاد، يقال له حمار بن مويلع، كان مؤمناً ثم ارتد، فأرسل الله على واديه ناراً فاسوّد، وصار لا يُنبت شيئاً. فضرب به المثل في الخراب، ويقال كجوف العير. وقيل: كجوف العير: لأن الحمار ليس في جوفه شيء ينتفع به[٢].

وعَيْر: جبل كبير مشهور في قبلة المدينة بقرب ذي الحليفة، ميقات أهل المدينة. . ويذكر مفرداً، ويذكر مثنى: قال الزبير في أودية العقيق: ثم شعاب الحمرا، والفُرا، وعيرين.

وفي «عيرين يقول الأحوص:

---

(١) «أبو علي الهجري». . ويبدو أن «ثنية» الشريد قد آلت فيما بعد: للزبير بن بكار.

(٢) «معجم البلدان»، «معالم طابة» مادة «عير».

أقـوتْ رُوَاوَةُ من أسماءَ فـالجُمُدُ فالنّعف فالسفحُ من عَيْرين فالسَّند

ونقل ياقوت، قال: وذكر لي بعض أهل الحجاز أن بالمدينة جبلين يقال لأحدهما: «عير الوارد» والآخر «عير الصادر» وهما متقاربان.

ونقل عن عرام[1]: وعير: جبلان أحمران عن يمينك وأنت في بطن العقيق تريد مكة، وعن يسارك شَوران[2]، وهو جبل مطل على السُّد[3].

قال الأستاذ إبراهيم العياشي[4] لعل في كلمتي «الوارد» و«الصادر» وضوح تام. إن الوارد يرد و يطل على المدينة. والصادر، يصدر الناس عنه، وسطح جبل عير كظهر العير.

وقال: يقع جبل عَيْر على تمام الكيل الخامس عن طريق العقيق - بئر عروة وهو أسود طويل صخره لا ينبت، ويبلغ طوله من جهة الحليفة السفلى نحواً من ثلاثة أكيال. ومن جهة الجنوب نحواً من كيل تقريباً. ويطل من الناحية الجنوبية على الحليفة العليا كما يطل من ناحية المشرق على وادي أبي هريرة.

وقال الأستـاذ الأنصاري[5]: يقع جبل عيـر جنوبي المدينة على

---

(١) عرام بن الأصبع السلمي: ثقة في معرفة جبال تهامة وقراها وسكانها، متـوفى سنة ٢٧٥ هـ له رسالة مطبوعة في أسماء جبال تهامة (معالم طابة) تحقيق حمد الجاسر.

(٢) شَوران: بفتح الشين: جبل عن يسارك وأنت ببطنِ العقيق تريد مكة مرتفع وفيه مياه كثيرة. روي أن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى إبلاً في السوق، فأعجبه سمنها فقال: أين كانت ترعى هذه؟ قالوا: بحرة شوران، فقال «بارك الله في شوران» (معالم طابة ص ٢١٠).

(٣) السُّـد: بضم أوله: الجبل الحاجز بين شعبين. نقل المجد عن عرام: السد: ماء سماءٍ جبل شَوْران مطلٌ عليه، أمر رسول الله بسده، ومن السد قناة إلى قباء.

(٤) المدينة بين الماضي والحاضر (٤٧٢).

(٥) «آثار المدينة المنورة» للأستاذ عبد القدوس الأنصاري. توفي رحمه الله يوم الثلاثاء ٢٢/ ٦/ ١٤٠٣ هـ.

مسافة ساعتين عنها بسير الأقدام غير المستعجل . .

وجبل عير، حدّ حرم المدينة الذي حرمه رسول الله ﷺ . . فقد روى الإمام مسلم في صحيحه: «المدينة حرام ما بين عير إلى ثور» وفي صحيح البخاري «المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا» ولم يحدد الثاني، وفي مسند الإمام أحمد «ما بين عير إلى أحد». وقال بعض العلماء[1] إن ذكر «ثور» في بعض الروايات وَهْم، لأن جبل ثور في مكة، وليس في المدينة جبل بهذا الاسم. وذلك لأن البخاري لم يذكر في روايته جبل «ثور» وفي رواية أحمد ذكر جبل أحد.

قال ابن حجر في «الفتح»[2] قيل: إن البخاري أبهمه عمداً لما وقع عنده أنه وَهْم. والأصل في هذا التوقف قول مصعب الزبيري: ليس بالمدينة عير ولا ثور.

وأثبت غير البخاري «عيراً» ووافقه على إنكار «ثور». وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: قوله «ما بين عير إلى ثور» هذه رواية أهل العراق وأما أهل المدينة فلا يعرفون جبلاً عندهم يقال له ثور. وإنما ثورٌ بمكة، ونرى أن أصل الحديث: «ما بين عَيْر إلى أحد».

وقال القاضي عياض: لا معنى لإنكار عير بالمدينة فإنه معروف، وقد جاء ذكره في أشعارهم فقال الأحوص الأنصاري المدني:

فقلت لعمرٍو تلك يا عمرو نارُه ... تُشبّ قَفَا عَيْرٍ فهلْ أنت ناظر

---

(1) انظر تفصيل المسألة في «شرح القسطلاني على البخاري» جـ/ ٣/ ٣٢٩ «ومعجم البلدان» في «عير» وانظر «مسند أبي يعلى» الحديث رقم/ ٢٦٣ عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور» والحديث رقم/ ٢٩٦/ عن النبي ﷺ: «إن المدينة حرام ما بين عائر إلى ثور» والحديثان صحيحان بتحقيق وتخريج صديقنا المحقق حسين سليم أسد. الطبعة الأولى/ دار المأمون بدمشق.

(٢) انظر «فتح الباري» باب حرم المدينة. وتحقيق النصرة «للمراغي».

وقد سلك العلماء في إنكار مصعب الزبيري «لعير وثور» مسالك منها قول ابن قدامة: يحتمل أن يكون المراد مقدار ما بين عير، إلى ثور، لا أنهما بعينهما في المدينة. أو سمى النبي الجبلين اللذين بطرفي المدينة عيراً وثوراً ارتجالاً.

وقال ابن الأثير: وقيل: إن عيراً جبل بمكة، فيكون المراد: أحرّم من المدينة مقدار ما بين عير وثور بمكة على حذف المضاف ووصف المصدر المحذوف. وقال النووي: يحتمل أن يكون ثور كان اسم جبل هناك إما أحد وإما غيره.

قال المحب الطبري: قد أخبرني الثقة أبو محمد عبد السلام البصري: إن حذاء أحد عن يساره جانحاً إلى ورائه جبل صغير يقال له ثور. وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب أي: العارفين بتلك الأرض وما فيها من الجبال، فكلٌّ أخبر أن ذلك الجبل اسمه «ثور» وتواردوا على ذلك. قال: فعلمنا أن ذكر ثور في الحديث صحيح، وأن عدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته وعدم بحثهم عنه.

وذكر المراغي نزيل المدينة في كتابه «تحقيق النصرة» أن خَلَف أهل المدينة ينقلون عن سَلَفهم أن خَلْف أحد من جهة الشمال جبلاً صغيراً يميل إلى الخضرة بتدوير يسمى ثوراً. قال: وقد تحققته بالمشاهدة ولله الحمد.

ويؤيد وجود جبل ثور بالمدينة رواية مسلم «من عير إلى ثور» ورواية أخرى عند مسلم «اللهم إني أحرم ما بين جبليها». وأحد الجبلين هو عير والثاني ثور.

## ذو الحُليفة

الحُليفة: وزن جهينة، تصغير الحَلَفَة بفتحات متوالية واحدة الحلفاء، وهو نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص.

ينبت في مغايض الماء. وتصنع من أوراقه القفف والحصير والحبال وفي حديث «بدر» أن عتبة بن ربيعة برز لعبيدة فقال: من أنت؟ قال: أنا الذي في الحلفاء. أراد: أنا الأسد لأن مأوى الأسد الآجام ومنابت الحلفاء[1].

وذو الحليفة علم على موضعين: الأول ـ وهو ليس مشهوراً ـ في تهامة ورد ذكره في حديث رافع بن خديج قال: كنا مع رسول الله بذي الحليفة من تهامة فأصبنا نهب غنم. قال ياقوت: هو موضع بين حاذة وذات عرق من أرض تهامة[2].

والثاني: ذو الحليفة في عقيق المدينة وهو المشهور[3]. وهو ميقات أهل المدينة ومكان الإحرام لكل من مَرَّ بالمدينة حاجاً أو معتمراً. وبطن وادي ذي الحليفة من العقيق وكذلك المحرم يُعتبر من وادي العقيق.

وورد اسم ذي الحليفة في الأحاديث النبوية. فروى البخاري في ميقات أهل المدينة قول الرسول ﷺ: «يهلّ أهل المدينة من ذي الحليفة» وعن عبدالله بن عمر «أن رسول الله أناخ بالبطحاء بذي الحليفة فصلى بها وكان عبدالله بن عمر يفعل ذلك». وعن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ: أنه رُئي وهو مُعَرّس بذي الحليفة ببطن الوادي قيل له: «إنك ببطحاء مباركة»[4].

وروى البخاري في الصحيح: أن رسول الله كان ينزل بذي الحليفة

---

(١) لسان العرب مادة «حلف».
(٢) معجم البلدان «حليفة».
(٣) ويقال له الآن آبار علي، أو أبْيار علي «وهي ليست آبار علي بن أبي طالب وإنما هو رجل اسمه عليّ نسبت الآبا إليه».
(٤) فتح الباري باب ميقات أهل المدينة.

حين يعتمر، وفي حجته حين حج، تحت «سَمُرة» في موضع المسجد الذي بذي الحليفة. وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق، أو حجّ أو عمرة هبط بطن واد، فإذا ظهر من بطن وادٍ، أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية، فعرّس ثَمَّ حتى يصبح[1].

وفي تاريخ المدينة لابن شبة[2] عن ابن عمر: «أن النبي ﷺ أناخ بالبطحاء التي بذي الحليفة، فصلى بها» قال: وكان ابن عمر يفعل ذلك. وروي عن ابن عمر «أن النبي صلى بالشجرة بالمعرّس، ومصلاه بالشجرة في مسجد ذي الحليفة».

ويؤخذ من مجموع الروايات: «أن مسجد الشجرة كان يصلي فيه الرسول عند خروجه من المدينة. ومسجد المعرّس: يصلي فيه عند دخوله المدينة إذا رجع من عمرة أو سفر أو غزو».

وحدد العياشي مكان «المعرّس» في جنوب مسجد المحرم بنحو مائة وخمسين متراً. والبيداء[3] وهي مشرفة على الشجرة غرباً على طريق مكة. وسيأتي مزيد من التعريف بمنطقة ذي الحُليفة في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

---

(١) فتح الباري على البخاري رقم ٤٨٤ «باب المساجد التي على طريق المدينة». وقوله: أناخ بالبطحاء: أي: نزل... والبطحاء: المسيل الواسع المجتمع فيه دقاق الحصى من مسيل الماء.

(٢) تاريخ المدينة جـ١/ ٧٣.

(٣) البيداء: هي التي إذا رحل الحجاج بعد الإحرام من ذي الحليفة، استقبلوها مصعدين إلى جهة الغرب. وفي تاريخ المدينة لابن شبة ١/ ٣٠٨، ومسند الإمام أحمد: أحاديث معناها، أنه سيأتي جيش لغزو البيت، فإذا كان ـ «بالبيداء» أباده الله تعالى. ولها ذكر في «باب التيمم» من صحيح البخاري حيث نزلت آية التيمم، عن عائشة قالت: خرجنا مع رسول الله في بعض أسفاره (غزوة بني المصطلق سنة ست) حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش... الحديث «وكانت السيدة عائشة قد انقطع عقدها، فأقام الرسول والناس يلتمسونه وليس معهم ماء، فأنزل الله آية التيمم» (إرشاد الساري جـ١/ ٣٦٦).

وجاء في مسند أبي حنيفة عن ابن عمر قال: «قام رجل فقال: يا رسول الله: من أين المهلّ؟، فقال: يهلّ أهل المدينة من العقيق»[1].. وجعلها بعضهم: حُليفة عليا، وحُليفة سفلى.

أما الحُليفة العليا فهي قبل حمراء الأسد. وذكر العياشي أنها بين حمراء الأسد، وثنية الشريد، وقال: وفيها اليوم والأمس بئران ذاتا مزارع، تعرف إحداهما «بالعليا» والأخرى «العُلَيّة» وفي العليا خليقة عبدالله بن أبي أحمد وتسمى «الخريقة».

أما الحُليفة السفلى: فهي المشهورة بذي الحُلَيفة والتي فيها المحرم.. وفي «ذي الحليفة»:

الشجرة: أو مسجد الشجرة، أو مسجد ذي الحليفة.

أما الشجرة: فهي شجرة السَّمُرة التي كان الرسول عليه الصلاة والسلام ينزل تحتها إذا أراد عمرة أو حجاً، ويصلي تحتها. وقد بُني مسجد في موضع الشجرة، فسمي مسجد الشجرة، ويسمى «مسجد ذي الحليفة». وهو المسجد المعروف الآن في ذي الحليفة «آبار علي» ويصلّي فيه الحاج سنة الإحرام.

والمعرَّس: أو مسجد المعرّس[2].

وهو مكان كان الرسول ﷺ، يعرّس فيه، عندما يرجع من عمرة أو حج أو سفر.

---

(١) وفاء الوفاء/ ١٩٥ وفي مسند أبي حنيفة رقم (٢٢٤) ونصه «قام رجل فقال: يا رسول الله أين المهل؟ قال: يهلّ أهل المدينة من ذي الحليفة ويهل أهل العراق من العقيق ويهل أهل الشام من الجحفة ويهل أهل نجد من قَرَن».

(٢) عرس القوم: نزلوا من السفر للاستراحة ثم يرتحلون. والمعرس: الموضع الذي يعرس فيه القوم. والتعريس أيضاً: نومة المسافر بعد إدلاجه فإذا كان وقت السحر نام نومة خفيفة ثم يثور مع انفجار الفجر لجهة قصده.

# الطريق من المدينة إلى مكة تمر بالعقيق

من أراد أنْ يحج أو يعتمر من أهل المدينة، أو مَنْ مَرَّ على المدينة مّن غير أهلها، فلا بد أن يمر على العقيق حيث ميقات أهل المدينة عند ذي الحليفة. ورأيت من المناسب أن أذكـر أشهر المنـازل التي كان الحجيج يمر بها ابتداء من المدينة حتى يصل إلى مكة. حيث ذُكر الكثير من هذه المنازل في السيرة النبوية وقد اعتمدت على ما أثبته البكري في (معجم ما استعجم)[١]. وهي:

من المدينة إلى ذي الحليفة ستة أميال وقيل سبعة[٢] وهو الميقات للناس وهناك منزل رسول الله ﷺ وارداً وصادراً ثم إلى (الحَفِير)[٣] ثمانية أميال من ذي الحليفة. ثم إلى (مَلَل)[٤] ثمانية أميال.

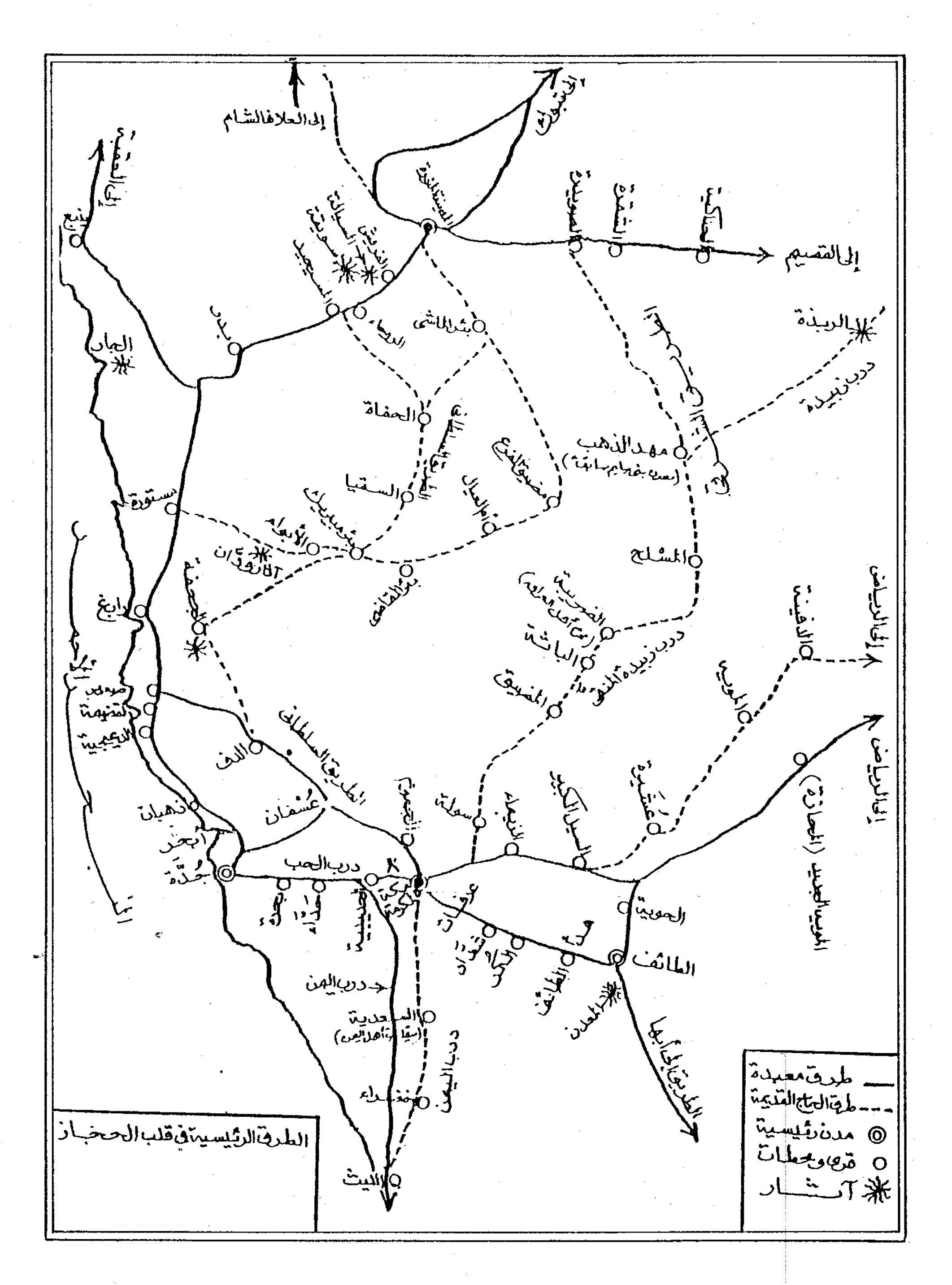
---

(١) جـ ٣/٩٥٤ وانظر (معجم معالم الحجاز) لعاتق البلادي.

(٢) الميل: ثلث فرسخ والفرسخ يساوي ثمانية أكيال تقريباً. وعلى هذا فالميل يساوي (٢٦٦٦ متر).

(٣) الحفير: وزن أمير موضع بين ذي الحليفة وملل في طريق مكة.

(٤) ملل: بالتحريك ولامين: موضع في طريق مكة بين الحرمين.
قيل: لما صَدَر تُبع عن المدينة يريد مكة نزل (ملل) وقد أعيا ومَلَّ فسماها (ملل) وقيل سُمي ملل لأن الماشي إليه من المدينة لا يبلغه إلا بعد جهد وملل. وقد يُجمع في كلام الشعراء ومنه قول كثير:
سقيـاً لـعـزةَ خُلّةً سقيـاً لـهـا     إذْ نـحن بـالـهضبـات مـن أمـلال
(معجم البلدان).




**من كتاب «على طريق الهجرة»**

ثم إلى (السَّيالة)[1] سبعة أميال ثم إلى (الروحاء)[2] أحد عشر ميلاً ثم إلى (الرُّويثة)[3] أربعة وعشرون ميلاً ثم إلى (الصفراء)[4] اثنا عشر ميلاً. ثم إلى بدر عشرون ميلاً. وطريق آخر إلى بدر تعدل من الروحاء في المضيق إلى (خَيْف نوح) اثنا عشر ميلاً ثم إلى (الحنَّان) أو (الحُمام)[5] أربعة أميال. ثم إلى (الأُثيل)[6] ثلاثة عشر ميلاً والأُثيل من الصفراء.

ثم إلى بدر ويستقيم الطريق من بدر إلى (الجُحْفة)[7] يومين في قفر به آبار عذبة. وطريق آخر من الرويثة وهي أكثر سلوكاً: من الرويثة إلى (الأُثاية)[8] اثنا عشر ميلاً.

ثم من (العرج)[9] إلى (السُّقيا)[10] سبعة عشر ميلاً ثم إلى

---

(١) السيالة: وزن السحابة قيل: أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.

(٢) الروحاء: بينه وبين المدينة حوالي ثلاثين ميلاً. وبطرفه مسجد شرف الروحاء صلى فيه رسول الله وهو في طريقه إلى مكة.

(٣) الرويثة: على ستين ميلاً من المدينة. وروى البخاري (في المساجد التي على طريق المدينة) أن الرسول كان ينزل تحت سرحة بالقرب من الرويثة.

(٤) الصفراء: وادٍ كثير النخل والزرع في طريق الحاج سلكه رسول الله غير مرة.

(٥) الحنّان: بتشديد النون: رمل بين مكة والمدينة. والحُمام: بضم الميم: ويقال: ذات الحُمام: موضع بين مكة والمدينة. وفي الأصل (الخيام).

(٦) الأثيل بالعصفير: موضع كان الرسول قتل عنده النضر بن الحارث عند منصرفه من بدر فقالت قتيلة بنت النضر ترثيه وتمدح رسول الله:

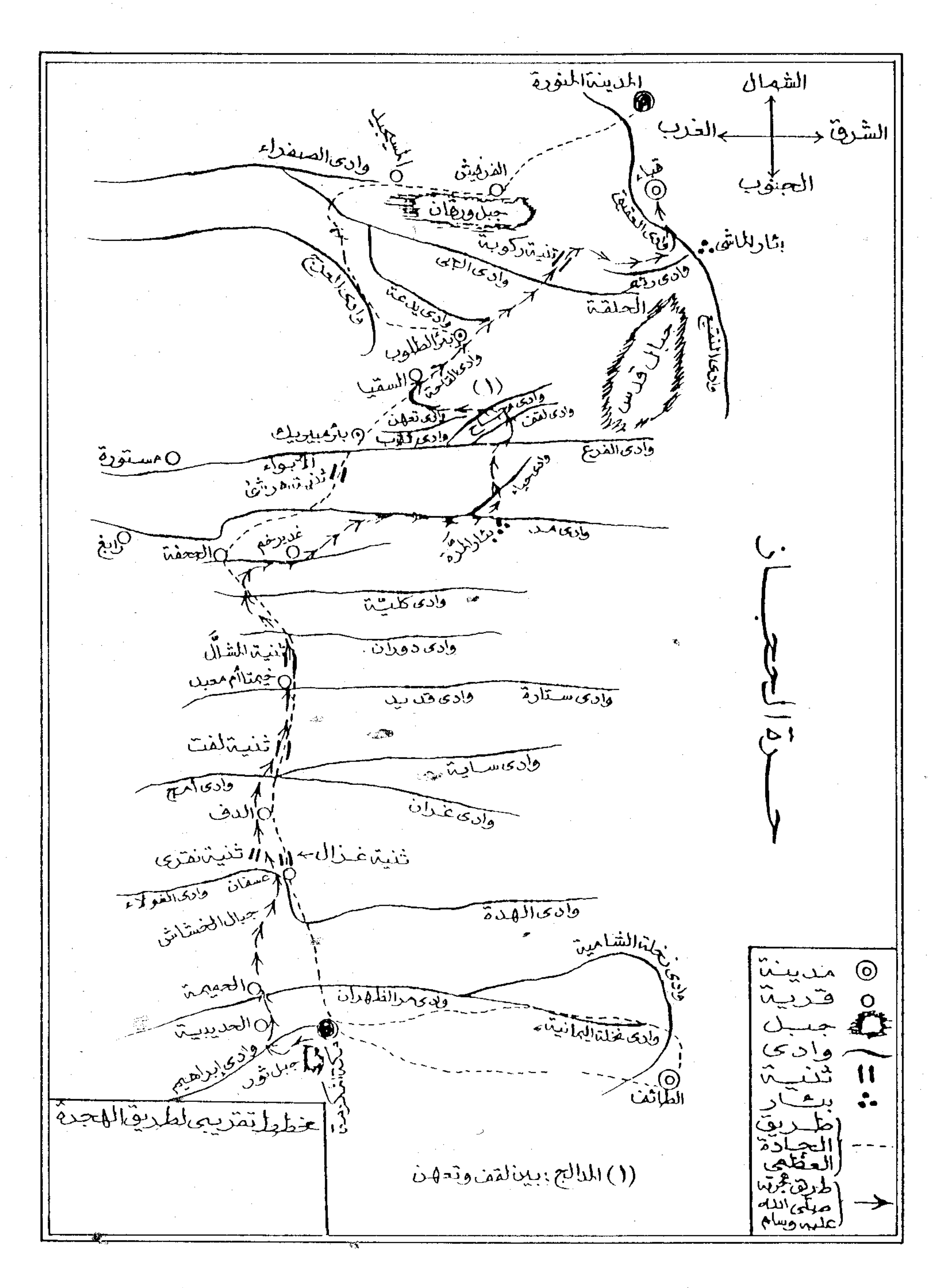
يا راكباً إن الأثيل مظنةٌ ... من صبح خامسةٍ وأنت موفق
فليسمعنَّ النضرُ إن ناديته ... إنْ كان يسمع ميت أو ينطق
ظلّت سيوفُ بني أبيه تنوشه ... لله أرحامٌ هناك تشقق
أمحمدُ ولأنت نجلُ نجيبةٍ ... مِنْ قومها والْفحل فحلٌ مُعرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... مَنَّ الفتى وهو المغيظ المحنق

(٧) الجحفة: ميقات أهل الشام ومصر إن لم يمروا بالمدينة.

(٨) الأثاية: بضم الهمزة موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً.

(٩) العَرج: بين مكة والمدينة على جادة الحاج وهو غير العرج الموجود بقرب الطائف.

(١٠) السقيا: الذي بين مكة والمدينة يبعد عن المسيجيد ما يقارب الـ(٩٠) كيلاً وتسمى أم البرك.




من كتاب «على طريق الهجرة»

(الأبواء)[1] تسعة عشر ميلاً، ومن الأبواء إلى الجُحفة ثلاثة وعشرون ميلاً. وربما عدل الناس عن الأبواء فساروا من السقيا إلى (وَدّان) وهي وراء الأبواء ناحية عن الطريق بينهما نحو ثمانية أميال. من ودَّان إلى عقبة (هَرْشى) خمسة أميال، ومن عقبة هَرْشى إلى (ذات الأصافر) ميلان، ثم إلى الجُحفة، وليس بين الطريقين إلّا نحو ميلين. فهذا ذكر الطريق من المدينة إلى الجحفة. وعلى سبعة أميال من السقيا بئر الطَّلُوب وهي بئر عاديّة وهي التي اطلع فيها معاوية فأصابته اللَّقوة[2] فأغذَّ السير إلى مكة. وكان نضلة[3] بن عمرو الغفاري ينزل بئر الطلوب[4]. وعلى أثر (الطلوب) (لَحْي جَمَل)[5] وهو ماء. وهو الذي احتجم فيه الرسول ﷺ على وسط رأسه وهو محرم، وفي رواية (وهو صائم) وفي أخرى وهو صائم محرم. فقد روى البخاري عن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ احتجم بلَحْي جَمَل وهو محرم في وسط رأسه من شقيقة كانت به)[6].

وكان ينزل لَحْي جَمَلٍ عبدُ الله بن أرقم البلوي من أصحاب رسول الله[7].

وقبل السُقيا بنحو ميل وادي (العبابيد)[8] وهو (القاحة)[9]. وروي

---

(١) الأبواء: تقع شرقي بلدة مستورة بما يقارب الـ(٢٥) كيلاً ولا تزال معروفة.

(٢) اللقوة: داء يصيب الوجه يعوجّ منه الشدق.

(٣) نضلة بن عمرو: صحابي أخرج له أحمد والبغوي (الإصابة رقم ٨٧١٧).

(٤) الطلوب: وزن فعول من أبنية المبالغة يشترك فيها المذكر والمؤنث. وبئر طلوب: بعيدة الماء. وهو علم لقليب في طريق الحاج.

(٥) لحيُ جمل: اللحي: العظم الذي تكون فيه الأسنان. والجَمَل: البعير. وهو موضع بين مكة والمدينة.

(٦) البخاري (باب الحجامة للمحرم) و(باب الحجامة للصائم).

(٧) عبدالله بن أرقم: لم أجد له ترجمة في الصحابة أما عبدالله بن الأرقم الصحابي المشهور فهو من قريش.

(٨) العبابيد: ورد ذكره في حديث الهجرة وأن الدليل سلك بهما عليه.

(٩) القاحة: بمعنى الباحة. ونقل السمهودي عن ابن حجر أن وادي القاحة يسمى العبابيد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله احتجم (بالقاحة) وهو محرم[١].

وروى حكيم بن جبير[٢] أنه سمع رجلاً يقال له ابن الحوتكية يقول: قدمنا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لنفر عنده: أيكم حضر رسول الله ونحن بالقاحة إذ أهدى إليه الأعرابي أرنباً (وكان لا يأكل هديةً بعد الشاة المسمومة حتى يأكل صاحبها منها). فقال للأعرابي: (ما يمنعك أنْ تأكل؟ . . . الحديث)[٣].

والمسافة من الجحفة إلى (كُلَيّة) اثنا عشر ميلاً، وهي ماء، لبني ضَمْرة، و من كُلية إلى (المُشلَّل) تسعة أميال، وعند المشلل كانت مناة في الجاهلية وبثَنِية المشلّل دُفن مسلم بن عقبة[٤] ثم نبش وصلب هناك، وكان يُرمى كما يُرمى قبر أبي رِغال. ومن المشلل إلى (قُديد) ثلاثة أميال، وبينهما خيمتا أم معبد، ومن قُديد إلى خُلَيص عين ابن بزيع سبعة أميال. وكانت عيناً ثرة عليها نخل وشجر كثير ومشارع خربها إسماعيل[٥] بن يوسف فغاضت العين ثم رجعت بعد سنة ثمانين ومائتين.

---

(١) الحديث في البخاري باب الحجامة للصائم ولم يذكر مكان الاحتجام. (الفتح/ ١٩٣٩).

(٢) حكيم بن جبير: لم يوثقه أحد من أهل الحديث. (تهذيب التهذيب) وابن الحوتكية: اسمه يزيد روى عن عمر بن الخطاب.

(٣) الحديث في مسند أبي يعلي جـ/ ١/ ١٦٦. عن ابن الحوتكية وليس في سنده حكيم بن جبير ولم يحدد المكان. وعند النسائي جـ/ ٧/ ١٩٦. في (الصيد) وله روايتان إحداهما عن حكيم بن جبير وذكر (القاحة) ولم يذكر سبب امتناع الرسول عن الأكل. وفي حاشية مسند أبي يعلى (إسناد الحديث حسن).

(٤) هو مسرف بن عقبة المري قائد يزيد بن معاوية الذي حطم المدينة المنورة وأباح المحصنات من بنات الصحابة والأنصار لطغام الشام، وفعل ما لا يفعله الكفار في بلد الإسلام.

(٥) لعله إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن الملقب بالسفاك. ظهر بمكة =

ومن خُليص إلى أَمَج ميلان، ومن أَمَج إلى الروضة أربعة، ومن الروضة إلى الكَديد ميلان، ومن الكديد إلى عُسْفان ستة أميال. وغزال ثُنية عُسْفان تلقاها قبلة بأرجح من ميل، وعند تلك الثنية وادٍ يجيء من ناحية ساية يصبّ إلى أَمَج. ومن حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث رسول الله أبا قتادة على الصدقة وخرج رسول الله وأصحابه محرمين حتى نزلوا ثنية الغزال بعُسفان فإذا هم بحمار وحش. .) الحديث[1].

ومن عُسْفان إلى كُراع الغميم ثمانية أميال.

وقبل الغميم بميل سقاية العدني ومسجده، وعلى إثر ذلك موضع يقال له: مسدوس. به آبار لبعض ولد أبي لهب. ومن كُراع الغميم إلى بطن «مَرّ» خمسة عشر ميلاً وقبل كراع الغميم بثلاثة أميال، الجنابذ وهي آبار وقباب ومسجد وهي المنصف بين عسفان وبطن مَرٍّ.

ودون «مَرّ» بثلاثة أميال مسلك خشن بين جبلن وهو الموضع الذي أسلم فيه أبو سفيان. وأمر رسول الله عباساً عمه أن يحبسه هناك حتى يرى جيوش المسلمين. قال الراجز:

حَـلَّ بمـرٍّ النـاعجـات العِينُ     نـادَيْتُ صحبي إنـني رَهـين
فقلت بـاسـم الله فـاستعينـوا     إذا أردتـمْ سـفـراً فـكـونـوا
مُـهـذَّبي السـيـر ولا تـلينـوا     وبـطـنُ مَـرّ دونـه حُـزُون

ومن مرّ إلى سرِف سبعة أميال ومن سَرِف إلى مكة ستة أميال. فمن المدينة إلى مكة مائتا ميل.

وبين مَرّ وسرِف «التنعيم» ومنه يحرم من أراد العمرة. وهو الموضع الذي أمر رسولُ الله ﷺ عبدَ الرحمن بن أبي بكر أن يُعْمر عائشة منه.

= سنة ٢٥١ هـ فاستولى عليها وطرد واليها وزحف إلى المدينـة فتوارى عاملها فرجع إلى مكة ثم إلى جدة وأخذ أموال التجار ومات بالجدري سنة ٢٥٢ هـ.

(١) وهناك طرق أخرى للحديث في صحيح البخاري كتاب (جزاء الصيد).

ودونه إلى مكة مسجد عائشة بينه وبين التنعيم ميلان[1].

وبعد: فقد وصلنا الآن إلى نهاية المرحلة الأولى من مجرى العقيق، والذي سميته «العقيق الأقصى» تمييزاً له عن العقيق «الأدنى» الذي يجاور المدينة ويلاصقها.

وقد عرجت على كل معلم من معالمه على طول مجراه، أو مما يقترب من مجراه وخصصت بالذكر، معالم التاريخ والشعر، مما يعطي دلالة تاريخية أو اجتماعية أو حضارية، فهذا هو هدفنا، أما الاستقصاء فهو من أهداف الجغرافيين. وعند القراءة السريعة لما عرَّفت به من المعالم، نجد أن العمران كان ممتداً على ضفتي وادي العقيق، من أسفله في ذي الحليفة إلى أعلاه عند النقيع، وكان عمرانها في الإسلام أكثر من عمرانها في الجاهلية، مما يدل على تأثير المد الإسلامي على الفكر وعلى الأرض، فكما أحيا الإسلام العقول، وجعلها تنتج الفكر المثمر، فكذلك أثر على عمران الأرض وجعلها عامرة بالخيرات، كافية سكانها بإذن الله، ثم بما يبذلونه من العمل لاستخراج كنوزها واستدرار خيراتها.

والعزيمة القوية المسلحة بالإيمان، جعلت أولئك الأجداد، ينتشرون في الأرض وينصبون في طلب الرزق، ويجمعون من المال ما جعلهم يعيشون في بحبوحة رغم ضعف ما بأيديهم من الآلات، وبطء مراكبهم من المواصلات.

وعندما نقرأ تاريخ من عمروا هذه الأرض نحس كأن الأرض قد

---

(١) التنعيم: موضع بمكة في الحِلّ سُمي بذلك لأن جبلاً عن يمينه يقال له: نعيم وآخر عن شماله يقال له: ناعم والوادي نَعْمان، ومنه يُحرم المكيّون بالعمرة قال محمد بن عبدالله النميري:

فلم تر عيني مثلَ سرب رأيته ... خرجن من التنعيم مُعتمرات

تضوّع مسكاً بطنُ نعما أن مشتْ ... به زينبٌ في نسوةٍ عَطِراتِ

طويت لهم، فقرب البعيد، وقصر المديد، وهان كل صعب وليس هذا ضرباً من الخيال، ولا سعياً وراء مُثل يصعب الوصول إليها، فقد شاهدنا أمثلة حية في عصرنا من بواقي تلك العزائم، عند أهل البوادي العربية. فإذا سألت أحدهم عن مكان ضللتَ عنه، أشار إليه بيده إشارة قريبة، وكأنه مرمى حجر، فإذا سعيت للوصول إليه، كلت مركبتك الآلية الحديثة، قبل أن تدركه، وكان ذاك يصله على رجليه، أو على مركب هزيل، ويراه قريباً.

فما الذي جعله يراه قريباً، ونراه بعيداً؟ هو العزيمة التي وصلنا جزء منها، وكانت العزائم أشد وأمضى وأكمل في القرون الأولى..

فليس غريباً أن نرى الأرض، تحت أيديهم، بإذن الله، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

# الفَصْلُ الثَّالِث

## «العقيق الأدنى»

ـ وصف عام لمجرى العقيق الأدنى:

* الشجرة.
* الجمّاوات.
* فيفاء الخبار.
* حرة الوبرة.
* بنو سلمة (قرية القبلتين).
* العنابس.
* عرصة العقيق.
* بئر رومة.
* الجرف.
* زغابة.
* إضم.
* الغابة.

- من الغابة حتى البحر.
- فضل وادي العقيق وعرصته وحدوده.
- العقيق الأدنى في حرم المدينة.

# وصف عام لمجرى العقيق الأدنى

وصف أبو علي الهجري مجرى العقيق، ابتداء من «الشجرة» حتى النهاية فقال[1].

ثم يفضي ذلك إلى الشجرة التي بها مَحْرم النبي ﷺ، وبها يعرّس[2] مَنْ حج، وسلك ذلك الطريق، بينها وبين جبل «الفُراء» نحو ثلاثة أميال.

والبيداء[3] مشرفة على الشجرة غرباً على طريق مكة.

ثم على إثر ذلك «مزارع أبي هريرة» رضي الله عنه. ثم القصور

---

(١) عن «أبو علي الهجري» لحمد الجاسر.

(٢) انظر «ذو الحليفة» في الفصل الثاني. والمتفق عليه أن «المعرس» يكون في العودة من مكة. وأراد بالتعريس هنا: الاستراحة.

(٣) البيداء: ورد ذكرها في حديث التيمم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عِقْد لي فأقام رسول بالله على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأنزل الله آية التيمم... الحديث «الموطأ في باب التيمم» قال الشارح: البيداء: هي الشرف الذي قدام ذي الحليفة. وذات الجيش: هي من المدينة على بريد وبينها وبين العقيق سبعة أميال. وقالت امرأة تبكي ولديها:

فلله جاراي اللذين أراهما قريبين مني والمزار بعيد
يُقيمان في البيداء لا يبرحانها ولا يسألان الركب أين يريد

يمنة ويسرة، ومنازل الأشراف فيها يتبدّون[1] من قريش وغيرهم، فمنها عن يمين الطريق للمقبل من مكة بسَفْح عير قصور كثيرة.

ثم تجاه ذلك في قبالة «جماء تضارع» قصورٌ.

وتجاهها في صِير «حرة الوَبْرة» أرض المغيرة بن الأخنس التي في وادي العقيق اشتراها منه «عروة بن الزبير» فذلك مال عروة بن الزبير، وهناك قصره المعروف بقصر العقيق، وبئره المنسوبة إليه... وأسفل من هذا القصر «العرصة» وهي بأعلى «الجرف».. وهي أربع عرصات: «عرصة البقل» و«عرصة الماء». و«عرصة جعفر بن سليمان» و«عرصة الحمراء» وبها قصر سعيد بن العاص.

ثم يفضي ذلك إلى «الجُرف» وفيه «سقاية سليمان بن عبد الملك».

ويلي ذلك «الزَّغابة» وفيها مزارع وقصور. وتجتمع سيول العقيق و«بطحان»[2] و«قناة»[3] بالزغابة.

ثم يفضي ذلك إلى «إضَم» وبه أموال رِغاب من أموال السلطان

---

(١) يتبدون: يخرجون إلى البادية. وهذه القصور ليست للإقامة الدائمة وإنما هي أماكن للانتجاع والنزهة وبخاصة أيام الربيع.

(٢) بضم أوله أو فتحه. وكسر ثانيه أو سكونه: أحد أودية المدينة الثلاثة ـ ويسمى الآن «أبو جيدة» وكانت تنزل عليه بنو النضير، إلى أن غزاهم النبي وأخرجهم. قال الشاعر:

سقياً لسلع ولساحاتها والعيش في أكناف بُطْحان
أمسيتُ من شوقي إلى أهلها أدفع أحزاناً بأحزان

وروى الزبير بن بكار بسنده قال رسول الله «بطحان على بركة من برك الجنة» قال السيوطي: في الجامع: ضعيف، وانظر «معالم طابة».

(٣) «قناة» واد بالمدينة بين أحد والمدينة قيل: إن تبعاً مرّ به فقال: هذه قناة الأرض. يقال: إن مياهه تأتي من الطائف، ويسمى الآن «سيل سيدنا حمزة» (آثار المدينة لعبد القدوس الأنصاري).

وغيـره من أهل المـدينـة. منهـا «عين مـروان» و «اليُسـر» و «الفـوّار» و «الشَّبكة» وتعرف بالشبيكة.

ثم يفضي ذلك إلى سافلة المدينة «الغـابة» و «عين الصّـورين» وبالغابة أموال كثيرة «عين أبي زياد» والنخـل التي هي حقوق أزواج النبي ﷺ. و «ثُرْمُد» مال كان للزبير، باعه عبدالله ابنه في دين أبيه، ثم صار للوليد بن يزيد، وبها «الحَفْياء» وغيرها.

أما ابن شبة، فيصف مجرى الوادي بعد ثنية الشريد فيقول[1]: ثم يفضي إلى الوادي، فيأخذ في ذي الحُليفة حتى يصب بين أرض أبي - هريرة، وبين أرض عاصم بن عدي بن العجلان[2]، ثم يستبطن الوادي، فتصب عليه شِعاب «الجمّاء» حتى يُفضي إلى أرض عروة بن الـزبير وبئره، ثم يستبطن بطن الوادي، فيأخذ منه شطيب إلى خليج عثمان بن عفان الذي حفر إلى أسفل العرصة، الذي يقال له: خليج بنات نائلة. وهنّ بنات لعثمان من نائلة بنت الفرافصة الكلبية[3] وكان عثمان بن عفان عمل ذلك الخليج، وساقه إلى أرض اعتملها بالعرصة، ثم يفترش سيل العقيق إذا خرج من «قُراقِر»[4] عبدالله بـن عنبسة بن سعيد، يمنة ويسرة،

---

(١) «تاريخ المدينة» جـ ١/ ١٦٦.

(٢) عاصم بن عديٍ العجلاني القضاعي: شهد أحداً وكان الرسول قد استعمله على قباء فلم يشهد بدراً. توفي في خلافة معاوية وهو ابن مائة وخمس عشرة سنة (تهذيب التهذيب).

(٣) نـائلة بنت الفرافصـة: زوجة عثمـان.. كانت خـطيبـة شـاعـرة من ذوات الـرأي والشجاعة.. حُملت إلى عثمان من بادية السماوة - بين الكوفة والشام - فتزوجهـا، وأقامت معه في المدينة.. دافعت عنه يوم مقتله، وأمسكت بسيف القاتل فحزّ أصابعها وأرسلت قميصه إلى معاوية مضرجاً بالدم.. خطبها معاوية لنفسه، فـأبت وحطمت أسنانها، وأرسلت بها إلى معاوية، فأمسك عنها، وقالت إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وأخاف أن يبـلى حزني على عثمان، فيطلع مني رجل على ما اطلع عليه عثمان (نسب قريش/ ١٠٥)، (الأعلام للزركلي).

(٤) القراقر: بضم أوله وبعد الألف قاف أخرى مكسورة وراء: هو علم مـرتجل لاسم

ويقطعه نهر الوادي، ثم يستجمع حتى يصب في «زغابة».

وفيما يلي تعريف بأبرز المعالم في وادي العقيق الأدنى:

## الشجرة

سبق التعريف بالشجرة، وأنها بذي الحُليفة، وكانت سَمُرة[١]، ينزلُ النبي ﷺ عندها إذا خرج من المدينة، ومنها محرم أهل المدينة. وكانت تطلق على منطقة واسعة في تلك الناحية، وقد تتناوب مع «ذي الحليفة» حيث يطلق أحد الاسمين، والمكان واحد.

وقد عمرت تلك الناحية في أواخر النصف الأول من القرن الأول، وانتقل إليها أعلام الصحابة وعمروها بالزراعة والبناء.

ومن أشهر سكانها: الصحابي أبو هريرة[٢] رضي الله عنه، والصحابي سعيد بن زيد[٣] رضي الله عنه.

---

= موضع. ومن معانيها: الأرض المستوية الملساء التي لا شيء فيها. وهي علم على عدد من المواضع منها: اسم وادٍ أصله من الدهناء. وقُراقر: موضع خلف البصرة ودون الكوفة قريب من ذي قار. ويوم قُراقر: هو يوم ذي قار الأكبر قرب الكوفة. وقُراقر: وادٍ بالسماوة من ناحية العراق نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام. وقُراقر: قاع ينتهي إليه سيل حائل. وقَراقر: بفتح القاف: موضع من أعراض المدينة لآل حسين بن علي بن أبي طالب. ومنه غزاة قراقر ويقال له: قرقرة كدر. وغزا فيها الرسول ﷺ بني سليم وغطفان وكانت في المحرم سنة ثلاث.

(١) السمرة: واحدة السمر. شجر يعظم وله شوك. وقد يقال له: أم الغيلان.

(٢) اسمه عبد الرحمن بن صخر، كان أكثر الصحابة حفظاً لحديث رسول الله، لكثرة ملازمته رسول الله، ولي إمرة المدينة مدة زمن معاوية، وتوفي سنة ٥٩ هجرية بمنزله بالعقيق.

(٣) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، متوفى سنة ٥ هجرية. وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وأخته عاتكة زوج عمر، وأخت عمر فاطمة زوج سعيد. وأسلم قبل عمر. ولم يذكره عمر في أهل الشورى لئلا يحابى وكان مستجاب الدعوة (الإصابة).

ولكليهما مع المكان تاريخ وقصة:

أما أبو هريرة: فقد روى السمهودي[1]: أن أبا هريرة نزل «الشجرة» قبل أن تكون مزدرعاً، فمر به مروان بن الحكم، وقد استعمله معاوية على المدينة فقال: مالي أراك ههنا؟، قال نزلت هذه البرية أصلي في مسجد رسول الله بذي الحليفة، فأقطعه مروان أرضه، وضفرها[2] له، فتصدق بها أبو هريرة على ولده.

وفي «الإصابة» لابن حجر: وكانت وفاة أبي هريرة، بقصره بالعقيق، فحمل إلى المدينة.

وفي «البداية والنهاية» وكان أبو هريرة ينزل المدينة، وكان بذي الحليفة له دار.

أما سعيد بن زيد: فكان يسكن العقيق، وبه كانت وفاته. قال ابن كثير: وحمل من العقيق على رقاب الرجال إلى المدينة[3].

وكانت له أرض بالشجرة، وكانت تجاوره أروى بنت أويس[4]، وحصل بينهما خصومة، ولها معه قصة[5].

فقد ادعتْ أروى أن سعيد بن زيد اعتدى على أرضها، وأنه أدخل ضفيرتها في أرضه، فاستعدت عليه مروان بن الحكم أمير المدينة. فقال سعيد: كيف أظلمها، وقد سمعت رسول الله يقول: «من ظلم من

---

(١) وفاء الوفا/ ١٠٦٧.
(٢) ضفرها: بنى لها الضفيرة، وهو ما تعقّد بعضه على بعض من الرمل ليحبس الماء، والضفيرة: الحقف من الرمل.
(٣) البداية والنهاية جـ ٨/ ٥٧.
(٤) أروى بنت أويس بن سعد بن أبي سرح. قال المصعب في نسب قريش: وهي التي خاصمت سعيد بن زيد في ضفيرتها بالعقيق.
(٥) انظر التفاصيل في «الاستيعاب» و«الإصابة» ترجمة سعيد بن زيد.

الأرض شبراً طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين»[1] وترك لها سعيدُ ما ادعت وقال: اللهم إن كانت أروى ظلمتني فأعم بصرها، واجعل قبرها في بئرها. فعميت أروى.. وجاء سيل فأبدى عن ضفيرتها خارجاً عن حقّ سعيد. فأقسم سعيد على مروان ليركبن معه، وينظر إلى ضفيرتها، فركب معه مروان وركب معهما ناس حتى نظروا إليها.

قالوا: وكانت أروى تقوم من الليل ومعها جارية لها تقودها، لتوقظ العمال، فقامت ليلة وتركت الجارية لم توقظها، فخرجت تمشي حتى سقطت في البئر، فأصبحت ميتة.

وكان أهل المدينة عندما يدعو بعضهم على بعض يقـول: أعماك الله كما أعمى أروى، يريدون: أروى بنت أويس. ثم صار الجهـال يقولون: أعماك الله كما أعمى «الأروى» يعنون أروى الجبل[2]. يظنونها شديدة العمى. وقد كثر الناس في ناحية الشجرة في العصر الأموي. حتى كانت تقام فيها صلاة الجمعة في إمارة عمر بن عبد العزيز.

روى السمهودي: أن رجلاً كان لا يعرف والده، كان يصلي لهم الجمعة بالشجرة، فنهاه عمر بن عبد العزيز أن يؤمهم، لأنه لا يعرف له أب[3]، قال السمهودي: وهو يقتضي أن الجمعة كانت تقام بالعقيق..

---

(١) رواه ابن عبد البر في «الاستيعاب» وفي «الجامع للسيوطي»: «من اقتطع أرضاً ظالماً لقي الله وهو عليه غضبان»: ورواه البخاري في كتاب «بدء الخلق» عن عائشة بلفظ «من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين» وعن سعيد بن زيد بألفاظ قريبة مما أثبتنا. وذكر المناسبة نفسها. وأورد البخاري الحديث في كتاب «المظالم» وذكر ابن حجر القصة مفصلة في «الفتح» رقم/ ٢٤٥٢. وانظر صحيح مسلم في «المساقاة» ومسند أبي يعلى رقم/ ٥٩٠. وفيه أن أروى خاصمت سعيداً إلى طلحة بن عبدالله بن عوف أحد فقهاء المدينة وقضاتها.

(٢) أروى: جمع مفرده الأرويّة: وهي أنثى الوعول، أو ضأن الجبل، وبه سميت المرأة.

(٣) يبدو أن عمر نهاه، لأنه لم يكن مولًى من السلطان.. فقد جاء في صحيح البخاري جواز إمامة العبد، والمولى، وولد البغيّ، والأعرابي. وقال المـاوردي في الأحكام =

وأن عدد الناس كان كافياً لإقامة صلاة الجمعة[1].

## الجمّاء.. والجمّاوات

بالفتح، وتشديد الميم، والمدّ.. يقال للبنيان الذي لا شرف له «أجمّ»، ومؤنثة (جمّاء)، ومنه: «شاة جمّاء» لا قرن لها. قال ياقوت: والجم في الأصل الكثير من كل شيء، ومنه «جُمة الرأس» لمجتمع الشعر. فأما «أجمّ» و«جمّاء» في البنيان فهو من النقص.

والجماء أيضاً: المرأة التي يكثر اللحم على عظامها.

والجمع في كل «الجماوات».. والجماء: تضاف إلى ثلاثة جبال في عقيق المدينة، لأنها جبال أقصر من غيرها مما يجاورها، فكأن كل واحدة منها جماء. وقال المراغي في «تحقيق النصرة» الجماوات أربعة أجبل غربي وادي العقيق سميت كل جمّاء منها باسم من بنى فيها.. ولم أجد هذا القول إلا عند المراغي، فإن الجماوات تضاف إلى أسماء لم يذكر أحدٌ علة لها، وبعضها كان معروفاً في الجاهلية قبل أن يعمر العقيق، كما جاء في الشعر، وكانت الجماوات من محالّ المدينة ومواضع قصورها في وادي العقيق.

الأولى: جماء تُضارُع: بضم التاء، والراء، على وزن «تُفاعل».

قال ياقوت: ولا نظير له في الأبنية. ويروى: بكسر الراء، وهي التي تلي آبار عروة من الغرب. وفي وسط امتدادها شِعْب انفلق منها

---

= السلطانية: «فإن كان الإمام صبياً أو عبداً أو فاسقاً صحت إمامته، ولم تنعقد ولايته». وفي إمامة صلاة الجمعة قال: إن أبا حنيفة يرى أن الإمامة في صلاة الجمعة من الولايات الواجبات، ولا تصح إلا بحضور السلطان أو من يستنيبه. وذهب الشافعي وفقهاء الحجاز إلى أن التقليد فيها ندب، وأن حضور السلطان ليس بشرط فيها. ويجوز أن يكون الإمام فيها عبداً وإن لم تنعقد ولايته (الأحكام السلطانية ص ١٠٣).

(١) يرى الشافعي أن الجمعة لا تنعقد إلا بأربعين. وذهب أبو حنيفة أنها تنعقد بأربعة.

ينحدر منه السيل إلى العقيق. . وقال ياقوت: تسيل إلى قصر عاصم - سيأتي التعريف به في قسم القصور - وبئر عروة. .

قال أحيحة بن الجلاح[1]، يذكر تضارع:

إنـي والمشعـر الحـرام ومـا حجّتْ قـريشٌ لـه ومـا نحـروا
لا آخـذ الخُـطة الـدنيّـة مـا دام يُـرى من تُـضارع حـجـر

وفي سفح هذه الجماء عدة قصور، سيأتي ذكرها في الفصل الخاص بها عند الحديث عن عمران العقيق.

وفي الجنوب الغربي من ركن جماء تضارع يقع جبل «المكيمن»[2] بصيغة التصغير، ويتصل بجماء تضارع. قال عديّ بن الرقاع[3] يذكره:

أطـربْتَ أم رُفعتْ لعينـك غـدوةً بين المكيمن والزجيج حُمـول[4]
رَجْـلا تراوَحُهـا الحـداةُ فحبسهـا وَضَحَ النهار إلى العشيّ قليل[5]

وذكره بعض الشعراء مكبراً، فقال: وهو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان:

عفا مكمن الجمّاء من أم عامرٍ. . . فسلع عفـا منهـا فحـرة واقـم

وعند جبل المكيمن أُدرك «ماعز» عندما فرّ من إتمام الرجم[6].

---

(١) أحيحة. . من الأوس، شاعر جاهلي، وكان سيد يثرب في زمانه، وله حصون ومزارع وكان مرابياً كثير المال. قيل: إن سلمى بنت عمرو العدوية، كانت زوجته، وأخذها بعده هاشم بن عبد مناف، فولدت له عبد المطلب، (انظر شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج) ص ٨٩ للدكتور محمد العيد الخطراوي، من سلسلة «دراسات حول المدينة» رقم ١.

(٢) يقال: كان هناك صنم قرب الجبل، يسمى المكيمن، فسمي باسمه.

(٣) عدي بن الرقاع. . متوفى سنة ٩٥ هـ، من أهل دمشق. كان معاصراً لجرير، مداحاً لبني أمية مات في دمشق. قال ابن قتيبة: وهو أحسن من وصف ظبية، ومنه قوله:

تـزجـي أغـنّ كـأن إبـرة روقـه قـلّم أصـابَ من الـدَّواة مـدادهـا

(٤) الزجيج: منزل للحاج بين البصرة ومكة.

(٥) رجلاً: أصلهـا: رجـلاء. والرجلاء من الدواب التي يكون في إحدى رجليها بياض.

(٦) انظر «طبقات ابن سعد» جـ ٤/ ٣٢٤.

الثانية: جمّاء أم خالد: ولا أعرف من هي أم خالد التي أضيفت إليها الجماء.

ويقال لها: الجماء الوسطى. قال العياشي: وهي من الصخر الجرانيتي الأحمر، وتشكل جبلاً قليل الرؤوس، طوله في مثل عرضه يطل على الجرف من شماله. وفي أصلها عدد من القصور تسيل عليها، منها قصر محمد بن عيسى الجعفري. وفي أصلها بيوت «الأشعث»[1] من أهل المدينة. وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلي[2].

الثالثة: جماء العاقر، أو العاقل:

وبينها وبين جماء أم خالد فسحة، وهي تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاها. وخلفها سيل المُشاش، وهو وادب يصب في العرصة. وفي تاريخ ابن شبة، وغيره من المصادر، يتناقلون أخبار آثار وجدت عند الجماوات[3] منها ما رواه ابن شبة عن يزيد بن عياض بن جعدبة[4].

عن ابن شهاب قال: وجد على جماء أم خالد قبر، أربعون ذراعاً في أربعين ذراعاً، مكتوب في حجر فيه: «أنا عبدالله من أهل نينوى رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل هذه القرية، فأدركني الموت فأوصيت أن أدفن في جماء أم خالد».

وفي «معالم طابة» القصة نفسها، ولكن بطرق أخرى، جاء في

---

(١) الأشعث: لعله الأشعث بن إسحق بن سعد بن أبي وقاص، انظر «تهذيب التهذيب».

(٢) النوفلي: نسبة إلى نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم. توفي صاحب القصر في المدينة سنة ١٦٧ هـ (تهذيب التهذيب).

(٣) انظر «تاريخ المدينة» جـ ١/ ١٤٩ قصة القبر على جماء أم خالد. وفي «معالم طابة» قصة حجرين طويلين على رأس الجماء».

(٤) يزيد بن عياض: توفي في البصرة في خلافة المهدي العباسي. قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» إنه كذاب وأنه كان يضع للناس. وقال البخاري: منكر الحديث.

إحداها أنه مكتوب على أحد الحجرين: أنا عبدالله الأسود رسول الله عيسى ابن مريم.

وفي رواية: أنا أسود بن سوادة، رسول رسول الله إلى هذه القرية.

وفي رواية: أنا عبدالله رسول رسول الله سليمان بن داود.

والأخبار في معالم طابة منسوبة إلى عمرو بن سليم الزُّرَقي، وهو تابعي ثقة في الحديث. ولكنّ في صحة نسبها إليه شكاً.. بل لا يستبعد أن تكون موضوعة، والله أعلم.

وقد ذكر الشعراء الجماوات في أشعارهم، وكل يحنّ إلى واحدة، ولذلك يذكرها بصورة المفرد. قال حسان بن ثابت:

وكاد بأكناف العقيق وئيدُهُ     يحطّ من الجماء رُكْناً مُلملما[1]

ومن أرق ما قيل في الحنين إلى معالم العقيق والمدينة، قول أبي قطيفة الأموي وذكر الجماء:

القصر فالنخل فالجمّاء بينهما     أشهى إلى القلب من أبواب جيرون[2]

---

(١) الوئيد: الصوت العالي الشديد. الركن: الجانب الأقوى من الشيء.
والململم: المجموع بعضه على بعض.
والبيتُ يصف صوت الرعد الشديد عندما ينبعث من السحاب وقبله:
تحنُّ مطافيل الرّباع خلاله     إذا استن في حافاته البرق أثجما
فقد شبه صوت الرعد بحنين الإبل إلى أولادها.
«الديوان ص ٢١٨/ دار صادر». ومطلع القصيدة:
ألم تسأل الربع الجديد التكلما     بمدفع أشداخٍ فبُرقة أظلما
وحُرّف البيت في «معجم البلدان» حيث روي:
وكنا بأطراف العقيق وبيده     تحطُّ من الجماء رُكْناً مُلملما
وفي (معالم طابة) ص ٩٠:
وكنا بأطراف العقيق ومدةٍ     نحطُّ من الجماءِ ركناً يلملما
والصحيح ما أثبته، لأن سياق الأبيات يدل عليه، أما رواية «معجم البلدان» و«معالم طابة» فهي توهم أن الشاعر يفخر، أو يحن إلى قديم الأمجاد. وليس الأمر كذلك.

(٢) جيرون: دمشق. أو هو بناء قديم فيها أطلق اسمه على دمشق، من باب إطلاق الجزء على الكل.

إلى البلاط فما حازتْ قرائنه دورٌ نزحنَ عن الفحشاء والهون[1]
قد يكتمُ الناس أسراراً وأعلمُها وليس يدرون طول الدهر مكنوني

وفي «طبقات ابن سعد» جـ ٩/٢. ذكر غزوة رسول الله، لطلب كرز بن جابر وكان كرز ـ قبل إسلامه ـ أغار على سرح المدينة، فاستاقه، وكان يرعى بالجماء قال والجماء: جبل ناحية العقيق إلى الجرف، بينه وبين المدينة ثلاثة أميال. وقال ابن المولى يمدح جعفر بن سليمان وكان عزل عن المدينة:

أوحشت الجماءُ من جعفر وطالما كانت به تعمرُ

## فيفاء الخَبَار

الفيفاء: الصخرة الملساء. والخبار: وزن سحاب: الأرض الرخوة ذات الحجارة. ويقال أيضاً: فيف الخبار.

وفيفاء الخبار من جماء أم خالد[2].

ولهذا المكان في السيرة ذكر، اقتضى إفراده بالتعريف، وذكر ما ورد فيه من الأخبار.

---

(١) البلاط: موضع بالمدينة كان بين المسجد وسوق البلد، كان مبلّطاً بالحجارة.
وهذه الأبيات قالها أبو قطيفة أيام فتنة ابن الزبير حيث نفي إلى الشام مع بني أمية. وهو يحنّ إلى معالم المدينة التي كان يجد في ظلالها الراحة والأمان حيث المناخ الاجتماعي الأمثل الذي تكوّن في ظل تعاليم الرسول ﷺ. ولذلك يصف مرابع صباه بأنها بعيدة عن الفحشاء والخزي. ومن العجيب أن يعتبر شوقي ضيف حنين أبي قطيفة شوقاً إلى مراتع المتعة الجسدية ويجعله دليلاً على انتشار الغناء ومراكز اللهو في المدينة إبّان القرن الأول. والشاعر ينفي ذلك في أبياته. انظر فصل «الحياة الاجتماعية» في هذا الكتاب. وكتابنا «المدينة في العصر الأموي».

(٢) قال الأستاذ عاتق البلادي: وإلى الشمال الغربي من ذي الحليفة، ترى سهلاً أفيح كان يعرف بفيفاء الخبار، ويسمى اليوم «الدُّعَيثة» تظهر من ورائه جمّاء أم خالد سمراء بارزة. وهي تجاور ملعب المدينة الرياضي (الأستاد) [ على طريق الهجرة ] ص ١٠٧.

ذكرت الأخبار[1]: أنه قدم على رسول الله نفر من «عرينة» فأسلموا فاستوبؤوا المدينة، وقالوا: يا نبي الله، إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف، فسألوه أن ينحّيهم من المدينة، فأخرجهم رسول الله إلى لقاح له بفيف الخبار[2] فشربوا من ألبانها فلما صَحّوا، غدوا على اللقاح فاستاقوها، وقتلوا يساراً - مولى رسول الله - وغرزوا الشوك في عينيه، فأرسل في آثارهم عشرين فارساً، واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهري، فظفروا بهم، وأتوا بهم إلى رسول الله، فقطع رسول الله أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، وفيهم نزلت ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعَوْن في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلُهم من خلاف﴾[3].

وفي غزوة ذات العُشيرة[4]: قال ابن إسحق: فسلك رسول الله على «نقب بني دينار[5]. ثم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء (ابن أزهر) يقال لها: «ذات الساق» فصلى عندها، فثم مسجده

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢/ ٢٤٨ - و «أنساب الأشراف «للبلاذري» و «تحقيق النصرة» ١٥٦. و «البخاري» باب قصة عكل وعرينة جـ ٦/ ٣٥٧.

(٢) لم يذكر البخاري المكان.

(٣) سورة المائدة/ ٣٣/ وفي أسباب النزول: أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية فكتب إليه أنس يُخبره أنها نزلت في العرنيين الذين ارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل.

(٤) كانت في جمادي الأولى سنة اثنين (إرشاد الساري) جـ ٦/ ٢٤٠.

(٥) نقب بني دينار. ويقال له: نقب المدينة. وهو طريق العقيق بالحرة الغربية. قال ابن إسحاق في المسير إلى بدر: فسلك طريقة مكة على نقب المدينة ثم على العقيق. وقال في موضع آخر: غزا قريشاً فسلك على نقب بني دينار ثم على فيفاء الخبار «وجاء في حاشية «عمدة الأخبار» للعياشي: وقال جعفر بن السيد حسين هاشم سنة ١٣٠٤ هـ» نقب بني دينار هو المسمى «الزقيقين» وفي سنة ١٢٩٧ قدم رجل من أهل الهند ومعه دراهم مرسلة من أهل الخير، فأصلح نقب بني دينار المذكور، وكسر فيه بعض أحجار ناتئة تؤذي المارين، فقلعها وأصلحه، فحصل بذلك راحة كبيرة للمارين (العمدة ص ٤٣٧).

هناك، وصُنع له طعامٌ فأكل منه. وأكل الناس معه، واستُقِي له من ماء به يقال له: «المشيرب» بالياء أو التاء». وقال العياشي: ومسجد فيفاء الخبار يعرف اليوم بمسجد سلطانة، والمشيرب الذي شرب منه الرسول قد يكون بئر سلطانة.

سميت بهذا الاسم تشريفاً لها، لأن الرسول شرب منها، وهي في عرصة الماء بين جماء أم خالد، وبين قصور وآبار سعيد بن العاص. وحدد منطقة «الفيفاء» بأنها محل الجامعة الإسلامية، ومحل القصر الملكي وما والاهما.

وفي السيرة أن كرز بن جابر الفهري - قبل إسلامه أغار على سرح المدينة، وكان يرعى بالجماء ونواحيها، فخرج رسول الله في طلبه حتى بلغ بدراً في مكان يسمى «سفوان» فسميت غزاة سفوان أو غزاة بدرٍ الأولى، وقد رجع رسول الله ولم يدرك كرزاً[1].

## حرة الوَبْرة

الحرة: بفتح الحاء: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار وتسمى أيضاً «اللابة».

والوبرة: بفتح الباء، ويجوز تسكينها.

وفي اللغة: وبر بالمكان وبراً: أقام. والوبرة: بسكون الباء أنثى الوبر، وهو حيوان نباتي بحجم القط.

والوبرة: بفتح الباء: واحدة الوبر، وهو ما يغطي جلد الجمل من الشعر، وأهل الوبر: هم أهل البدو.

---

(١) أنساب الأشراف جـ ١/ ٢٨٧.. وكرز: صحابي، والخبر هنا قبل إسلام كرز وقد ذكر أنه كان على خيل رسول الله لملاحقته بني عرينة وقد استشهد كرز يوم فتح مكة.

والمدينة المنورة بين حرتين أو بين لابتين: إحداهما شرقي المدينة تسمى «حرة واقم»[1] والثانية: غربي المدينة تسمى حرة الوبرة، وحرم المدينة بين الحرتين.

جاء في موطأ الإمام مالك «أن رسول الله طلع له أُحُد، فقال: هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وأنا أحرم ما بين لابتيها». وعن أبي هريرة أنه كان يقول: لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها. قال رسول الله: «ما بين لابتيها حرام»[2].

وحرة الوَبرة لها اتصال بوادي العقيق. قال السمهودي: حرة الوَبْرة هي المشرفة على وادي العقيق «وسيأتي أن قصر عروة بن الزبير في حرة الوبرة، وكان يقال لموضعه «خَيْف حرة الوبْرة»[3].

قال الأستاذ الأنصاري: تقع حرة الوبرة بضاحية المدينة الغربية، وتختلف حرة الوبرة عن حرة واقم بكثرة الهضاب والتلاع والمستنقعات والمنخفضات. . وبهذه الحرة المدرج الذي يقال: إنه ثنية الوداع بالنسبة للمسافر إلى مكة. ومن تحت طرفها الغربي قصر عروة وبئره ومزارعه، وبعض قصور العقيق وبطرفها الشمالي مسجد القبلتين.

وفي الطبقات الكبرى: وعندما اعترف «ماعز» عند الرسول بالزنى، وكان مُحْصناً، أمر به رسول الله إلى الحرة ـ حرة الوبرة ـ وبعث معه أبا

---

(١) واقم: اسم حصن، «أطم» من آطام المدينة، وسميت الحرة باسمه، وقيل: سميت باسم رجل من العماليق اسمه «واقم» وبها كانت معركة الحرة بين جيش الشام بقيادة مسلـم بن عقبة، وبين أهل المدينة، زمان يزيد بن معاوية.

(٢) موطأ مالك. باب ما جاء في تحريم المدينة. وانظر ما جاء في «جبل عير من الأحاديث وأن المدينة حرم ما بين عَيْر إلى ثور».

(٣) الخَيف: بفتح الخاء: ما ارتفع عن مسيل الماء، وما انحدر من غلظ الجبل. ومنه سمي مسجد الخَيْف في منى لأنه في خيف الجبل. ومسجد منى يسمى مسجد الخَيف لأنه في سفح جبلها. وفي الحديث: «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة» يعني المحصّب. «لسان العرب».

بكر، فمسته الحجارة، ففرّ يعدُو قِبَل العقيق، فأُدرك بالمكيمن، فلم يزل يُرمى بالحجارة حتى قتل. فقال رسول الله ﷺ «لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتي لأجزت عنهم»[١].

## «بنو سَلِمة» «مسجد القبلتين»[٢]

بنو سَلِمة ـ قوم من الخزرج، كانوا يسكنون بالقرب من المنطقة التي تسمى الآن ـ «القبلتين».. ومسكنهم على شفير وادي العقيق، وهي الآن قرية عامرة، بل أصبحت متصلة بالمدينة، وفيها مسجد القبلتين.. واختلف مؤرخو السيرة، هل نزل الوحي على الرسول بتحويل القبلة في موضع ما يسمى الآن «مسجد القبلتين» أو كان نزول الوحي في غيره؟

هناك روايات كثيرة[٣].. المتداول الشائع، أنه حصل في المكان المعروف الآن.

قال البلاذري في أنساب الأشراف: وصُرفت القبلة إلى الكعبة في الظهر من يوم الثلاثاء، للنصف من شعبان سنة اثنتين من الهجرة. في منزل البراء بن معرور. ولكن البراء توفي قبل الهجرة بشهر واحد، وكان قد شهد العقبة.. وأكثر الروايات تقول: إن الرسول عليه الصلاة

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة «ماعز»، ومسند أبي يعلى رقم (١٢١٥).

(٢) كانت تسمى «خَزْبى» بفتح أوله وإسكان ثانيه وآخره ألف مقصورة، فسماها الرسول «صالحة» لأن الخزب: تهيُّج في الجلد كهيئة الورم. وسَلِمة: بكسر اللام، على وزن فرحة، الحجارة. أما غيرهم فهو بفتح اللام: واحدة السَّلَم، شجر.

(٣) انظر «المدينة بين الماضي والحاضر» للعياشي، «وأخبار مدينة الرسول» لابن النجار و«تحقيق النصرة» للمراغي. و«أنساب الأشراف» للبلاذري. جـ١/ ٢٧١. وقد اختلفت الرواية في الصلاة التي تحولت القبلة عندها وكذا في المسجد. ورواية الموطأ والبخاري ومسلم لم تحدد المكان الذي كان فيه الرسول ولم تحدد أول فريضة، وإنما تحدد الأوقات التي وصل الخبر فيها إلى المسلمين في أحياء المدينة. ويفهم منها أن الفريضة التي تحول فيها الرسول هي الظهر، ويفهم من رواية مسلم أن المكان في بني سلمة، لأنه يروي أن الذي نقل خبر التحويل إلى أهل قباء رجلٌ من بني سلمة ويؤيد هذا رواية كون الرسول في بيت أم بشر بن البراء. والله أعلم.

والسلام، كان في بيت أم بشر ـ خليدة بنت قيس بن ثابت ـ وكان يصلي الظهر متجهاً إلى بيت المقدس، وصلى ركعتين، ثم أُمر ﷺ أن يتجه نحو الكعبة، فاستدار الرسول إلى الكعبة. وكان هذا المكان هو موضع مسجد القبلتين الآن. . وأم بشر هي زوجة البراء بن معرور(١).

## العنابس

العنابس: مفردها: العنبس، أو العنبسة. وهو من أسماء الأسد. قال في اللسان. وسمي الرجل «عنبسة» باسم الأسد من العبوس، والعنابس(٢) من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم ستة:

حرب، وأبو حرب، وعمرو، وسفيان، وعنبسة. والستة الباقون يسمون «الأعياص».

والعنابس: علم على مكان في عقيق المدينة. وكانت مزارع في جهة قبلة مسجد القبلتين. قال الأنصاري وهو يتحدث عن مزارع العقيق: وأمتعها تنزهاً «العنابس».

وقال العياشي: العنابس: منطقة زراعية تعلو سطح الحرة الغربية (الوبرة) بعد امتدادها من مزارع عروة شمالاً.

ويعتقد أنها منسوبة إلى بئر وقصر عنبسة بن سعيد بن العاص. . .

---

(١) أنساب الأشراف جـ/ ١/ ٢٤٦. وانظر حديث تحويل القبلة في الموطأ باب «ما جاء في القبلة» والبخاري رقم/ ٤٠٣/ باب «ما جاء في القبلة» ومسلم في المساجد ومسند أبي يعلى الحديث/ ١٥٠٩/ وتفسير ابن كثير الآية (١٤٢) سورة المائدة. ويؤيد ما أثبته رواية ابن سعد في الطبقات وما نقله ابن كثير عن المفسرين. ويمكن أن يطلق اسم «القبلتين» على المكان الذي نزل الوحي على الرسول فيه بتحويل القبلة وعلى الأماكن الأخرى التي كان المسلمون يصلون فيها وجاءهم الخبر بالتحويل وهم في صلاتهم.

(٢) جمهرة أنساب العرب/ ٧٨/. وقال ياقوت في سبب التسمية: وفي يوم الفِجار قيّد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان ابنا أمية أنفسهم كيلا يفروا فسموا العنابس.

وسوف أعرف بالقصر وصاحبه وبئره في مكان آخر من هذا الكتاب، عند الحديث عن عمران العقيق.

## عَرْصة العقيق

بفتح أوله وسكون ثانيه، وصاد مهملة. قال الأصمعي: كل جوبة متسعة ليس فيها بناء فهي: عَرْصة. وقال غيره: العَرْصة: ساحة الدار، سميت لاعتراص الصبيان فيها، أي: للعبهم فيها[1].

وقالوا: إن تبّعاً مرّ بالعَرْصة، وكانت تُسمى السليل - وزن أمير[2] - فقال: هذه عرصة الأرض، كأنه أراد: ملعب الأرض أو ساحة الأرض.

وقد اختلف المؤرخون في عدد العرصات وأسمائها: فنقل البكري أنها أربع عرصات: عرصة البقل، وعرصة الماء، وعرصة جعفر بن سليمان، وعرصة الحمراء، وبها قصر سعيد بن العاص[3].

---

(١) «لسان العرب» مادة و «عرص» قال مالك بن الريب:

تحمل أصحابي عشاءً وغادروا أخاً ثقةٍ في عَرْصة الدار ثاويا

(٢) انظر «معالم طابة» تحقيق حمد الجاسر. واستشهد المؤلف بقول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

تطاول ليلي من هموم فبعضها قديم ومنها حادث مترشّح
تحنّ إلى عِرْق الحجون وأهلها منازلهم منّا سَليل وأبطَح

قال ياقوت: وليس في هذا الشعر دليل على أنَّ السليل موضع بعينه لأنه يُحتمل أنه أراد الوادي اسم جنس، ثم ذكره الحجون والأبطح فيه نظر، لأنهما بمكة. وإنما ذكرنا ذلك إلى أنْ يتضح.

(٣) معجم ما استعجم/ ١٣٣٢/ ومعالم طابة. وقال: إن بالمدينة عرصة أخرى شرقية ولديها سد يعرف بسد العرصة. وفي تاريخ رزين: أن رسول الله صلى في مسجد العرصة وهي ضيعة لسعد بن معاذ رضي الله عنه. وفي مسند الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك في غزوة (بدر) قال «وكان - ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال..». جـ ٣/ ١٤٥. والعرصة هنا ساحة المعركة. والحديث في البخاري (كتاب المغازي) الباب الثامن، باب (قتل أبي جهل).

ونقل ياقوت: أنهما عرصتان بعقيق المدينة. ثم ذكر «عرصة الماء» وفيها قصر سعيد. «والعرصة الصغرى» في شعر داود بن سلم... وقال: إنما قال: العرصة الصغرى لأن العقيق الكبير يتبعها من أحد جانبيها، ويتبعها عرصة البقل من الجانب الآخر.

وذكر العرصة «البيضاء» في بعض الأشعار.

ونقل السمهودي عن الهجري «ثم يفضي سيل العقيق إلى عرصة البقل، وعرصة الماء، وعرصة جعفر بن سليمان، بقبل الجماء العاقر، وبالعرصة الكبرى قصر سعيد.

ونقل عن الزبير بن بكار: أن قصر سعيد بعرصة المـاء، وهي العرصة الصغرى.. ويظهر من مجموع كلامهم: وجود ثلاث عرصات:

العرصة الكبرى، وتسمى عرصة البقل.

والعرصة الصغرى، وتسمى عرصة الماء.

وعرصة جعفر بن سليمان.

وإذا أطلقوا أسماء أخرى على بعض العرصات فإنما يكون لصفة زائدة رآها من أطلق هذا الاسم...

فقد ذكر صاحب «تحقيق النصرة» أن القبور الثلاثة في الحجرة الشريفة كانت مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء، فكأنه لوحظ أن لون رملهـا أكثر حمرة من غيرها...

وقد يطلق اسم «العرصة» ويراد بها كل واحدة منهن، وقد تثنى، ويراد بها: الكبرى والصغرى..

قال ياقوت: والعرصتان في العقيق من نواحي المدينة، من أفضل بقاعها وأكرم أصقاعها.

وروى ياقوت عن محمد بن عبد العزيز الزهري[1] عن أبيه، أن بني أمية كانوا يمنعون البناء في «العرصة» عرصة العقيق، ضناً بها، وأن سلطان المدينة لم يكن يقطع بها قطيعة إلا بأمر الخليفة».

وروي «نعم المنزل العرصة لولا كثرة الهوام».

ولو أردنا تحديد منطقة «العرصة» أو «العرصات» حسب المسميات الحديثة[2] لتلك الناحية: فإننا نجد العرصة أو العرصات تكاد تكون محل الجامعة الإسلامية، وجنوبها وشمالها وفي منطقة القصر الملكي المجاور للجامعة الإسلامية، ثم تمتد فتشمل منطقة «مستشفى الملك فهد» ثم تتقدم إلى أسفل فتشمل منطقة بئر رومة..

وقد أكثر الشعراء من ذكر «العرصة» في شعرهم. فمنهم من ذكرها مطلقة معرفة بـ «الـ» ويخص بها عرصة معهودة.. فقال ذؤيب الأسلمي يذكر عرصة الماء التي فيها قصر سعيد بن العاص:

قد أقر الله عيني ... بغزالٍ يا بن عَوْن
طاف من وادي دُجيل ... بفتى طلق اليدين[3]
بين أعلى عرصة الما ... ء إلى قصرٍ وبيني[4]

---

(١) محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف.. قال البخاري: منكر الحديث، ويقال: بمشورته جلد الإمام مالك، وولي قضاء المدينة سنة ١٤٣ هـ. انظر «أخبار القضاة» و«لسان الميزان» و«التحفة اللطيفة» جـ ٣.

(٢) لم أحاول تحديد المعالم بالأسماء الحديثة، لأن التغيير العمراني يأكل كل قديم، ويغير المعالم سريعاً، ويأتي بأسماء جديدة وشوارع جديدة، وقد استعمل الأستاذ العياشي في «المدينة بين الماضي والحاضر» المسميات الجديدة التي وجدها عند تأليف كتابه سنة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م.. فإذا قرأته سنة ١٤٠٣ هـ لا تجد إلا القليل من المسميات التي ذكرها.. فإذا رأيت أن المسمى الجديد سيكون معلماً ثابتاً، استخدمته في تحديد الأماكن. ومن المعالم الباقية إن شاء الله تعالى: «الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة».

(٣) دجيل: نهر بالعراق.

(٤) في «وفاء» و«معالم طابة» إلى قصر «زبين» ذكره ياقوت، وقال: «موضع» ولم يحدده، وما أثبته من «معجم البلدان».

فقضاني في منامي كلَّ موعودٍ ودَيْن

وقال أبو الأبيض سهل بن أبي كثير:

قلتُ من أنن، فقالتْ بَكْرةٌ من بكرات
ترتعي نبتَ الخُزامى تحت تلك الشجرات
حبذا العرصةُ داراً في الليالي المُقمرات
طاب ذاك العيشُ عيشاً وحديث الفتيات
ذاك عيش أشتهيه من فنون الأمسيات

وفي العرصة الصغرى يقول داود بن سلم[1]:

أبرْزتُها كالقمر الزاهر في عُصفر كالشَّرر الطائر
بالعرصة الصغرى إلي موعدٍ بين خليج الواد والظاهر[2]

وقال بعض المدنيين، يذكر العرصة البيضاء:

وبالعرصة البيضاء إنْ زرتَ أهلها مها مهملاتٌ ما عليهن سائسُ
خرجن لحُبّ اللهو من غير ريبةٍ عفائفُ باغي اللهو منهن آيس
يَرِدْن إذا ما الشمسُ لم يُخشَ حرُّها خلال بساتين خلاهن يابس
إذا الحر آذاهنَّ لُذن ببحْرةٍ كما لاذ بالظل الظباءُ الكوانسُ[3]

(١) داود بن سلم: شاعر مدني، يذكر في أخبار القضاة، فقد كان من فساق الشعراء، ويجلده القضاة، وبالتالي فهو يهجو القضاة. وأخباره في الأغاني وله قصص مع القاضي سعد بن إبراهيم (أخبار القضاة) لوكيع ج١/ ١٥٦ ١٥٧ وانظر «المدينة المنورة في العصر الأموي» للمؤلف.

(٢) قال ياقوت: وإنما قال: العرصة الصغرى، لأن العقيق الكبير ينيفها من أحد جانبيها، ويتبعها عرصة البقل من الجانب الآخر. والخليج الذي ذكره: خليج سعيد بن العاص.
وقوله: الواد: بدون ياء قال صاحب اللسان: وربما اكتفوا بالكسرة من الياء. وقال ابن سيدة حذفت الياء لأن الحرف لما ضعف عن تحمل الحركة الزائدة عليه ولم يقدر أنْ يتحامل بنفسه دعا إلى اخترامه وحذفه.
وقوله والظاهر: ذكر السمهودي «الظاهرة» بالتاء المربوطة وهي بناحية النقا والمدرج من الحرة الغربية.

(٣) البحرة: هي الروضة العظيمة مع سعة. والبحرة: الوادي الصغير يكون في الأرض =

والشعر في العرصات كثير، وسيأتي طرف منه عند الحديث عن «العقيق والشعر» في فصل قادم.

قال ياقوت: وبنو إسحق العرصي، منسوبون إلى العرصة. وهو إسحق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب[1].

وبعد أن قرأت تاريخ العقيق، وقصص قصوره وسكانه، كنت أذهب إلى تلك المرابع أستنشق عبير العقيق في القرن الأول الهجري فتغيب عن عيني شواخص العقيق الحديثة، وطرقه المعبدة، وأرى أمامي قصور تلك العصور وأرقب مجالس أهلها عن كثب، فأشعر بجمال الحياة، وعزّ المجد وأذكر ما قاله المؤرخون «وكانت في العرصة قصور مشيدة، ومناظر رائعة، وآبار عذبة، وحدائق ملتفة فخربت ودثرت على طول الزمان وتكرر الحدثان، ولم يبق اليوم ـ القرن ٨ ـ ١٠هـ ـ فيها إلاّ آثار وآبار، وبقايا أبنية متهدمة تدل على ارتفاع الديار، ولكن تجد النفس برؤيتها أنساً، لا يكاد البنان يصفه، ويشاهد من مناظرها روحاً لا يكاد اللسان ينعته، فهو كما قال حبيب بن أوس (أبو تمام):

ما ربع ميّة معموراً يطيف به  غيلانُ أبهى ربا من ربعها الخرب[2]
ولا الخدود وإن أدمين من نظرٍ  أشهى إلى ناظرٍ من خدّها التَّرب

وبعد أن يستقيظ الإنسان من حلمه العقيقي، ينتابه الانقباض وتطيف به الأحزان، ويحاول أن يقوم من مقامه فلا تحمله قدماه، ويتمني لو أن شقاً في الأرض يبتلعه وهو في مكانه حتى لا يرى غير ما رآه في طيف خياله. ولكن الأمل الباسم قد أهلّ على النفوس وجاء (مع إطلالة

= الغليظة. والبحرة: الهبطة يستنقع فيها الماء. ومعنى الروضة هنا أنسب للمقام.
(١) انظر «تهذيب التهذيب» جـ/ ١/ ٢٣٨.
(٢) ميّة: صاحبة الشاعر غيلان، وهو غيلان بن عقبة الشاعر المشهور «ذو الزمة» وقد عشق مية المنقرية واشتهر بها. توفي سنة ١١٧ هـ والبيتان من قصيدة أبي تمام «فتح عمورية».

القرن الخامس عشر الهجري) البشير، وبدأ الوجه المشرق يعود إلى العقيق وأخذت تدب فيه الحياة وظهرت على قسماته نضارة البناء وعزائم الجود. فقصده محبوه في حدائقه البهية وبساتينه المعطاءة. وانهلّت في أفنائه مناهل العلم[1] فارتاده الورّاد ينهلون. وترتاح النفس عندما يتجول الإنسان في العقيق فيرى نماذج من طراز البناء العربي الإسلامي فيدرك أن هناك رغبة في إحياء عقيق المجد في شكله ومضمونه.

## بئر رومة

تقع بئر «رومة» في عرصة العقيق الكبرى، بقرب مجتمع الأسيال شمالي غربي المدينة. ويقال لها: «رومة»: بضم الراء، وبعد الراء الواو. وقد يقال: رؤمة، بوضع همزة فوق الواو.

وهي بئر قديمة جاهلية. لما روي أن تبّعاً اليماني لما قدم المدينة كان منزله في «قناة» واحتفر البئر التي يقال لها «بئر الملك» فاستوبأ ماء بئره، فدخلت عليه امرأة من بني زُريق، يقال لها: فكهة، فشكا إليها وباء بئره، فانطلقتْ فأخذت حمارين، فاستقت له من بئر رومة، ثم جاءته به، فشرب، فأعجبه، وقال: زيديني من هذا الماء فكانت تصير إليه به مقامه، فلما خرج قال لها: يا فكهة، إنه ليس معنا من الصفراء والبيضاء ـ الذهب والفضة ـ شيء، ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا. فيقال: إنها كانت لم تزل هي وولدها أكثر بني زريق مالاً حتى جاء الإسلام[2].

---

(١) من دور العلم الموجودة في وادي العقيق سنة ١٤٠٥ هـ الجامعة الإسلامية وتقع في عرصة العقيق. وكلية التربية المتفرعة من جامعة الملك عبد العزيز بجدة. وثانوية أحد وتقع في العرصة الكبرى. وثانوية خالد بن الوليد وتقع في العنابس. ومتوسطة عبد القدوس الأنصاري في «القبلتين» ومتوسطة الإمام علي ومتوسطة ابن خلدون وتقعان بالقرب من مجمع السيول في «زغابة».

(٢) انظر القصة في «الإصابة» رقم ٢٧٧١ «ووفاء الوفا» ومعالم طابة.

وفي اسم البئر خلاف، وهناك أقوال:

**الأول**: إنها منسوبة إلى رجل غفاريّ يسمى «رُومة» فقال ابن حجر في «الإصابة» رومة الغفاري صاحب بئر رومة.

**الثاني**: إن «رؤمة» امرأة أمة كانت تستقي منها للناس فنسبت إليها[1].

**الثالث**: إن الشعبة التي هي على طرفها تدعي «رؤمة» والشعبة وادٍ صغير يجري فيه الماء[2].

وقد ورد بئر رومة في الأحاديث النبوية بصيغ متعددة:

في صحيح البخاري أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر، أشرف على الناس فقال: «أنشدكم، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله قال: من حفر بئر رومة فله الجنة، فحفرتها»... وقال عليه الصلاة والسلام: من اشترى بئر رومة فله مثلها في الجنة»[3] وقال: من يشتري رومة بِشِرْب رَوَاءٍ في الجنة..؟»[4] وفي

---

(١) انظر أنساب الأشراف للبلاذري جـ ١/ ٥٣٦.

(٢) واختلفت الروايات: هل حفرها عثمان أو اشتراها؟ روايات البخاري بلفظ «حفرها» وروايات النسائي والترمذي والبغوي بلفظ «اشتراها» ورواية «اشتراها» هو المشهور في الروايات. ورأى بعض العلماء أن رواية الحفر فيها وَهْم. وللجمع بين الروايات نقول: لعل البئر كانت قليلة الماء لا تكفي حاجة المسلمين فعمقها وطواها ليكثر ماؤها فنسب حفرها إليه. انظر «فتح الباري» باب «مناقب عثمان بن عفان» وباب «نفقة القيم للوقف» رقم/ ٢٧٧٨. و«سنن النسائي» كتاب «الأحباس» جـ ٥/ ٢٣٥.

(٣) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة جـ ١/ ١٥٤. والنسائي في «الأحباس».

(٤) المصدر السابق: من: اسم استفهام. بشرب: الباء حرف جر، والشرب بكسر الشين: الحظ والنصيب من الماء. أو مورد الماء، ووقت الشرب والجمع «أشراب» وفي القرآن الكريم في قصة ناقة صالح ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ ومعناها: الحظ والنصيب. والرواء: بفتح الراء والواو: الماء الكثير المروى، والماء العذب. وفي الأصل: «من يشتري.. يشرب».. بالفعل المضارع وأظن المحقق وهم. تاريخ المدينة جـ / ١/ ١٥٤.

رواية أخرى: «نعم القليب قليب المزني»[1].

وقد جمع العلماء بين الروايات فقالوا:

إن البئر قديمة جاهلية، كانت قد ارتطمت فجاء قوم من مزينة، فقاموا عليها وأصلحوها[2]، وكانت رومة امرأة منهم، فتسمت البئر باسمها، أو باسم الوادي الذي يجاورها، ثم امتلكها فيما بعد الرجل الغفاري، وجاء الإسلام وهي مملوكة له. فإذا قيل بئر رومة الغفاري: يقصد به: صاحب بئر رومة الغفاريّ فالغفاري وصف لـ: صاحب. ويبقى اسم «رومة» اسما للبئر، وليس للرجل الغفاري.. وإذا قيل: قليب المزني: تكون منسوبة إلى من حفرها بعد ارتطامها. ويبقى الجمع بين هذه الروايات وبين الرواية التي تقول: إن بئر رومة كانت ليهودي. وفيها نقول: إذا صحت هذه الرواية فقد تكون البئر مملوكة لليهودي والغفاري، فاشترى عثمان أولاً حصة الغفاري وأطلقها للناس يشربون منها، فلما رأى اليهوديُّ أن الناس لم يأتوا لشراء الماء في يومه، باع النصف الآخر، لعثمان رضي الله عنه، فأصبحت للمسلمين كاملة.

أما حديث البخاري الذي يقول: «من حفر بئر رومة، فله الجنة فحفرتها»: المقصود به: التوسعة والتعميق لتأتي بماء أكثر. والله أعلم[3].

---

(١) رواه ابن شبة جـ ١/ ١٥٤.

(٢) أنساب الأشراف جـ ١/ ٥٣٦.

(٣) إن اسم البئر ومكانها متفق عليهما عند المؤرخين ولكن الاختلاف حاصل في مالك البئر هل هو مزنيّ أو غفاري؟ وهل كان أحدهما يملك البئر كلها، أو كان يملك يهوديٌّ نصفها؟ وأكثر الرواة على أنها مملوكة لأحد العربيين، أما البخاري فلم يذكر المالك. وأما البغوي فقال: وكانت لرجل من بني غفار عينٌ يقال لها رومة. وأما رواية ابن سعد فتقول: نظر رسول الله إلى رومة وكانت لرجل من مزينة يسقي عليها بأجر فقال: نعم صدقة المسلم هذه، مَنْ رجل يبتاعها من المزني؟ «وفي رواية: مرَّ رسول الله يوماً ببئر المزني وله خيمة إلي جنبها..» وفي إحدى روايات ابن شبة «نعمِ القليب قليب المزني. أما امتلاك اليهودي كلّ البئر أو نصفها فهي أقل الروايات شهرةً».

وقد ذكر بعض الشعراء بئر رومة. فقال مصعب بن عبدالله الزبيري[١] يذكر رومة ويتشوق إليها، وهو بالعراق:

أقول لثابتٍ والعين تَهمي ... دموعاً ما أنهنهها انحدارا
أعرني نظرةً بقرى دُجيل ... نُخايلُها ظلاماً أو نهارا
فقال أرى برومةَ أو بسَلْعٍ ... منازلَنا مُعَطَّلةً قِفارا

وقال عبدالله[٢] بن الزبير الأسدي يرثي يعقوب بن طلحة بن عبيد الله ومَنْ قتل معه بالحرة:

لعمري لقد جاء الكَرَوَّسُ كاظماً ... على خَبَرٍ للمسلمين وجيع[٣]
شبابٌ ليعقوبَ بن طلحةَ أقفرتْ ... منازلهم من رومةٍ وبقيعِ

ولبئر رومة في الإسلام تاريخ...

فقد ذكر أهل السير: لما قدم المهاجرون المدينة، استنكروا الماء، وكان لرجل من بني غفار بئر يقال لها: رومة، وكان يبيع منها القربة بالدرهم، فقال له رسول الله: «بعنيها بعين في الجنة» فقال: يا رسول الله ليس لي ولعيالي غيرها. لا أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فاشتراها، ثم أتى النبي فقال: أتجعل لي مثل ما جعلت له: عيناً في الجنة؟ إن اشتريتها؟. فقال: نعم. قال: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين[٤].

وفي رواية أخرى إنها كانت ليهودي يبيع ماءها من المسلمين. فقال رسول الله: «من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين، ويضرب بدلوه

---

(١) مصعب: صاحب كتاب «نسب قريش» شاعر وراوية متوفى سنة ٢٣٦ هـ.
(٢) عبدالله بن الزبير بن الأشيم الأسدي من شعراء الدولة الأموية توفي سنة ٧٥ هـ.
(٣) الكروّس بن زيد، شاعر إسلامي متوفى سنة ٧٠ هـ وهو أول مَنْ جاء بخبر الحرة إلى الكوفة، زمن يزيد بن معاوية.
(٤) «تحقيق النصرة» عن البغوي في مسنده.

في دلائهم وله بها شِرب في الجنة»؟ فأتى عثمانُ اليهوديَّ، فساومه بها، فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى عثمان نصفها، باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين، واتفقا أن يكون له يوم ولليهودي يوم. فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى اليهودي ذلك قال: أفسدت عليَّ رَكيَّتي، فاشتر النصف الآخر، فاشتراه عثمان بثمانية آلاف درهم[1].

وقد ذكرها المؤرخون من جملة الآبار التي كان النبي يستعذب ماءها[2]. وذكر ابن هشام في السيرة النبوية عند حديثه عن غزوة الأحزاب وتحديد الأمكنة فقال: «ولما فرغ رسول الله من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة، وخرج رسول الله والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم»[3].

وعندما حوصر عثمان رضي الله عنه في داره، كانت بئر رومة من الأعمال التي استشفع بها عند المحاصرين والناقدين، بذكر سوابقه[4] إلى الخير. فقال للناس: أنشدكم بالله.. تعلمون أن رسول الله قال: من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها.. الحديث[5].

---

(١) المصدر السابق عن أبي عمر بن عبد البر.. و«تاريخ المدينة» لابن شبة جـ ١/ ١٥٣. وكون العلة في حث الرسول على شرائها أن ماء البئر كان يباع على المسلمين، ثابت بالروايات الصحيحة. ففي سنن النسائي أن عثمان قال: «أنشد بالله رجلاً شهد رومة تباع فاشتريتها» وعند الترمذي «لم يكن يشرب منها إلا بثمن..» وفي رواية البغوي: وكان صاحبها يبيع القربة منها بعدّ، فقال له النبي تبيعنيها بعين في الجنة؟..

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري جـ / ٥٣٦.

(٣) سيرة الرسول لابن هشام جـ / ٣/ ٢٣٠.

(٤) كان ذلك سنة ٣٥ هـ في السنة الأخيرة من خلافته، حيث قدم عليه الخارجون من مصر والعراق ودخلوا عليه داره، وقتلوه مظلوماً شهيداً رحمه الله.

(٥) قوله: فحفرتها: والمعروف أنه اشتراها. قال الحافظ ابن حجر: في الجمع بين اشتراها وحفرها «هناك رواية» وكان لرجل من بني غفار عين يقال لها «رومة». وإذا كانت أولاً =

وفي رواية: لما حوصر عثمان أرسل إلى عمار بن ياسر يطلب أن يدخل عليه روايا الماء، فأبى عليه الناس ذلك، فقال عمار: سبحان الله، اشترى عثمان هذه البئر - يعني رومة - بكذا، وكذا ألفا فتصدق بها على الناس، وهؤلاء يمنعونه أن يشرب منها(١).

قال ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ هـ: وهذه البئر اليوم بعيدة عن المدينة جداً في براح واسع من الأرض وطيّ، وعندها بناء من حجارة خراب، وحولها مزارع وآبار، وأرضها رملة. وقد انتقضت خرزتها وأعلامها إلا أنها بئر مليحة جداً، مبنية بالحجارة الموجهة، وذرعتها فكان طولها ثمانية عشر ذراعاً منها ذراعان ماء، وباقيها مطموم بالرمل الذي تسفيه الرياح، وعرضها ثمانية أذرع، وماؤها صاف وطعمه حلو إلا أن الأجون(٢) غلب عليه.

وقال: واعلم أن هذه الآبار قد يزيد ماؤها في بعض الأزمان عما ذكرنا وقد ينقص وربما بُني منها ما كان مطموماً. وقال المطري المتوفى سنة (٧٤١ هـ) وقد خربت هذه البئر - يعني رومة - ونقضت حجارتها وأخذت وانطمت ولم يبق اليوم منها إلا أثرها.

فقال المراغي المتوفى سنة (٨١٦ هـ) وينبغي أن يُعلم أنها جُددت بعد ذلك ورُفع بنيانها عن الأرض نحو قامة. ونزحت فكثر ماؤها ولله الحمد. أحياها كذلك القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن المحب

---

= عيناً، فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئراً. ولعل العين تجري إلى بئر فوسعها أو طواها، فنسب حفرها إليه.

(١) انظر روايات هذا الخبر في تاريخ المدينة لابن شبة جـ ١/ ١٥٢ «وإذا صح هذا الخبر فإنه يبطل ما تدعيه كتب التاريخ من أن عماراً كان يحرض الناس على عثمان. ومنع الناس عثمان من شرب الماء ثابت بالحديث الذي رواه النسائي في كتاب الأحباس حيث قال عثمان للناس المحاضرين: «وأنتم اليوم تمنعوني من الشرب منها.. أي من بئر رومة».

(٢) الأجون: من أجن الماء أجوناً، إذا تغيّر لونُه وطعمه.

الطبري في حدود سنة (٧٥٠ هـ) أحسن الله جزاءه[١]، قال: وفي الصحيح (من يحفر بئر رومة فله الجنة) وقد حفرها عثمان فيتناوله العموم إنْ شاء الله[٢]. وفي سنة (١٣٤٨ هـ) زار المدينة الأمير شكيب أرسلان وكتب عن العقيق وآباره في كتابه: (الارتسامات اللطاف) فقال: وسيد الأعقة كلها عقيق المدينة وقد تنزهتُ فيه ونشقت طيب هوائه ورشفت من عذب مائه وفيه بئر عثمان بن عفان. وقد كانت لنا أيامَ زرت المدينة ـ قبل الحرب العامة بسنة ـ (قيلات)[٣] كثيرة على بئر عروة المشهورة بخفة مائها.

وقال: وقد كنت أشعر عند بئر عثمان من انشراح الصدر وانفساح الفكر ما لا أشعر به في مكان آخر من أماكن النزهة. حتى أني أردت مقابلة أعيان المدينة الكرام على حفاوتهم بي والمكارم التي أظهروها والمآدب التي اتخذوها فدعوت منهم خمسين أو ستين شخصاً إلى مأدبة اخترت لها بئر عثمان التي قال النبي فيها (نعم القليبُ قليب المزني).

أما في الوقت الحاضر فيقول عبد القدوس الأنصاري: وهي مع مزرعتها اليوم من جملة أوقاف المسجد النبوي ومن إدارة الأوقاف تستأجر ثم قال: وتستأجرها اليوم (سنة ١٣٩٢ هـ) وزارة الزراعة السعودية وجعلتها حديقة عامة تشتمل على مشاتل زراعية ومداجن وحظائر لأصائل الحيوانات من أبقار وأرانب ودجاج[٤].

---

(١) (تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) ص/ ١٧٥.

(٢) ذكره البخاري في الوصايا رقم (١٧٧٨) من الفتح. باب (إذا وقف أرضاً أو بئراً أو اشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين).

(٣) القيلات: جمع مفردها (قَيْلة) وتعني في لهجة أهل المدينة الذهاب إلى بستان وتناول الطعام، ويكون غالباً بعد الظهر. وفي المعاجم: (القيل والقيلة) اللبن الذي يُشرب نصف النهار وقت القائلة. أما النوم في الظهيرة: فهو: القائلةي أو القيلولة. وبما أن (قيلة) أهل المدينة مقرونة بطعام نصف النهار فإنها تعتبر لغة فصيحة.

(٤) آثار المدينة المنورة: ص/ ٢٤٥.

ولا زالت إلى اليوم (١٤٠٥ هـ) مزرعة حسنة عامرة من أبهج مزارع العقيق وفيها بئر غزيرة الماء بجوار البئر القديمة ويقصدها زوار المدينة وداخل سور الحديقة مسجد حديث بنته وزارة الأوقاف[١].

## الجُرف

الجُرْف، والجُرُف: بضم الجيم. وسكون الراء، أو ضم الاثنين: الجانب الذي أكله الماء من حاشية النهر. وقال ياقوت: الجرف، ما تجرفه السيول فأكلته من الأرض. وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. وتقدم عند الكلام على العرصات: أن العرصة الكبرى التي بها بئر رومة تختلط بالجرف فتتسع. وحدوده: ما بين محجة الشام إلى القصاصين[٢].

وقيل في سبب تسميته: أن تبّعاً مرّ به فقال: هذا جرف الأرض، وكان يسمى: العرض ـ بكسر العين المهملة ـ وفيه قال كعب بن مالك[٣]:

ولما هبطنا العِرْض قال سراتنا علام إذا لم نمنع العِرْض نزرع[٤]

---

(١) انظر (مشاهد من عمران العقيق) في آخر الكتاب.

(٢) القصاصون: أصحاب القَصة الذين كانوا يصنعونها وهي الجص.

(٣) كعب بن مالك الأنصاري: صحابي، من شعراء الرسول ﷺ توفي سنة ٥٠ هـ وقالوا إن أشجع بيت وصف به رجل قومه، قول كعب بن مالك:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق

«معجم الشعراء» للمرزباني.

(٤) البيت من قصيدة طويلة أوردها ابن هشام في السيرة، فيما قيل من الشعر يوم أحد، وما ردّ به حسان وكعب على شعراء المشركين، ويرد في هذه القصيدة على شاعر المشركين يوم أحد. وقد جاء اسم «الجرف» في شعر كعب مالك، ولكنه «جرف» آخر بالقرب من مكة، أو أيّ مكان آخر من ديار بني عبس، ولذلك يقول:

فلولا ابنة العبسيّ لم تلق ناقتي كلالاً ولم توضع إلى غير مُوضع

فتلك التي إن تتمس بالجرف دارها وأمس بخَزْبَى تمسُ ذكرتها معي =

وذَكر «الجرف» في أكثر من موضع من السيرة النبـوية وتـراجم الصحابة فقد ورد في السيرة أن رسول الله بعث أسامة بن زيد إلى الشام، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء من أرض فلسطين[(١)] فتجهز الناس، وكان في الجيش أبو بكر وعمر ووجوه المهاجرين والأنصار، وكان الناس قد تلكؤوا في إنفاذ بعث أسامة لصغر سنه، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام مريضاً.. فخرج الرسول إلى المسجد، وحث الناس على إنفاذ البعث.. فخرج أسامة وخـرج جيشه معه حتى نزلوا بالجرف فضرب به عسكره..

وله ذكر في غزوة تبوك: حيث خلف رسول الله علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقالاً، وتخففاً منه، فلما قال ذلك المنافقون أخذ عليٌّ سلاحه ثم خـرج حتى أتى رسول الله وهو نازل بالجرف[(٢)].

وفي ترجمة المقداد بن عمرو، أنه تـوفـي فـي خلافة عثمان سنة ٣٣ هـ بالجرف، فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالمدينة وصلى عليه عثمان[(٣)].

---

= وخزبى: في المدينة، الاسم الجاهلي لديار بني سلمة بالقرب من مسجد القبلتين. وليس من المعقول أن يكون «الجرف» في البيتين، جرف المدينة - لأن إثبات شدة التعلق بالمحبوبة، يقتضي بُعْد المسافة بين المحبين. وجرف المدينة قريب جداً من ديار بني سلمة، حتى ذكر الزبير أنه على ميل من المدينة وهناك كان المسلمون يعسكرون إذا أرادوا الغزو. وورد في الحديث «يأتي الدجّال المدينة، فيجد على كل نقب من أنقابها صفوفاً من الملائكة فيأتي سَبَخَة الجرف فيضرب رواقه... فيخرج إليه كل منافق ومنافقة. وروى مالك عن سليمان بن يَسَار أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى أرضه بالجرف، فرأى من ثوبه احتلاماً فقال: إني بُليت بالاحتلام منذ وليت أمر الناس، فاغتسل، وغسل ما في ثوبه من الاحتلام، ثم صلى بعد أن طلعت الشمس. (معجم البكري ص ٣٧٨).

(١) هذا نص «ابن هشام» والبلقاء الآن في الضفة الشرقية من نهر الأردن.

(٢) انظر خبر هذه الغزوة كاملاً في السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤/ ١٦٢.

(٣) المقداد.. ويعرف بالمقداد بن الأسود، كان في الجاهلية من سكان حضرموت، ووقع =

ويُروى أن عبد الرحمن بن عوف كان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً، وأن رجلاً زار المدينة ليلقى أصحاب رسول الله، فلقيهم إلا عبد الرحمن بن عوف، فسأل عنه فقيل له: إنه في أرضه في الجرف، فلما جاءه ألفاه واضعاً رداءه وبيده المسحاة يحول بها الماء(١).

وروى الزبير بن بكار أن النبي ﷺ ازدرع المزرعة التي يقال لها «الزين» بالجرف(٢).

وروى ابن سعد في الطبقات أن أبا بكر اقتطع الزبير الجرف(٣).

ورُوي أن عثمان بن عفان خلج خليجاً حتى صبه في باطن بلد من الجرف وجعله لبناته من نائلة بنت الفرافصة. وكان قد جيء بسبي من بعض الأعاجم، ثلاثة آلاف رجل، فطرحهم فيه يعملون، فلما طال على المسلمين ذلك جاؤوه فكلموه في سبيهم فقالوا: اقسم علينا سهامنا، فأبى عليهم، ثم جاؤوا فكلموه، فلما أكثروا عليه قال: من أحب أن يأخذ فليذهب فليبذل بذلهم(٤).

ويبدو أن أرض الجرف كانت خصبة وصالحة للزراعة منذ القدم، فقد رُوي أن تبعاً بعث رائداً ينظر إلى مزارع المدينة، فأتاه فقال: فأما قناة فحبٌ ولا تِبْنٌ، وأما الحرار فلا حب ولا تبن، وأما الجرف: «فالحب والتبن» ولا يزال «الجرف» يسمى بهذا الاسم حتى وقتنا الحاضر سنة ١٤٠٥ هـ، وفيه قرية عامرة بالسكان، وفيه مزارع خصبة.

= بينه وبين رجل خصام، فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن عبد يغوث، فصار يقال: المقداد بن الأسود، فلما نزلت الآية ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ عاد يتسمى المقداد بن عمرو وفي «أنساب الأشراف» أن أم المقداد كانت عند الأسود خلف عليها بعد أبيه عمرو، وتبناه فنسب إليه. وما ذكرته أولاً عن «الإصابة».

(١) انظر «الإصابة» و «الاستيعاب».

(٢) «معالم طابة» ١٧٤.

(٣) الطبقات الكبرى جـ ٣/ ١٠٤.

(٤) معالم طابة/ ٨٨.

# زغابة

على وزن سحابة، بالزاي والغين المعجمة..

وهي عَلَمٌ على مجتمع السيول آخر العقيق غربي قبر حمزة رضي الله عنه، وسبق ذكرها عند الحديث عن «بئر رومـة» وأن قريشـاً يوم الخندق نزلت مجمع الأسيال من رومة، بين الجرف وزغابة، في عشرة آلاف من أحابيشهم(١). وقد أنكرها بعضهم وقال هي الغابة.

قال ياقوت: وقال ابن جرير الطبري «زغابة» لا تُعرف، وليس الأمر كذلك فإنه روي في الحديث المسند أنه عليه الصلاة والسلام قال: في ناقة أهداها إليه أعرابي، فكافأه بست بكرات، فلم يرض، فقال عليه الصلاة والسلام «ألا تعجبون لهذا الأعرابي؟ أهدى إليّ ناقتي أعرفها بعينها، ذهبت مني يوم زغابة، وقد كافأته بست فسخط»(٢).

وقال ابن شبة في تاريخ المـدينة «وأمـا ملتقى سيول الأوديـة، ومجتمعها، فإنها تجتمع بزغابة، وهو طرف وادي إضم»(٣).

وقال البكري: بعد أن ذكر الجرف: ويلي ذلك الزغابـة، وبها مزراع وقصور، وتجتمع سيول العقيق وبُطحان وقناة بالزغابة.

---

(١) الأحابيش: هم بنو المصطلق والحيا بن سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا بذنب «حُبشي» وهو جبل بأسفل مكة، وتحالفوا بالله: إنا ليد على غيرنا، ما سجى الليل ووضح النهار وما رسا حبشي مكانه، فسُموا الأحابيش.
وقيل: سموا أحابيش لاجتماعهم، والتجمع في كلام العرب هو التحبش. «المعارف لابن قتيبة ص/ ٦١٦».

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند جـ/ ٢/ ٢٩٢. عن أبي هريرة أن أعرابياً أهدى إلى رسول الله ﷺ بكرة، فعوضه ست بكرات فتسخطه، فبلغ ذلك النبي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن فلاناً أهدى إليّ ناقة وهي ناقتي أعرفها كما أعرف بعض أهلي، ذهبتْ مني يوم زغابات، فعوضته ست بكراتٍ فظل ساخطاً لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي».

(٣) تاريخ المدينة جـ/ ١/ ١٧٢.

ونقل السمهودي: أن سيول العالية ترجع إلى بطحان وقناة، ثم تجتمع بزغابة عند أرض سعد بن أبي وقاص[1].

## إضَم

بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة..

قال ياقوت: إضم وادٍ بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة.. ويسمى من عند المدينة «القناة» ومن أعلى منها يسمى «الشظاة»، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمى إضماً إلى البحر.

وقال ابن السكيت: إضم واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر. وأعلى إضم القناة التي تمرّ دُوَين المدينة.

وقال السمهودي: إضم: اسم الوادي الذي تجتمع فيه أودية المدينة، وسمي إضم: لانضمام السيول إليه، ويسمى في أيامه «الضيقة» وفي هذا الوادي جبل يسمى «إضم».. وقد ذكر الشعراء «إضم»، فقال الأحوص الأنصاري:

يا موقد النار بالعلياء من إضم    أوقِدْ فقد هجت شوقاً غير منصرم

وقال إسحق الأعرج:

غشيتُ دياراً بأعلى إضمْ    محاها البِلى واختلافُ الدِّيمْ

ونقل السمهودي عن البيهقي خبراً في مصارعته ﷺ «ركانة» يتضمن أن ركانة كان يرعى غنماً له في وادٍ يقال له

---

(١) انظر: «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» لعاتق البلادي.
قال: والقول بأن زغابة غير الغابة قوي. لأن ابن إسحق حدد مكان اجتماع الأحزاب يوم الخندق وهو مجمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة. وهذا يجعل زغابة بين مقصر حرة المدينة الغربية وسلع والغابة من الجهة المقابلة من الوادي وإذا خرجت من سلع تريد بئر رومة مررت في زغابة.

«إضم» فخرج النبي من بيت عائشة إلى ذلك الوادي(١). وجاء ذكر إضم في غزوة «بطن إضم»(٢).

## الغابة

الغابة في اللغة: الوطأة من الأرض. والغابة: الجمع من الناس. والغابة: الشجر الملتف.

وهي عَلَم على موضع في سافلة المدينة، ينتهي إليه سيل العقيق، وكذلك سيول المدينة المنورة.

وقال ياقوت: الغابة موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة.

وقال البكري: ثم يفضي العقيق إلى سافلة المدينة ـ الغابة وعين الصّورين(٣). وللغابة ذكر في غير موضع من السيرة والتاريخ في الصدر الأول:

---

(١) ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب، وكان قوياً لم يصرع أحداً إلا صرعه. والخبر في «أنساب الأشراف» جـ ١/ ١٥٥. وفي السيرة النبوية لابن هشام جـ٢/ ٣١، وتفيد الروايتان أن المصارعة حصلت في مكة. ومجمل الخبر في «أنساب الأشراف» أن ركانة لقيه الرسول في بعض جبال مكة، وكان أشد العرب، لم يصرعه أحد قط. فدعاه الرسول إلى الإسلام، فقال ركانة: إن صرعتني أسلمت، وإلا فغنمي لك، وإن صرعتك كففتك عن هذا الأمر.. فأخذه النبي فصرعه ثلاثاً، فقال: يابن العم، العَوْد، فصرعه ثلاثاً، فقال له الرسول: أسلم، فقال: لا وقوله: (وإلا فغنمي لك) وأي وإن لا أسلم. ويفهم من كلام الجغرافيين أن وادي إضم يبدأ من أول مجتمع السيول حتى ينتهي إلى البحر، ولكل ناحية منه اسم، وعلى طول مجراه أموال رغاب من أموال السلطان وغيره من أموال أهل المدينة، منها «عين مروان» و «عين الغوار» و «الشبكة» أو «الشبيكة» بعد ذي خشب (أبو علي الهجري) ٣٠٢.

(٢) بعث النبي ﷺ سرية قوامها ثمانية رجال إلى بطن إضم في أول شهر رمضان سنة ٨ هـ ليظن أن النبي يتوجه إلى تلك الناحية، وذلك عندما كان يتجهز لفتح مكة، ثم لحقتْ السرية الرسول بعد المسير إلى مكة: «الرحيق المختوم» للمباركفوري.

(٣) الصّوران: تثنية صور ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ وهو النخل المجتمع الصغار. وليس له =

وقد ذكرت في غزوة «ذي قَرَد»[1] حين أغار عيينة بن حصن الفزاري على لقاح رسول الله بالغابة، وفيها رجل من بني غفار، وامرأة له، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح[2]. وتسمى أيضاً غزوة «الغابة».

وجاء في ترجمة أبي رافع مولى رسول الله، واسمه «أسلم» أنه صنع لرسول الله منبره من إثل الغابة[3].

وفي صحيح البخاري: «أرسل عليه الصلاة والسلام إلى امرأة، أن مُري غلامك النجار يعملْ لي أعواداً أجلس عليهن[4]، فعمل هذه الدرجات الثلاث ثم أمر بها فوضعت بهذا الموضع، وهي من طرفاء الغابة».

وفي «الطبقات الكبرى» قال العباس إن لي غلاماً يقال له: كلاب، أعمل الناس، فقال له النبي: فمره يعمل، فأرسل إلى أثلة بالغابة فقطعها ثم عملها درجتين ومجلساً».

---

= واحد من لفظه. وهو علم على مواضع أشهرها ما كان بقرب البقيع بالمدينة. وكأنهم يلحظون وجود «الصورين» بمعنى النخل المتجمع، في كل مكان تسمى بهذا الاسم لأنهم يعربونه كالمثنى ولم يرد إلا مجروراً بالياء على تقدير ذات الصورين. وعين الصورين: بأدنى الغابة.

(١) قَرَد: بفتح الأول والثاني، جبل أسود شمال شرقي المدينة يبعد ٣٥ كيلاً. وقال ابن حجر: هو ماء على مسافة يوم من المدينة.

(٢) في صحيح البخاري: عن سلمة بن الأكوع «وكانت لقاح رسول الله ترعىً بذي قرد» ونقل ياقوت عن عياض قوله: وهذا غلط. إنما هو بالغابة قرب المدينة وذو قرد حيث انتهى المسلمون آخر النهار وبه باتوا ومنه انصرفوا فسميت به الغزوة. وقال البلاذري: كانت لقاح الرسول ترعى بالغابة وتسمى الغزاة أيضاً غزاة الغابة. وكانت بعد الحديبية وقبل خيبر بثلاث.

(٣) انظر «أنساب الأشراف» قال: وكان أبو رافع للعباس فوهبه لرسول الله ﷺ فأعتقه الرسول لأنه بشره بإسلام العباس رضي الله عنه.

(٤) البخاري باب «الاستعانة بالأعواد» والنسائي في المساجد باب «الصلاة على المنبر».

وعن مولاة أم سلمة قالت: كان لرسول أعنز سبع، فكان الراعي يبلغ بهن مرة «الجمّاء» ومرة «أحداً» وتروح علينا. وكانت لقاحه بذي جَـذْر[1] فتأتينا ألبانها بالليل، وتكون بالغابة، فتأتينا ألبانها بالليل، وكان أكثر عيشنا اللبن من الإبل والغنم[2].

ونقل السمهودي: أن الزبير كان قد اشترى الغابة بمائة وسبعين ألفاً وبيعت في تركته بألف ألف وستمائة ألف[3].

ولكن الذي يؤخذ من تحقيقات الأستاذ العياشي أن الذي كان يملكه الزبير جزء من الغابة وليست الغابة كلها. فقال: وهذا ينطبق على أرضه وهي معروفة اليوم «غابة ابن الزبير» وهي في الشمال من أحد.

وقريباً من الغابة بركة تسمى «بركة ابن الزبير» لعلها كانت تسقي الأرض بعد تجمع الماء فيها.

وقال الأستاذ الأنصاري: «ومع ضخامة هذه البِرْكة وخلودها، لم يرد لهـا ذكر فيما اطلعت عليه من تواريخ المدينة. وقد ورد في «وفاء الوفاء» وفي «معالم طابة» عند تحديد مكان «حفيا» أنها على مقربة من «البركة»، ولعل البركة، بركة ابن الزبير أنشئت في هذا المكان»[4].

ونقل السمهودي: أن عبد الرحمن بن أبي أحمد، وكيل معاوية بضياعه بالمدينة، ذكر له أراضي يعرض عليه شراءها، فلم يوافق معاوية عليها، وذكر له الغابة «فقال معاوية: اشترها لي، فقال ابن أبي أحمد: ذكرت لك أودية لا تعرفها فكرهتها، وذكرت لك الغابة، فقلت اشترها. فقال معاوية: ذكرت الغابة فدلتني على كثرة مائها. قال السمهودي: فقد

---

(١) ذي الجدر: مسرح على ستة أميال من المدينة ناحية قباء.
(٢) أنساب الأشراف جـ ١.
(٣) وفاء الوفا ص ١٢٧٥.
(٤) آثار المدينة ص ١٨٢.

أخذ من لفظ «الغابة» كثرة مائها. لأنها «لغة» ذات الشجر المتكاثف، فتغيب ما فيها وذلك لكثرة الماء.

وهذا مثل القائل:

إن كنتَ تَبْغي العلمَ أو مثله — أو شاهداً يخبرُ عن غائب
فاختبر الأرض بأسمائها — واعتبر الصاحبَ بالصاحب

وفي بيان بُعْدها عن المدينة، ذكروا أن العباس رضي الله عنه، كان يقف على جبل سلع في المدينة، فينادي غلمانه بالغابة، فيسمعهم، وذلك في آخر الليل. وفي أدنى الغابة «الحَفْيا» ولها ذكر في سباق الخيل الذي جرى في عهد رسول الله ﷺ.

روى البلاذري عن ابن عمر: أن رسول الله سابق بين الخيل، فجعل غاية المضمرة من «الحفيا» إلى ثنية الوداع[1].

وفي موطأ الإمام مالك عن السيدة عائشة: أنها قالت: أن أبا بكر نحلها جادّ عشرين وسقاً من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة، قال: يا بنية، إنيّ كنت نحلتك جادّ عشرين وسقاً، فلو كنت جددتيه واحتزتيه كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك وأختاك، فاقتسموه على كتاب الله»[2]..

قال الأستاذ الأنصاري بعد زيارته الغابة سنة **١٣٤٩** هـ: «وقلت في نفسي وأنا أتأمل وضع الغابة الحالي وأقارنه بما ذكر.. سبحان الله! أكان

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» والبخاري في «الجهاد». (٢٨٧٠) والمضمرّة: الخيل تعلف حتى تسمن وتقوى ثم يقلل علفها بقدر القوت وتدخل بيتاً وتغشى بالجلال حتى تحمى وتعرق، فإذا جف عرقها خف لحمها وقويت على الجري. قال ابن حجر: وفي الحديث مشروعية المسابقة وأنه ليس من العبث بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى المقاصد في الغزو. قال القرطبي: ولا يخفى اختصاص استحبابها بالخيل المعدة للغزو (فتح الباري).

(٢) الموطأ باب (ما لا يجوز من النحل).

في هذه الغابة الموحشة المقفرة من الزرع والنبات والنخيل في هذا العصر ـ عصر القرن الأول الهجري؟ حقاً إن هذه الأماكن كالبَشَر، تسعد وتشقى ثم تسعد، ولا ندري متى تحف السعادة الغابة بعد هذا»[1].

---

(١) قلت: وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري حفت السعادة الغابة مرة أخرى وهي الآن عامرة بالمزارع والبساتين والبنيان وأصبحت تدر على المدينة كثيراً من الخيرات. ولكنها لا زالت دون ما قرأنا عنها في كتب التاريخ، رغم ضعف آلات القدماء وقوة ما بأيدينا من أدوات العمل. (وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم) وهناك منطقة زراعية واسعة غنية بالبساتين تسمى «الخليل» بالتصغير. وهي من الغابة بعد اجتماع سيول قناة وبُطحان والعقيق.

# من زغابة حتى البحر

كان من المتوقع أن أتوقف عندما يختلط ماء العقيق بماء «قناة» و «بطحان» حيث ينتهي مجرى العقيق. . . ولكنني آثرت أن أمر مسرعاً في صحبة عقيقنا حتى يصل إلى مصبه في البحر.

وأكتفي هنا بذكر مراحل الوادي كما أوردها ابن شبة في تاريخ المدينة حيث قال:

وأما ملتقى هذه الأودية ـ بطحان ـ وقناة ـ والعقيق ومجتمعها، فإنها تجتمع بزغابة، وهو طرف وادي إضم، وإنما سمّي «إضم» لانضمام السيول به، واجتماعها فيه.

ثم تجتمع فتنحدر على عين أبي زياد[1]، ثم تنحدر فيلقاها الشعاب يمنة ويسرة، ثم يلقاها وادي[2] **مالك بذي خُشُب**[3]،

(١) عين أبي زياد: موضع في أدنى الغابة تنحدر السيول إليها بعد اجتاعها في إضم.
(٢) وادي مالك: كذا بالأصل. ولعله «ملل» كما ذكر السمهودي. وهو وادٍ ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب في الفرش ثم ينحدر حتى يصب في إضم.
(٣) قوله: بذي خشب: أي: يلقاها وادي ملل بذي خشب. وهو بضم الخاء والشين: أسفل مجتمع أودية المدينة، وهو علي ليلة من المدينة. وكان بذي خشب قصر لمروان بن الحكم وبه نزل بنو أمية لما أخرجوا من المدينة قُبيل موقعة الحرة.
قال الشاعر:

وظَلِم[١] والجُنينة[٢] ثم يلقاها وادي أوان[٣]، ودوافعه من الشرق.

ويلقاها من الغرب واد يقال له «بُواط»[٤] و «الخرّار»[٥]، ويلقاها من الشرق الآتمة[٦]، ثم تمضي في وادي إضم وعيونه حتى يلقاه وادي بِرمة[٧]، الذي يقال له: ذو البيضة ـ من الشام ـ ويلقاها وادي ترعة من القبلة، ثم يلتقي هو ووادي «العيص»[٨] من القبلة، ثم يلقاه دوافع وادٍ

---

= أبت عيني بذي خُشُب تنام وأبكتها المنازلُ والخيام
وأرقني حمام بات يدعو على فَنن تجاوبه حمام
ألا يا صاحبيّ دعا ملامي فإن القلب يغريه الملام

(١) ظَلِم: بفتح أوله وكسر ثانيه: وهو وادٍ. ونقل ياقوت: أنه جبل بالحجاز بين إضم وجبل جهينة.

(٢) الجُنينة: تصغير جنة وهي الحديقة والبستان. وهي علم على عدد من المواضع منها مكان قرب وادي القرى. ذكر ياقوت أن أبا عبيدة سار من المدينة حتى أتى وادي القرى ثم أخذ عليهم الأقرع والجُنينة وتبوك. والجُنينة: من منازل عقيق المدينة.

(٣) أوان: ويقال له: ذو أوان. قال ابن إسحق في غزوة تبوك: ثم أقبل رسول الله حتى نزل بذي أوان. قال ياقوت: وكان بلداً بينه وبين المدينة ساعة من نهار.

(٤) بُوَاط: هما بواطان، تثنية بُواط. وهما جبلان مفترقا الرأسين وأصلهما واحد، وبينهما ثنية تسلكها المحامل. سلكها النبي في غزوة ذي العُشيرة. وبواط اسم وادٍ، من مجتمع أودية المدينة ومغايضها، وبه «غزوة بُواط»، خرج النبي في السنة الثانية يريد تجارة قريش، حتى بلغ بواطاً.
قال الجاسر: ولا زال معروفاً وسكانه جهينة.

(٥) خرّار: الخرير: صوت الماء. والماء خرار بفتح أوله وتشديد ثانيه، قيل: من أودية المدينة وموضع بخيبر.

(٦) الأتمة: المعروف أن «الأتمة» من الدوافع على حضير عند النقيع.

(٧) و برمة: بكسر الباء الموحدة في أوله: عرض من أعراض المدينة بها عيون ونخل بين خيبر ووادي القرى.

(٨) العيص: منبت خيار الشجر من السدر والعوسج وما أشبهه إذا تدانى والتف، وهو في بلاد جهينة. وهناك قرية تسمى «العيص» في منطقة المدينة لا زالت موجودة. وهو بقرب طريق القوافل التي كانت تذهب إلى الشام، وإليه كانت «سرية العيص» بقيادة زيد بن حارثة سنة ست، لاعتراض عير قريش.

يقال له: **حِجر**[١]: ووادي **الجَزْل**[٢] الذي به **السقيا**[٣]، **والرحبة**[٤] في نخيل ذي **المروة**[٥] مغرباً ثم يلقاه وادي «**عمودان**»[٦] في أسفل ذي المروة، ثم يلقاه واد يقال له سفيان[٧] حتى يفضي إلى البحر عند جبل يقال له «**أراك**»[٨].

---

(١) الحِجر: بكسر الحاء المهملة، وسكون الجيم: قرية من وادي القرى على يوم وليلة، كانت بها منازل ثمود، وهناك بئر ثمود، التي قال الله فيها وفي الناقة ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾.
وقد مرّ المسلمون بديار ثمود في طريقهم إلى تبوك سنة تسع فاستقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله: لا تشربوا من بئرها ولا تتوضؤوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فأعلفوه الإبل، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها ناقة صالح عليه السلام. (الرحيق المختوم) وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: «لما مرَّ رسول الله بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أنْ يصيبكم ما أصابهم إلا أنْ تكونوا باكين».

(٢) الجزل: بالفتح وسكون الزاي: لغة (الحطب اليابس)، يضاف إليه واد يلقى إضم بـذي المروة، ويضاف إليه «سقيا الجزل» وبه قبر طويس المغني. ووادي الجزل يقع بقرب بلدة العلا، وسيله يجتمع مع سيل وادي العلا.

(٣) السقيا هنا: نقل ياقوت أنها من أسافل أودية تهامة. وأن تبّعاً لما رجع من قتال أهل المدينة يريد مكة، نزل السقيا، وقد عطش، فأصابه مطر، فسماها: السقيا. قال الخوارزمي: وهي قرية من البحر على مسيرة يوم وليلة.

(٤) الرحبة: ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى، في بلاد عذرة.

(٥) ذو المروة: بلفظ المروة أخت الصفا. قرية بوادي القرى. وروى الزبير: أن الرسول ﷺ نزلها ونزل عليه فيها ﴿لإيلاف قريش﴾ (معالم طابة ص ٣٧٩).

(٦) عمودان، تثنية عمود.. هضبة مستطيلة عندها ماء.

(٧) سفيان: بالياء، كذا في الأصل. والذي في هذه المنطقة: وادي: سفان، وهو ناحية بوادي القرى. أما سفيان فهو بعيد.

(٨) جبل تفضي عنده سيول إضم إلى البحر.

# فضل وادي العقيق وعرصته[1]

في الصحيح عن عمر[2] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق[3] يقول: «أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرةٌ في حجةٍ»[4].

وتقدم في مسجد «المعرس» في رواية عن ابن عمر[5] «أنه ﷺ أُري وهو معرّس بذي الحليفة، ببطن الوادي، قيل له: إنك ببطحاء مباركة»[6].

وروى ابن شبة عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً «العقيق واد مبارك»[7] وعن هشام ابن عروة (بن الزبير) قال: اضطجع النبي ﷺ

---

(١) من كتاب «وفاء الوفا» للسمهودي.

(٢) في الأصل عن ابن عمر: وفي البخاري: «باب قول النبي ﷺ العقيق واد مبارك» حدثنا الحميدي.. حدثنا (السند) عن عكرمة عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله بوادي العقيق.

(٣) قال القسطلاني: «بوادي العقيق» أي: فيه.

(٤) قوله: عمرة في حجة: قال القسطلاني: هي أمر من الله تعالى بأن يقول ذلك لأصحابه، ليعلمهم مشروعية القِران. وعمرة: يجوز فيها النصب على تقدير: فعل محذوف «جعلتها» ويجوز الرفع على تقدير: «قل هذه عمرة».

(٥) في الأصل: وله يريد «ابن عمر» لأن الحديث الأول مروي عن ابن عمر.

(٦) هذه رواية البخاري، وفي الأصل: اختلاف يسير في الألفاظ، انظر البخاري (١٥٣٥).

(٧) تاريخ المدينة لابن شبة جـ ١/ ١٤٨، طبعة السيد حبيب.

بالعقيق، فقيل له: إنك في وادٍ مبارك[١].

وروى ابن زَبالة[٢]، عن عامر[٣] بن سعد بن أبي وقاص، أن رسول الله ﷺ، نام بالعقيق، فقام رجل من أصحابه يوقظه، فحال بينه وبينه رجل من أصحابه آخر وقال: لا توقظه فإن الصلاة لم تفته، فتدارآ، حتى أصاب بعض أحدهما رسول الله، فأيقظه فقال: مالكما؟ فأخبراه، فقال: «لقد أيقظتماني، وإني لأراني بالوادي المبارك».

وعن زكريا بن[٤] إبراهيم بن مطيع قال: بات رجلان بالعقيق، ثم أتيا رسول الله، فقال: أين بتما، فقالا: بالعقيق، فقال: لقد بتما بواد مبارك».

وتقدم أن عمر رضي الله عنه قال: «احصبوا هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - من هذا الوادي المبارك»[٥].

ورواه صاحب الفردوس مرفوعاً[٦].

---

(١) رواه ابن شبة جـ ١/ ١٤٨. وفي منتخب كنز العمال جـ ٥/ ٣٦١ عن سعد... نحوه.

(٢) إسناده ضعيف لانقطاعه أولاً لأن عامر بن سعد لم يدرك النبي ومحمد بن الحسن بن زبالة المخزومي المدني، من أوائل من ألف كتاباً في تاريخ المدينـة ألفه سنة ١٩٩ هـ، وقد نقل عنه السمهودي، وقد فقد الكتاب بعد عصر السمهودي، وهو متروك الحديث، حيث اتفق العلماء على أنه يضع الحديث، وأنه ليس بثقة «تهذيب التهذيب» جـ ٩/ ١١٦.

(٣) عامر بن سعد: تابعي ثقة، توفي سنة ١٠٤ هـ وكان ابن زبالة يروي عن الثقات ما لم يسمع منهم.

(٤) زكريا بن إبراهيم، بن عبدالله بن مطيع. قال في «تهذيب التهذيب» ليس بالمشهور.. والمعنى الذي يدل عليه الحديثان، مؤيد بالأحاديث الصحيحة السابقة.

(٥) وروى ابن النجار في أخبار مدينة الرسول عن محمد بن سعد نحو هذا، وفي تحقيق النصرة عن ابن زبالة.. قال عمر.. نحوه. ص ١٨٥.

(٦) قوله: صاحب الفردوس: لعله «محمد بن أحمد بن أمين الآقشهري: المتوفى سنة ٧٣١ هـ وله كتاب «الروضة الفردوسية» في أسماء من دفن في البقيع وكتاب «منسك

وروى ابـن شبة قـال:

وقال أبو غسان: أخبرني غير واحد من ثقات أهل المدينة أن عمر رضي الله عنه، كان إذا انتهى إليه أن وادي العقيق قد سال، قال: اذهبوا بنا إلى هذا الوادي المبارك، وإلى الماء الذي لو جاءنا جاءٍ من حيث جاء، لتمسحنا به «تاريخ المدينة جـ ١/ ١٦٧».

وروى ابن زَبَالة عن عامر بن سعد أن رسول الله ﷺ «ركب إلى العقيق ثم رجع، فقال: يا عائشة، جئنا من هذا العقيق، فما ألين موطئه وأعذب ماءه، قالت: فقلت: يا رسول الله، أفلا ننتقل إليه؟ قال: وكيف وقد ابتنى الناس؟»[١].

وعن خالد العدواني[٢]، أن النبي ﷺ قال في عرصة العقيق «نعم المنزل العرصة لولا كثرة الهوام»[٣].

وعن محمد بن إبراهيم التيمي[٤]، أن رسول الله ﷺ خرج في بعض مغازيه، فأخذ على الشارعة، حتى إذا كان بالعرصة قال: هي المنزل لولا كثرة الهوام».

وروى السيد أبو العباس العراقي في ذيله على ابن النجار عن أنس

---

= القاصد الزائر» نقل عنهما السمهودي. وجاور بالمدينة وتوفي بها «الدرر الكامنة لابن حجر».

(١) إسناده ضعيف لانقطاعه، ومحمد بن زَبالة كذبوه.

(٢) خالد العدواني.. كذا بالأصل.. لعله: خالد العدوي.. وفي تهذيب التهذيب خالد بن أسلم العدوي، أخو زيد بن أسلم مولى عمر، روى عن ابن عمر.. وخالد بن أبي بكر بن عبيد الله العدوي، وهو من سلالة عمر بن الخطاب، متوفى سنة ١٦٢ هـ وهما ثقة في رواية الحديث.. وفي المغانم: روى الحسن بن خالد العدواني «ولم أجده في التراجم».

(٣) رواه الفخر المراغي في «تحقيق النصرة» عن ابن زبالة.

(٤) محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، توفي سنة ١٢٠ هـ وكان ثقة كثير الحديث. «تهذيب التهذيب» جـ ٩/ ٦، والحديث إسناده معضل.

رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله إلى وادي العقيق فقال: يا أنس خذ هذه المطهرة املأها من هذا الوادي، فإنه يحبنا ونحبه، فأخذتها فملأتها. . الحديث.

وروى ابن شبة عن سَلَمة بن الأكوع قال: كنت أصيد الوحش وأُهدي لحومها إلى رسول الله، ففقدني، فقال: يا سَلَمةُ، أين كنت تصيد الوحش؟، فقلت: يا رسول الله، تباعد الصيد، فأنا أصيد بصدور قناة نحو ثَيْب، فقال: لو كنت تصيد بالعقيق، لشيعتك إذا خرجت وتلقيتك إذا جئت، إني أحب العقيق. رواه الطبراني بنحوه، قال: الهيتمي: وإسناده حسن[١].

وروى ابن زَبَالة عن جابر، قال: كان سلمة يصيد الظباء، فيهدي لحومها لرسول الله، جفيفاً وطرياً، فافتقده رسول الله، فقال: يا سلمة، مالك لا تأتي بما كنت تأتي به، فقال: تباعد علينا الصيد، فإنما نصيد بثَيْب[٢] وصدور قناة فقال: أما أنك لو كنت تصيد بالعقيق، لشيعتك إذا ذهبت، وتلقيتك إذا جئت، فإني أحب العقيق.

قلت: ومَحْمله، إن صح[٣]، على ما قبل تحريم[٤] المدينة، أو

---

(١) ورواه ابن شبة في باب «ما جاء في العقيق» جـ/ ١/ ١٤٧ بإسنادين الأول عن الحكم بن موسى عن الوليد بن مسلم عن شيخ من أهل المدينة (مجهول). والثاني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن. والأول ضعيف لانقطاعه وجهالة شيخ الوليد بن مسلم. والثاني ضعيف لأن أبا سلمة لم يرو عن سلمة بن الأكوع. والحديث في «منتخب كنز العمال» عن أبي نعيم جـ/ ٥/ ٣٦١.

(٢) ثَيْب بفتح الثاء المثلثة وفي رواية «تيب» بالتاء الفوقية المثناة وعند ياقوت تيت بتائين: وهو جبل شرقي المدينة. وعند المطري وابن النجار «تيم». وفي شرقي المدينة جبل يعرف اليوم بهذا الاسم. وورد اسم ثيب في غزوة السويق حيث نزل أبو سفيان إلى هذا الجبل. ثم هربوا وطرحوا السويق تخففاً سنة اثنتين.

(٣) قوله: إن صح «الكلام للسمهودي». ولا يصح سند الحديث لأن راويه ابن زبالة وهو متروك الحديث.

(٤) كان تحريم المدينة بعد رجوع النبي ﷺ من خيبر سنة سبع. (فتح الباري) باب حرم المدينة جـ/ ٤/ ٨١.

أن المراد من الصيد بالعقيق، طرفه الخارج عن الحرم، جمعاً بين الأدلة.

## «حد العقيق»

نقل ابن زبالة، والزبير بن بكار، عن هشام بن عروة، أنه كان يقول: العقيق ما بين قصر المراجل، فهلم صُعداً إلى النقيع، وما أسفل من ذلك أي من قصر المراجل فمن زغابة.

وعن المنذر بن عبدالله الحزامي[1] أنه سمع من أهل العلم، أن الجرف ما بين محجة الشام[2]، إلى القصاصين، أي: أصحاب القَصّة[3]، وأن وظيف الحمار ما بين سقاية سليمان[4] إلى الزغابة، وأن العرصة ما بين محجة يين - بيائين - إلى محجة الشام.

وأن العقيق من محجة يين[5] فاذهب به صعداً إلى النقيع. قلت:

(١) في الأصل «الحمراني» وهو خطأ، لأنه قرشي من بني حزام وهو مدني يروي عنه ابن زبالة. توفي سنة ١٨١ هـ. دعاه المهدي لتولي قضاء المدينة فاستعفى.

(٢) محجة الشام: المحجة لغة الطريق. والمقصود هنا الطريق الذي كان يسلكه الحاج الشامي، وهو يأتي من وادي مخيض ثم ينيخ الركب الشامي في آخر منطقة الجرف.

(٣) ذكر المراغي في «تحقيق النصرة» أن عثمان بن عفان أمر بالقَصّة فأتي بها من بطن نخل، وذلك عندما وسع المسجد. وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز.
وهذا المكان يبعد عن المدينة خمسة وأربعين ميلاً وقيل: هي الحناكية الآن، وهناك مكان يسمى «ذو القصة» قيل: بينه وبين المدينة خمسة أميال وقيل أربعة وعشرون. في طريق العراق من المدينة، سمي بذلك لقصة في أرضه، قال البكري: على بريد من المدينة. وقد لا تصلح تلك الأماكن لتحديد الجرف. وقد يكون هناك مكان أقرب إلى المدينة كانوا يصنعون فيه القصة - الجص - فدعي بالقصاصين.

(٤) سقاية سليمان: تقع على طريق من خرج من المدينة إلى الشام ويعسكر فيها الخارج من المدينة إلى الشام وكان قد أمر بإنشائها سليمان بن عبد الملك.
ووظيف الحمار: بالظاء المعجمة، والمثناة تحت، والفاء: مستدق الذراع والساق من الحمار ونحوه: وهو من العقيق، ما بين سقاية سليمان بن عبد الملك إلى الغابة. وله ذكر في قصة ماعز.

(٥) يين: بيائين، ونون: قال المجد: وليس في كلامهم ما فاؤه وعينه ياء غيره: وهي من =

محجة «يين» تيامن آخر الجرف، أي طريقها، وأظنها طريق درب الفُقْرة[1]، ومن سلكها مغرباً كانت الجماوات عن يساره.

قال: وحدثني آخرون أن العقيق من العرصة أبداً إلى النقيع.

قال الزبير: ولم أزل أسمع أهل العلم والسُنن يقولون: إن العقيق الكبير مما يلي الحَرة، ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل.

ومما يلي الجَمّاء، ما بين قصور عبد العزيز بن عبدالله العثماني[2] إلى قصر المراجل، ثم اذهب بالعقيق صعداً إلى منتهى النقيع، ويقولون لما أسفل من المراجل إلى منتهى العرصة «العقيق الصغير» فأعلى أودية العقيق، النقيع.

وقالت الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية تبكي أخاها صخر بن عمرو، وقد مات بالنقيع من جراحه فدفن فيه على رأس «برام».

هريقي من دموعك أو أفيقي | وصبراً إن أطقت ولن تُطيقي[3]
وقولي إن خير بني سُلَيم | وغيرهم ببطحاء العقيق

---

= أعراض المدينة على بريد من المدينة. ولم يتفقوا على تحديده. وأقرب الأقوال ما ذكرته لأنهم ذكروا بأنها كانت منازل أسلم من خزاعة. ورُوي أن أهبان بن أوس الأسلمي الخزاعي كان يسكن يين فبينما هو يرعى بحرة الوبرة عدا الذئب على غنمه فصاح عليه فأقعى على ذنبه فقال: من لها يوم تشغل عنها»؟ وهذا يقتضي أن يين قريبة من المدينة. (المسند جـ ٥/ ٨٩).

(١) الفقرة: بضم وسكون: وجمعها فُقُر: وهي الآبار المترابطة التي ينفذ بعضها إلى بعض.

(٢) هو عبد العزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان قتل يوم قديد سنة ١٢٩ هـ وكان على الجيش الذي أرسله أمير المدينة لقتال الخوارج في زمان مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين. قال المصعب: وكان عبد العزيز سيداً شريفاً له مروءة وقدر. انظر «نسب قريش» للزبيري ص/ ٥٢٠ وتاريخ الطبري سنة ١٢٩ هـ.

(٣) الديوان ـ ص/ ١٠٨/ ط. دار الأندلس.

وروى «بنقعاء العقيق».

ونقل أبو علي الهَجَري، أن النقيع، يبتدىء أوله من «برام» والعقيق يبتدىء أوله من «حضير» إلى آخر منتهاه من العقيق الصغير، ثم يصب في «زغابة».

ونقل أيضاً أن حضيراً آخر النقيع، وأول العقيق. وآخر العقيق زغابة قال: وزغابة مجتمع السيول غربي قبر حمزة رضي الله عنه، وهو أعلى وادي «إضم».

قلت: فهي منتهى العقيق والعرصة، ومبتدؤه حَضير: وهي مزارع معروفة بقرب النقيع على أزيد من يوم عن المدينة.

وقال عياض: النقيع: صدر العقيق. والعقيق: وادٍ عليه أموال أهل المدينة. قيل على ميلين منها، وقيل: على ثلاثة وقيل: ستة أو سبعة. وهما عقيقان. أدناهما: عقيق المدينة وهو أصغر وأكبر. فالأصغر فيه بئر رومة، والأكبر فيه بئر عروة.

والعقيق الآخر: على مقربة منه، وهو من بلاد مزينة، وهو الذي أقطعه النبي ﷺ بلال بن الحارث، وأقطعه عمر الناس. فعلى هذا تحمل المسافات لا على الخلاف(١).

والعقيق الذي جاء فيه «إنك بواد مبارك» هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة، وهو الأقرب منهما - أي من العقيقين - المنقسم أحدهما إلى الكبير والصغير، فلا ينافي كون ما يلي الحرة من العقيق أقرب.

---

(١) قوله: فعلى هذا تحمل المسافات، لا على الخلاف: يريد أنهم لا يختلفون في أن العقيق بدايته من النقيع، وأن النقيع صدر العقيق، والمسافات التي يذكرونها لبعد العقيق عن المدينة، يقصد بها عقيق معين من الأعقة التي قُسّم الوادي إليها، فمن قصد الأصغر حدد مسافة الميلين ومن قصد الأكبر، حدد مسافة ثلاثة أميال.. وهلم جراً، انظر التفسير في الصفحة التالية.

على أنه سيأتي، ما يقتضي أن النبي ﷺ، أقطع بلال بن الحارث كل العقيق، بعيده وقريبه، وأن الذي أقطعه عمر الناس هو الأدنى من المدينة، وهو المنقسم إلى كبير وصغير.

وكلام الزبير وغيره صريح في ذلك.

والصواب: أن مهبط الثنية المعروفة «بالمدرج» أول شاطىء وادي العقيق، على ميلين من المدينة أيام عمارتها. كما اقتضاه اختباري لمسافة ما بين المسجد النبوي ومسجد ذي الحليفة، وبه صرح الأسدي[1] من المتقدمين، فقال: إن العقيق على ميلين من المدينة. الميل الأول: خلف أبيات المدينة، والثاني حين ينحدر من العقبة في آخره، يعني المدرج.

وكأن من عبّر بالثلاثة، اعتبر المسافة من المسجد النبوي، إلى أول بطن الوادي، بعد القصر المعروف ـ بحصن أبي هشام ـ ومن عبّر بالستة، اعتبرها إلى طرفه الأبعد، وهو الذي به ذو الحليفة، فأدخل بطن الوادي في المسافة، أو هو مفرع على القول: بأن الميل: ألفا ذراع. والراجح الموافق لاختبارنا أنه ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع[2].

وقال المطري: وادي العقيق أصل مسيله من النقيع، قبلي المدينة

---

(١) محمد بن أحمد الأسدي: من أهل القرن الثالث الهجري قال الشيخ حمد الجاسر: إن السمهودي ينقل من كتاب «المناسك» الذي نشره الجاسر، وهو لإبراهيم بن إسحق الحربي البغدادي المتوفى سنة ٢٨٥هـ. قال: ويظهر أن السمهودي اطلع على نسخة من هذا الكتاب، من رواتها هذا الذي دعاه الأسدي.

(٢) الميل: مسافة من الأرض ليس لها حدٌّ معلوم. وقيل: قدر منتهى مد البصر. والميل: منار يبنى للمسافر في أنشاز الأرض. وكل ثلاثة أميال تساوي فرسخاً.
والفرسخ حوالي (٨ كم) وعلى هذا يكون الميل (٢٦٦٦ متر) والذراع يساوي حوالي (٧٠ سم) فيكون الميل (٣٨٠٨ ذراع) وهو قريب مما قال السمهودي.
ومن المقاييس القديمة (البريد) وهو يساوي (٢٨ كم) تقريباً.

الشريفة على طريق المشيان[1]، وبينه وبين قُباء، يوم ونصف. ويصل إلى بئر عليّ العليا المعروفة بالخليقة - بالقاف والخاء المعجمة - ثم يأتي على غربي جبل عَيْر، ويصل إلى بئر علي بذي الحُلَيفة المَحْرم. ثم يأتي مشرقاً إلى قرب الحَرّة التي يطلع منها إلى المدينـة، ثم يعرج يساراً. ومن بئر المحرم يسمى العقيق، فينتهي إلى غربي بئر رومة. انتهى.

وقوله: ومن بئر المحرم يسمى العقيق: أي: في زمنه، كزماننا، هو العقيق الأدنى في كلام عياض.

وقال عقب قوله: والعقيق الذي جاء فيه «إنك بواد مبارك» هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة، وهو الأقرب منهما ما لفظه: وهو الذي جاء فيه، أنه مهلّ أهل العراق من ذات عرق[2]، وهو خطأ.

قال الزبير: سألت سليمان بن عياش السعدي[3]: لم سمي العقيق عقيقاً؟ قال: لأن سيَله عقّ في الحرة. وكان سليمان من أفقه من رأيت في كلام العرب.

وقوله: عقّ: أي: شق، وقطع في الحرة.

ولما شخص تبّع عن منزله بقناة، ومرّ بالعرصة، وكانت تسمى

---

(١) المشيان: هكذا في كتاب «التعريف» وفي «وفـاء» المشبان، بالباء قلت: ولا يوجد في معاجم الأمكنة هذا الرسم من الأسماء، ولعله أراد: جمع «الماشي» وليس في المعاجم هذا الجمع.

(٢) لم أجد هذا القول في المطبوع من كتاب «التعريف». وفي الحديث أن رسول الله وقت لأهل العراق بطن العقيق أراد العقيق الذي بالقرب من ذات عرق وليس عقيق المدينة (التعريف للمطري ص/ ٦٣).

(٣) سليمان بن عياش: وجدت له روايات في كتاب الأغاني والعقد الفريد ولم أجد له ترجمة ولم أجد من نقل عنه من أهل اللغة. ومن العجيب أن يكون أفقه أهل القرن الثالث في اللغة ولا ينقل عنه علماء عصره.

«السليل» قال: هذه عرصة الأرض، فسميت العرصة، ومر بالعقيق فقال: هذا عقيق الأرض، فسمي: العقيق.

وقيل: سمي بذلك لحمرة موضعه.

... انتهى كلام السمهودي.

# العقيق الأدنى في حرم المدينة

الأحاديث النبوية التي حددتْ حَرَم المدينة كثيرةٌ تختلف في ألفاظها ولكنها تتّحد في مضمونها. فقد جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ «إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حَرّم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها». وقال ﷺ: «حُرِّم ما بين لابتي المدينة على لساني»[1]. وفي مسند أبي يعلى عن علي بن أبي طالب: «المدينة حرامٌ ما بين عَيْر إلى ثور».

وبناء على ما حددتْ هذه الأحاديث فإن وادي العقيق الأدنى من المدينة يدخل في حرم المدينة. فقد أسند ابن النجار إلى كعب بن مالك قال[2]: حَرّم رسول الله ﷺ الشجر بالمدينة بريداً في بريد، وأرسلني فأعلمت على الحرم على شرف **ذات الجيش** وعلى **مُشيرب** وعلى أشراف **المجتهر** وعلى تَيم.

وفي رواية أخرى على شرف ذات الجيش ومشيرب وعلى أشراف **مخيض** وعلى **الحفياء** وعلى **ذي العشيرة** وعلى تيم.

فأما **ذات الجيش**[3] فهي على ستة أميال من ذي الحُليفة في طريق

---

(١) البخاري باب «حرم المدينة».

(٢) أخبار مدينة الرسول. ص ٣٧.

(٣) ذكر البكري عدداً من الروايات في المسافة بين ذات الجيش والعقيق، فمن قائل إنها =

مكة. وأما **مُشيرب** فهو اسم موضع فيما بين جبال في شاميّ ذات الجيش. وأما **مخيض** فهو الجبل الذي على يمين القادم من طريق الشام حيث يفضي من الجبال إلى البركة. وهو أيضاً اسم وادٍ يصب في إضم. وأما **الحفياء** فهي في الغابة شامي المدينة وبينها وبين الثنية ستة أميال. وأما **ذو العشيرة** فهو نقب في الحفياء. وأما **تَيْم** فهو جبل شرقي المدينة وهو أبعد جهات الحرم وقيل هو تحريف «تيب»[1].

وبناء على ما تقدم من تعريف الأماكن نقول: إن العقيق الملاصق للمدينة يعتبر من حرم المدينة لأنه يدخل ضمن الحدود التي ذُكرت في حديث كعب رضي الله عنه. ويترتب على كون العقيق من الحرم أنه يحرم قطع شجره وصيد طيره ووحشه.

ولذلك قال أبو هريرة: لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها.

ونقل ابن حجر[2] في «الفتح» أن قطع الشجر المنهي عنه مقصور على القطع الذي يحصل به الإفساد فأما مَنْ يقصد الإصلاح كمن يغرس بستاناً فلا يمتنع عليه قطع ما كان بتلك الأرض من شجر يضر بقاؤه. وقيل: إن النهي يتوجه إلى ما أنبته الله مما لا صنع لآدمي فيه. وعلى هذا يحمل قطعه ﷺ النخل وجعله قبلة المسجد. ونُقل عن الإمام مالك أنَّ الحرم حرمان حرم للطير والوحش من حرة واقم إلى حرة العقيق وحرم للشجر بريد في بريد. وقد اتفق الشافعي وأحمد ومالك على تحريم صيد المدينة وقطع شجرها.

---

= بريد وقيل: ميلان، وقيل: خمسة، وقيل عشرة. وقيل لسالم بن عبد الله: ما أشد ما رأيت ابن عمر أخّر المغرب في السفر؟ قال: غربت له الشمس بذات الجيش فصلاها بالعقيق.

(١) تحقيق النصرة/ ١٩٨.

(٢) جـ ٤/ ٨١. تحقيق فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز.

# الفَصل الرَّابع

## «تاريخ وادي العقيق»

تمهيد: المدينة في العصر الجاهلي.

١ ـ العقيق في الجاهلية.

٢ ـ العقيق في صدر الإسلام.

٣ ـ العقيق في العصر الأموي.

٤ ـ العقيق في العصر العباسي.

## تمهيد:

# المدينة في العصر الجاهلي

موقع المدينة معروف من زمن موغل في الجاهلية حيث ورد اسم المدينة في الكتابات المعينية (٩٠٠ - ٤٠٠ ق.م) فقد كان أهل مملكة مَعين يسيطرون على معظم طريق التجارة القديم بين الشام واليمن وكانت لهم مستعمراتهم ومحطاتهم على طوله[١]. وقد برزت أهمية موقع المدينة لعدة عوامل: الأول: يتصل بموقعها الكافي لمن سكنها، لأنها واحة مخصبة متميزة. والعامل الثاني: لأنها محطة وسوق على طريق التجارة القديم بين الشام واليمن. والثالث: يرتبط بتحركات سكان شبه الجزيرة القدماء حيث اتجهت بعض الهجرات إليها.

ولكنه ليس هناك تاريخ محدد لظهور المدينة ولا نعرف يقيناً مَنْ أول مَنْ سكنها وأي المناطق كانت مسكونة. والذي عندنا من المعلومات مأخوذ من روايات لا يمكن الاعتماد عليها. وتقول الروايات: إن العماليق هم أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخيل وعمروا بها الدور والآطام. وحددوا مكان سكناهم (فيما بين مخيض إلى غراب الضائلة إلى القصاصين إلى طرف أحد) وهذه الحدود الأربعة تنطبق على المنطقة المعروفة اليوم (بالعيون) وهذا معناه أن العمالقة كانوا يسكنون في شمال وادي قناة. وامتدت منازلهم إلى (الجرف). وتقول روايات: إن بني

---

(١) انظر خارطة طريق القوافل ص/ ٢٥٣.

قينقاع نزلوا في المدينة في زمن موسى عليه السلام. وكان نزولهم على العمالقة العرب عند منتهى جسر بُطْحان مما يلي العالية. وجاءت هجرة يهودية من بلاد الشام وسكنت في عوالي المدينة على جوانب أوديتها (مذينيب ومهزور) وهم بنو قريظة وبنو النضير. ثم جاءت هجرة الأوس والخزرج بعد سيل العرم وخراب سد مأرب وانتشر الأوس في قباء وقربان والحرة الشرقية. وقد نزل رسول الله فيهم عندما وصل إلى قباء في أول الهجرة. وأما الخزرج فشغلت مساكنهم باطن المدينة ومنهم بنو سلمة الذين كانوا يسكنون في منطقة مسجد القبلتين. ونستطيع أن نقول: إن اليهود كانوا يسكنون أوسع منطقة من عالية المدينة، وأن العرب كانوا يسكنون جزءاً من العالية وينتشر أكثرهم في سافلة المدينة. ويتبين أن كثيراً من ضفاف العقيق وعرصاته لم تكن عامرةً أو مسكونة في الجاهلية وقد تكون من المناطق التي يقصدونها لرعي أنعامهم. ولذلك فقد أقطعها الرسول ﷺ للمهاجرين، حيث روي (ما كان من أرض عفاء ـ خالية ـ أقطعهم إياه وما كان من المسكونة العامرة فإن الأنصار وهبوه له)[1].

(١) عمدة الأخبار ص/ ٥٤. و(المدينة بين الماضي والحاضر ص/ ٤٠٦).

# وادي العقيق في الجاهلية

من أقدم ما وصلنا من تاريخ عقيق المدينة، ما رواه مؤرخو المدينة في قصة مجيء «تبع» إلى المدينة، قبل الإسلام. وينسبون إليه، أنه وضع أسماءً لبعض معالم العقيق، فيقولون أنه مرّ بالعقيق، فقال: هذا عقيق الأرض. ومرَّ بالعرصة، فقال: هذه عَرْصة الأرض، وكانت تُسمى «السَّليل» ومرّ بالجرف، فقال هذا جرف الأرض، وكان يسمى «العِرْض» (بكسر العين).

ونفهم من الرواية، أن وادي العقيق لم يكن له اسم، قبل أن يأتي تبع، ولو كان له اسم، لقالوا: وكان يسمى بكذا، كما قالوا في بعض أجزاء العقيق، التي وضع لها تبع الاسم المناسب لما رآه من طبيعتها.

ورُوي أن «تبعاً» بعث رائداً ينظر إلى مزارع المدينة، فأتاه فقال: قد نظرت، فأما قناة، فحب ولا تبن، وأما الحرار، فلا حب ولا تبن، وأما الجرف، فالحب والتبن».

وعرفنا عند الحديث عن بئر رومة، أن البئر كانت موجودة في الجاهلية وأن تبعاً استحسن ماءها، وكان يستقي منها. وعندما جاء الإسلام كانت البئر موجودة يباع ماؤها على الناس.

ونستفيد من مجموع هذه الأخبار، أن عقيق المدينة الأدنى، كان معموراً في بعض أماكنه، ولكن المعمور منه قليل والمشاع منه كثير. ولو

كان العقيق مملوكاً لـلأنصار، لما أقطعه الرسول كما سيأتي بيانه[1]. فأهل المدينة قبل الإسلام كانوا قلة، ومرابع المدينة واسعة.

أما العقيق الآخر «الأقصى»[2] بعد ذي الحليفة، فقد رُوي أن جزءاً منه من بلاد مزينة، كما نقله معجم البلدان عن عياض، وأظن أن قولهم «من بلاد مزينة» ليس معناه أنهم يملكونه، أو يعمرونه، فقد يكون معناه أنه داخل في دائرة نفوذهم، يحمونه لا يجرؤ أحد على سكناه. إلا بإذن من القبيلة، كما أن للدول في العصر الحاضر مناطق سكنى، وأرضاً تحميها الدولة وإن لم تكن معمورة. وتكون غالباً في أطراف دولتها. . فالدول تحرص ألا تكون العواصم ومراكز السكن قريبة من حدود الدولة، حتى لا يباغتها أعداؤها. وكذلك كانت القبائل. .

وهذا أمر قبيلة مزينة، فقد روى المؤرخون أنها كانت تسكن بين المدينة ووادي القرى، وذكروا من ديارهم وقراهم: الروحاء[3]، والعَمْق[4]، والفُرع[5] ومن جبالهم: آرة[6] وميطان[7] وورقان[8]،

---

(١) انظر «الأحكام السلطانية» الباب السابع «في أحكام الإقطاع»، قال: «وإقطاع السلطان مختص بما جاز فيه تصرفه، ونفذت فيه أوامره، ولا يصح فيما تعين فيه مالكه، وتميز مستحقه». ويكون ذلك في الأرض الموات. وقد تكون معمورة وينزل المالك عن حقه للإمام. لما روى الشافعي «أن النبي لما قدم المدينة اقطع الدور» يعني أنزل المهاجرين في دور الأنصار برضاهم. انظر (فتح الباري) باب «القطائع» و «نيل الأوطار» للشوكاني جـ/ ٥/ ٣١١.

(٢) يرى القاضي عياض: أن بالمدينة عقيقين: عقيقاً أدنى، وهو أصغر، وفيه بئر رومة. وأكبر وفيه بئر عروة. وعقيق آخر أكبر من الأكبر. والأصغر، وهو من بلاد مزينة. والعقيق: الذي جاء فيه «إنك بواد مبارك» وهو الذي ببطن وادي ذي الحليفة، وهو الأقرب إلى الأعقة الثلاثة.

(٣) الروحاء: موضع من أعمال الفرع على نحو أربعين ميلاً من المدينة.

(٤) العمق: موضع بالقرب من الفرع من بلاد مزينة.

(٥) الفُرع: بضم الأول: قرية بينها وبين المدينة حوالي (٢٠٠) كيل على طريق مكة.

(٦) آرة: جبل قرب المدينة، تخر من جوانبه عيون على كل عين قرية، منها الفرع.

(٧) ميطان: وهو من جبال المدينة يقابل شوران، وهو لمزينة وسليم.

(٨) ورقان: جبل أسود يميل إلى الحمرة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة.

وقُدْس[١]، ونهبان[٢]، ومن أوديتهم: رئم، وساية[٣].

وهكذا نرى من هذا العرض، أن وادي العقيق لم يكن كله من ممتلكات مزينة، وإنما كانت مساكنها وأوديتها وجبالها، مما له اتصال بالعقيق. وقيل من بلاد مزينة لأن كثيراً من مساكنها وأوديتها وجبالها، مما له اتصال بالعقيق من النواحي الجغرافية.. قد يكون لمزينة اتصال جزئي بوادي العقيق، ولكن الصفة الغالبة عليه أنه كان مشاعاً، ولذلك نجد كثيراً من أهل المدينة من أبناء المهاجرين، يحيون مناطقه ويمتلكونها، مثل آل الزبير، وآل علي بن أبي طالب.

(١) قُدْس: بضم الأول وسكون الثاني: هما جبلان، وهما عند ورقان، والقدسان لمزينة.

(٢) نهبان: هما جبلان: نهب الأعلى ونهب الأسفل يقابلان القدسين.

(٣) ساية: واد من أعمال المدينة، كانت به أكثر من سبعين عيناً، وقال الجاسر: هو من أعراض مكة فهو إليها أقرب، حيث يبعد عن خليص بميلين بطريق المتجه إلى مكة (معالم طابة) ص ١٨ (حاشية ٤).

# وادي العقيق في صدر الإسلام

يبدأ التاريخُ المجيدُ لوادي العقيق عندما جاء الإسلام، وهاجر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة. ونقرأ في كتب الصحاح، وفي السيرة، مجموعة من الأحاديث والأخبار تدل على العناية التي أولاها الرسول لهذا الوادي. ونفهم من مجموعها التوجيهات النبوية إلى عمارة الأرض، واستنباط ما فيها من الخيرات. وأن الله عندما صرف الناس في الأرض، وزعهم على مقدار ما فيها من الأرزاق، ولكن الأرزاق تحتاج إلى استنباط وعمل. والله تعالى الذي أذن بالهجرة إلى المدينة، يعرف أن فيها من أسباب العيش، ما يكفي المهاجرين والأنصار. ولهذا كانت التوجيهات النبوية ـ بوحي من الله ـ إلى الناس بالإشارة إلى مواطن الخير في المدينة، ومنها وادي العقيق.

ومن أوائل الرعاية النبوية، أنه جعل من وادي العقيق محرماً للناس ومكاناً مباركاً. فقد روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر أن رسول الله أناخ بالبطحاء بذي الحليفة، فصلى بها، وكان عبدالله بن عمر يفعل ذلك».

وروي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة يصلي في مسجد الشجرة، وإذا رجع صلى بذي الحليفة ببطن الوادي، وبات حتى يصبح»[1].

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري «وقال في معنى قوله: بات حتى يصبح: «ثم =

وفي صحيح البخاري «باب قول النبي العقيق واد مبارك» عن عمر ابن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ - بوادي العقيق، يقول: أتاني الليلة آتٍ من ربي، فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرةً في حجة».

وروى البخاري: أيضاً عن سالم بن عبدالله عن أبيه، عن النبي ﷺ: أنه رؤي - وفي رواية أرِيَ - وهو معرِّس بذي الحليفة ببطن الوادي، قيل له: إنك ببطحاء مباركة» قال موسى بن عقبة: وقد أناخ بنا سالم يتوخى بالمناخ الذي كان عبدالله بن عمر ينيخ فيه، يتحرى معرَّس رسول الله ﷺ. وهو أسفل من المسجد الذي ببطن الوادي».

وروى ابن شبة في تاريخ المدينة عن عروة بن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ «العقيق واد مبارك».

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العقيق واد مبارك».

وفي بيان خصائص العقيق، رويت أحاديث كثيرة فيها حث على الاستفادة مما فيه من خصائص العيش.

وروى السمهودي عن ابن زبالة عن عامر بن سعد، أن رسول الله ﷺ «ركب إلى العقيق، ثم رجع، فقال: يا عائشة، جئنا من هذا العقيق فما ألين موطئه، وأعذب ماءه. قالت: فقلت: يا رسول الله، أفلا ننتقل إليه؟ قال: وكيف وقد ابتنى الناس».

وروى ابن شبة عن سلمة بن الأكوع، قال: قال لي رسول الله أين

---

= يتوجه إلى المدينة لئلا يفجأ الناسُ أهاليهم ليلاً».
وانظر الحديث في البخاري رقم (٤٨٤) باب المساجد التي على طريق المدينة. وفي صحيح مسلم، في الحج (١٢٥٧) باب التعريس بذي الحليفة.

كنت؟ قلت: في الصيد. قال: أين؟ فأخبرته بالناحية التي كنت فيها، فكأنه كره تلك الناحية وقال: «لو كنت تذهب إلى العقيق لشيعتك ذاهباً وتلقيتك راجعاً»[1].

وروى ابن زبالة عن جابر، قال: كان سلمة بن الأكوع الأسلمي[2] يصيد الظباء فيُهدي لحومها لرسول الله ﷺ، جفيفاً وطرياً، ففقده رسول الله، فقال: يا سلمة، مالك لا تأتيني بما كنت تأتي به، فقال: يا رسول الله تباعد الصيد، فإنما نصيد بثيب[3]، وصدور قناة، فقال رسول الله: أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق، لشيعتك إذا ذهبت، وتلقيتك إذا رجعت فإني أحب العقيق»[4].

ومن طريق أخرى روى ابن شبة بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن سلمة بن الأكوع قال: كنت أصيد الوحش وأهدي لحومها إلى رسول الله ﷺ، ففقدني، فقال: يا سلمة، أين كنت، فقلت: يا رسول الله تباعد الصيد، فأنا أصيد بصدور قناة نحو «ثيب» فقال: لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا خرجت وتلقيتك إذا رجعت، إني أحب العقيق».

وروى ابن شبة أن رسول الله ﷺ، أقطع بلال بن الحارث المزني العقيق، وكتب له فيه كتاباً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما

---

(١) روى السمهودي قريباً من لفظه عن ابن شبة، وقال: رواه الطبراني بنحوه، وقال الهيثمي إسناده حسن.

(٢) سلمة بن عمرو بن الأكوع. صحابي من الشجعان، يقال: كان يسبق الفرس عدواً على قدميه. توفي سنة ٧٤ هـ ترجم له ابن حجر في «الإصابة» وفي «تهذيب التهذيب»، ولم يذكر في ترجمته، ما ذكره الراوي في هذا الحديث.

(٣) ثيب: جبل شرقي المدينة. وصدور قناة: أي أعالي وادي قناة.

(٤) رواه السمهودي، وقال: «ومجمله إن صح، على ما قبل تحريم المدينة، أو أن المراد من الصيد بالعقيق، طرفه الخارج عن الحرم، جمعاً بين الأدلة.

أعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث، أعطاه من العقيق ما أصلح فيه مُعْتملاً[١]. (وكتب معاوية).

وقوله من العقيق: يعني أنه لم يقطعه العقيق كله. وقوله: ما أصلح.. يعني: الذي أصلحه وعمل فيه من الأرض، وما لم يصلحه ولم يعمل فيه، فليس له حق في ملكيته. والتبعيض الذي فهم من قوله: «من العقيق» ربما جعل بعض الرواة يقول: إن الرسول قد أقطع بلالاً العقيق الذي يعتبر من بلاد مزينة[٢]. ولكن السمهودي يرى أن الرسول إنما أقطع بلالاً العقيق كله، قريبه وبعيده واعتمد في هذا العموم على ما رواه الزبير بن بكار عن محمد بن سلمة المخزومي قال: «أقطع رسول الله ﷺ لبلال بن الحارث معادن القبلية والعقيق»[٣]. ولوادي العقيق ذكر في مغازي رسول الله، فقد روى ابن هشام في السيرة، أن الرسول عليه السلام سلك طريقه إلى بدر على «نقب بني دينار (نقب المدينة) ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة.

وروى ابن هشام في خبر غزوة بني المصطلق[٤] وزواج الرسول

---

(١) ابن شبة، في تاريخ المدينة جـ ١/ ١٥٠، وانظر «الإصابة» ترجمة بلال بن الحارث، توفي سنة ٦٠ هـ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٨ وقال: رواه الطبراني، وفيه ابن زبالة وهو متروك.

(٢) قال البكري: وإنما أقطع رسول الله بلالاً العقيق وهو من المدينة، وأهل المدينة أسلموا راغبين في الإسلام غير مكرهين، ومن أسلم على شيء فهو له، لأن أبا صالح روى عن ابن عباس أن رسول الله لما قدم المدينة جعلوا له كل أرض لا يبلغها الماء يصنع فيها ما شاء. وقال بعض أهل العلم: إنما أقطع رسول الله بلالاً العقيق لأنه من أرض مزينة «معجم ما استعجم» ص ٩٥٣.

(٣) القبلية: من نواحي الفرع بالمدينة. والحديث في سنن أبي داود بدون العقيق، وفي «معجم الطبراني الكبير» ذكر إقطاعه المعادن القبلية بدون ذكر العقيق، وانظر الموطأ «زكاة المعادن».

(٤): بنو المصطلق من خزاعة، وكانت الغزوة سنة ست في شهر شعبان، وتسمى أيضاً غزوة «المريسيع»، اسم ماء من ناحية قُديد إلى الساحل، فقد سار النبي إلى بني =

عليه الصلاة والسلام من جويرية بنت الحارث، فقال: لما انصرف رسول الله من غزوة بني المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث، قدم المدينة، فأقبل أبوها بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا، فقال الحارث: أشهد أن لا إلّه إلا الله، وأنك محمد رسول الله، فوالله ما اطَّلع على ذلك إلا الله، فأسلم الحارث[١].

وقد كانت الفترة النبوية في المدينة، شاغلة جميع المسلمين في الدعوة إلى الله وتخليص الجزيرة من أعداء الإسلام، إلى أن انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى، فلم يتفرغ الناس من المهاجرين للعمران، ولذلك لم نجد استغلالاً كاملاً لما في العقيق من الخيرات، ولا نعرف بالتأكيد إلا ما حماه الرسول من «النقيع» لاستغلاله مرعى، ولا نعلم بالتحديد متى بدأ الصحابة من المهاجرين يعملون في زراعة بعض الأراضي، فقد كان عبد الرحمن بن عوف يعتني بتثمير ماله من التجارة والزراعة، وعرفنا سابقاً أنه كان يزرع أرضاً بالجرف، ولكننا لا نعلم متى بدأ في إصلاح هذه الأرض. هل كان ذلك في عهد الرسول، أو كان في عهد الخلفاء.

أما خلافة أبي بكر، فكانت قصيرة، ومليئة بالحروب والفتوح، وكان أهل المدينة معبئين لهذا الأمر، فلم يكن هناك وقت للتفكير في العمران، وكانت مغانم الفتوح في بداياتها قليلة، فلم تحدث تأثيرها في

---

= المصطلق لما بلغه أن الحارث بن أبي ضرار قد جمع له جمعاً، فوجدهم على ماء يسمى «المريسيع» فقاتلهم وسباهم. ومن السبي «جويريـة» أم المؤمنين. وفي هذه الغزوة كان حديث الإفك.

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ٣/ ٣٠٨.

حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية.

وعندما تولى عمر بن الخطاب وطالت مدة ولايته، بدأت التغيرات الاجتماعية تظهر في زمانه، حيث انهالتْ أكداس من الغنائم على المسلمين، مما اضطره إلى تدوين الدواوين، وإنشاء بيت المال الذي يخزن فيه ما فاض عن عطاء المسلمين المقرر لهم في الديوان[1]. لينفقه في حاجة المسلمين، وتدبير شؤون الدولة.

وازدحمت المدينة بالمسلمين، وبدأ عمر يفكر فيما يصلح حالهم، والبحث عن أماكن جديدة للعمل والسكن حتى لا يزدحم الناس في المناطق القريبة من مسجد رسول الله ﷺ.

وكان عمر صاحب عقلية إدارية فذة، وصاحب رأي صائب فيما يراه لتنظيم أحوال المسلمين، وكان يجتهد فيقع اجتهاده في المكان المناسب للحال المناسبة، وكما كان يعس أحوال الرعية في المدينة بنفسه، كان أيضاً يتفقد أحوال الناس والأرض في أطراف المدينة.

ولذلك نجد لوادي العقيق ذكراً في سيرة عمر، وتنقل الأخبار عنايته بوادي العقيق. وعمر رضي الله عنه هو الذي روى الأحاديث الصحيحة عن منزلة العقيق في نفس رسول الله ﷺ، وكان ابنه عبدالله يتتبع المواقع التي نزلها رسول الله في العقيق...

ورأينا في سيرة عمر، تطبيقاً عملياً لما فهمه من أحاديث رسول الله في وادي العقيق.

فقد روى ابن شبة في تاريخ المدينة، أن عمر بن الخطاب كان إذا انتهى إليه أن وادي العقيق قد سال، قال: اذهبوا بنا إلى هذا الوادي

---

(١) انظر «الأوائل» لأبي هلال العسكري: «ونقل أن أول من اتخذ الديوان عمر بن الخطاب». وأن أول من اتخذ بيت مال عمر رضي عنه، قال: ولم يكن للنبي ﷺ، ولا لأبي بكر بيت مال، وأول من اتخذه عمر «ص ١٢٣».

المبارك، وإلى الماء الذي لو جاءنا جاءٍ من حيث جاء، لتمسحنا به[1].

وكان عمر رضي الله عنه يحب رؤية سيل العقيق، ويخرج إليه إذا سال واديه، فقد رُوي أنه لما كانت الرمادة[2] وانجلت، فسالت الأودية، وسال العقيق، أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقيل له: سال العقيق، فخرج على فرس عُرْي، فوقف على المسيل، ومعه ناس كثير[3].

وروى ابن النجار بسنده أن عمر بن الخطاب ألقى الحصباء في مسجد رسول الله وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم من التراب، فجيء بالحصباء من العقيق، من هذه العرصة، فبسط في المسجد[4].

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة جـ ١/ ١٦٧. وفي السنة الوقوف تحت أول مطر بعد الاستسقاء، والخروج إلى الوادي إذا سال. وانظر البخاري باب (من تمطر في المطرِ حتى يتحادر على لحيته)، وفي الباب عن أنس رضي الله عنه قال: أصابت الناسَ سنةٌ على عهد رسول الله ﷺ، فبينا رسول الله يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا أن يسقينا. قال: فرفع رسول الله يديه وما في السماء قزعة ـ القطعة من الغيم ـ قال: فثار سحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ.. الحديث»، قال ابن حجر: وكأن المصنف أراد أن يبين أن تحادر المطر على لحيته ﷺ لم يكن اتفاقاً، وإنما كان قصداً، لأنه لو لم يكن باختياره لنزل عن المنبر أول ما وكف السقف، ولكنه تمادى في خطبته حتى كثر نزوله بحيث تحادر على لحيته ﷺ»، ويؤيد هذا ما رواه مسلم وأحمد عن أنس قال: أصابنا ونحن مع رسول الله مطر، قال: فحسر ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا: لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه». قال النووي: معناه أن المطر رحمة، وهو قريب العهد بخلق الله فيتبرك به. وقال الشوكاني في (نيل الأوطار): وفي الحديث دليل على أنه يستحب عند أول مطر أن يكشف الإنسان بدنه لينا له المطر لذلك». (فتح الباري جـ / ٢/ ٥٢٠). و (نيل الأوطار/ جـ / ٤/ ١٢).

(٢) عام الرمادة: سنة شدة وقحط في زمن عمر بن الخطاب.

(٣) انظر (الإصابة) ترجمة حبيب بن عاصم المحاربي. وكان حبيب على الوادي من الشاطىء الآخر. ونادى عمر بن الخطاب (يابن حنتمة) وحنتمة أم عمر.

(٤) أخبار مدينة الرسول «لابن النجار». ص/ ٩٦. وتحقيق النصرة للمراغي ص/ ١٨٤.

وروى المجد في «معالم طابة» قول عمر بن الخطاب «احصبوا مسجد رسول الله من هذا الوادي المبارك». يعني العقيق.

ووجه عمر عنايته إلى أرض العقيق، لما يعرف من خصبها، وصلاحها لسكنى الناس، فوجد العقيق مملوكاً لبلال بن الحارث المزني، وقد أقطعه له رسول الله، ولم يستطع المزني إصلاحه والاستفادة منه. فدعا عمر بلالاً وقال له: قد علمت أن رسول الله لم يكن يمنع شيئاً سئله، وإنك استقطعت رسول الله أرضاً طويلة عريضة، فقطعها لك، وإنك لا تطيق ما في يديك، قال: أجل. قال عمر: فانظر ما قويت عليه فأمسكه، وما لم تطق فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين.. فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين(١).

وفي رواية: عندما أقطع رسول الله بلال بن الحارث العقيق، لم يعتمل بلال في العقيق شيئاً، فقال له عمر، في ولايته: إن قويت على ما أعطاك رسول الله من معتمل العقيق، فاعتمله، فما اعتملت فهو لك كما أعطاكه، فإن لم تعتمله قطعته بين الناس، ولم تحجره عليهم، فقال بلال: أتأخذ مني ما أعطاني رسول الله، فقال له عمر رضي الله عنه: إن رسول الله قد اشترط عليك شرطاً. فقطعه عمر بين الناس، لأن بلالاً لم يعمل فيه شيئاً، فلذلك أخذه عمر منه(٢).

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة جـ١/ ١٥١. وقال الماوردي في أحكام الإقطاع: «فإذا صار الموات إقطاعاً، فمن خصه الإمامُ به، وصار الإقطاع: أحق الناس به، لم يستقر ملكه عليه قبل الإحياء، فإن شرع في إحيائه صار بكمال الإحياء مالكاً له، وإن أمسك عن إحيائه كان أحق به يداً، وإن لم يصر ملكاً ثم روعي إمساكه عن إحيائه: فإن كان لعذر ظاهر لم يعترض عليه فيه وأقر في يده إلى زوال عذره، وإن كان غير معذور، قال أبو حنيفة لا يعارض فيه قبل مضي ثلاث سنين، وقال الشافعي إن تأجيله لا يلزم وإنما المعتبر فيه القدرة على إحيائه، فإذا مضى عليه زمان يقدر على إحيائه فيه، قيل له: إما أن تحييه فيقر في يدك، وإما أن ترفع يدك عنه ليعود إلى حاله قبل إقطاعه. وأما تأجيل عمر - ثلاث سنين - فهو قضية في عين يجوز أن يكون لسبب اقتضاه أو لاستحسان رآه ص ١٩١.

(٢) تاريخ المدينة جـ١/ ١٥٠.

وعن الحارث بن بلال بن الحارث عن أبيه: أن عمر رضي الله عنه، قال لبلال: إن النبي ﷺ، لم يعطك لتحجره على الناس، فأقطع عمر العقيق بيننا. وتؤيد هذه الرواية أن النبي لم يقطع لبلال العقيق كله. لأن هذه الرواية تقول: إن عمر أقطع ما أخذه من بلال، لأقارب بلال بن الحارث.

ويؤيد هذه الرواية، ما رواه ابن شبة من طريق أخرى، عن رجل من أهل المدينة: أن رسول الله أقطع بلالاً أرضاً، فلما كان عمر رضي الله عنه ترك في يده منها ما يعمره وأقطع بقيتها عتيره، والعتير: الأقرباء. وسيأتي أن عمر رضي الله عنه أقطع أناساً في العقيق، لم يكونوا من أقارب المزني.

فقد روى ابن شبة بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أقطع عمر رضي الله عنه العقيق حتى انتهى إلى أرض، فقال: ما أقطعت مثلها، فقال خوّات بن جبير[1] اقطعنيها، فأقطعها إياه[2].

وفي رواية السمهودي: «لما أقطع عمر العقيق، فدنا من موضع قصر عروة وقال: أين المستقطعون اليوم؟ فوالله ما مررت بقطيعة شبه هذه القطيعة، فسألها خوات، فأقطعها له، وكان يقال لموضعها: «خَيْف حرة الوبرة»..

فلما تولى عثمان رضي الله عنه، وقد كثرت الأموال، وحصل ما

---

(١) خوات بن جبير الأوسي الأنصاري. شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله. عاش حتى سنة ٤٠ هـ. ومات بالمدينة. وكان صاحب صوت حسن يحدو للركب في أسفارهم (انظر الإصابة وروى ابن حجر أنه صاحب ذات النحيين: والنحيان تثنية نحْي، وهو ظرف السمن، وذات النحيين: امرأة كان لخوّات معها قصة في الجاهلية. انظر الإصابة رقم ٢٢٩٨).

(٢) الخبر إسناده منقطع لأن عروة بن الزبير لم يدرك عمر بن الخطاب فقد ولد عروة سنة ثلاث وعشرين وقيل سنة تسع وعشرين وتوفي عمر سنة ٢٣ هـ.

يشبه الانقلاب الاقتصادي والاجتماعي في حياة الناس، حيث أغدقت الأموال على بعض الناس أكثر مما كان أيام عمر، وكثر الرقيق الذي يمكن استخدامه في العمل والعمران وإصلاح الأراضي، وظهرت آثار النعمة على الناس، وأرادوا أن يستثمروا أموالهم فيما يعود عليهم بالخير، وبذلك يبدأ عهد عمران العقيق الحقيقي ويبدأ الناس في البناء والسكنى.

قال المطري: وابتنى الناس بالعقيق من خلافة عثمان رضي الله عنه ونزلوه وحفروا به الآبار وغرسوا به النخل والأشجار من جميع نواحيه، على جنبتي وادي العقيق.

وقد رأينا عبد الرحمن بن عوف يترك ثروة زراعية وحيوانية كبيرة، وكان قد توفي في عهد عثمان، فقد يكون بدأ استثماره الزراعي قبل عهد عثمان، ولكن الذي لا شك فيه، أن عمله هذا قد نما كثيراً في عهد عثمان، ومنها مزارعه التي بالجرف من العقيق[1].

والزبير بن العوام استصلح أرضاً في الغابة بيعت في تركته عند موته في حدود سنة **٣٦** هـ بمئات الألوف.

ولا ندري إن كان عثمان قد أقطع أحداً بوادي العقيق[2]، أم بقيت

---

(١) انظر أخباره في (التحفة اللطيفة) للسخاوي. وكتاب (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) للزركشي.

(٢) قال أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل «أول من أقطع القطائع عثمان رضي الله عنه، ولم يقطع النبي ﷺ، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا علي». وذكر أمثلة من إقطاع عثمان بعض الناس في خارج المدينة، ولم يذكر أنه أقطع في العقيق. وكلام العسكري فيه نظر: فقد روى الماوردي في الأحكام السلطانية ص ١٩٠ «قد أقطع رسول الله الزبير بن العوام ركض فرسه من موات النقيع» وروى أن رسول الله قد أقطع بلال بن الحارث المعادن القَبْلية ـ من نواحي الفرع. (رواه الطبراني) ورأينا أن الرسول أقطع بلالاً العقيق. وأقطع عمر في العقيق ما أخذه من بلال، وهناك روايات عن إقطاع أبي بكر الزبير بن العوام أراضي في الجرف. وانظر باب القطائع في البخاري رقم ٢٣٧٦.

الحال كما أقطعه عمر، ولكن الإقطاع ليس هو الطريق الوحيد للإعمار، فقد يعمر الناس الأرض بالإحياء أو الشراء، كما سنرى في العصر الأموي.

ومن المؤكد أن العقيق أصبح ـ منذ عهد عثمان ـ متنزهاً ومنتجعاً ومتبدّى للناس، كما أصبح مسكناً لبعضهم، ومكاناً للاستثمار عند البعض الآخر.. فقد روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: حدثني عبد الرحمن بن عوف في منزلي ببني سلمة[1] فقال: اذهب بنا إلى العقيق، قال جابر: فأرسلت إلى حماري فلم أجده، فقال عبد الرحمن ابن عوف: اركب على عجز حماري، فركبت وراءه حتى جئنا العقيق.. قال جابر: فقلت له: يا أبا محمد، ما منعك من هذا الأمر ـ يعني الخلافة ـ قال: إنما منعني رؤيا رأيتها في زمن عمر بن الخطاب: رأيته يمشي والناس يهرولون خلفه، ولا يدركون بهرولتهم مشيته، فأولت ذلك، الخليفة الذي يكون بعده، فكنت أرجو ألا أكونه».

ومن أوائل الذين بنوا، وزرعوا وسكنوا العقيق، المغيرة بن الأخنس[2]، وقد ورد اسمه في تحديد أراضي ومزارع العقيق بالقرب من بئر عروة.

ويبدو أنه ممن أقطعه عمر بن الخطاب أو أقطعه عثمان بن عفان حيث يذكرون له أرضاً تسمى «ضفيرة المغيرة بن الأخنس» وقد توفي المغيرة يوم الدار زمن عثمان بن عفان.

والزبير بن العوام، وقد توفي في أول خلافة الإمام علي في موقعة

(١) جابر بن عبدالله السلمي، له ولأبيه صحبة، وكان آخر أصحاب رسول الله وفاة بالمدينة سنة ٧٨ هـ وبنو سلمة: كانوا يسكنون حول مسجد القبلتين.

(٢) المغيرة بن الأخنس الثقفي: صحابي، وهو شاعر، روي أنه هجا الزبير بن العوام فوثب عليه المنذر بن الزبير فضرب رجله فغضب عثمان بن عفان. وقتل يوم الدار مع عثمان سنة ٣٥ هـ (الاستيعاب في أسماء الأصحاب).

الجمل، ويذكرون له أرضاً في الغابة، بيعت في تركته. ويقول الأستاذ العياشي: إنه اكتشف آثار قصر للزبير في أرضه بالغابة، ولا بد أنه بنى واعتمل في عهد الاستقرار أيام عثمان بن عفان.

وعبد الرحمن بن عوف، وتوفي زمن عثمان، وكان له أرض ومزارع في الجرف، وقال إنه كان يسقي أرضه على عشرين بعيراً، ولكنه كان يسكن المدينة فلم تُذكر له قصور في وادي العقيق.

وممن سكن العقيق من كبار الصحابة: سعد بن أبي وقاص، وكان له قصر[1] بالعقيق وتوفي سنة ٥٥ هـ وقالوا: إنه مات في قصره بالعقيق وحمل على أعناق الرجال ودُفن في البقيع. ولا بد أنه بناه في زمن عثمان بعد أن عزله عثمان عن الكوفة.

والمقداد بن عمرو، توفي في خلافة عثمان سنة ٣٣ هـ بالجرف، فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع[2].

وسعيد بن زيد، صحابي، توفي سنة ٥١ هـ وكان له أرض ومنزل بالشجرة من العقيق. وروينا قصة خصومته مع أروى بنت أويس في إمارة مروان بن الحكم على المدينة[3]، ولا بد أنه بنى وعمّر في عهد الخلفاء الراشدين.

وقد استصلح عثمان بن عفان أرضاً في العقيق وخلج لها خليجاً، وجعلها لبناته من نائلة بنت الفرافصة.

---

(١) انظر «حمراء الأسد» من هذا الكتاب.

(٢) الإصابة رقم ٨١٨٣ وروى ابن حجر سبب الوفاة فقال: كان المقداد عظيم البطن وكان له غلام رومي، فقال له: أشق بطنك، فأخرج من شحمه حتى تلطف، فشق بطنه ثم خاطه، فمات المقداد وهرب الغلام، ولكنهم يروون أنه توفي وعمره سبعون سنة، ولا يعقل أن يفعل هذا ابن سبعين.

(٣) طبقات ابن سعد جـ ٣/ ٣٧٩ ـ ٣٨٥ وانظر التعريف بـ «الشجرة» من هذا الكتاب.. قال ابن حجر: وقد زعم الهيثم بن عدي أنه مات بالكوفة وصلى عليه المغيرة.. وقال =

# وادي العقيق في العصر الأموي

وصل العقيق في العصر الأموي إلى ذروة مجده وعمرانه، ولهذا أسباب، أذكر منها: أن المدينة المنورة، كانت أكثر البلدان أمناً واستقراراً في العصر الأموي، ما عدا فترة قصيرة ـ فترة إمارة ابن الزبير ـ ولذلك أوى إليها سراة قريش واستقروا فيها. وكانت عاصمة الإسلام منذ هاجر إليها رسول الله حتى نهاية عهد عثمان بن عفان، وعندما فتحت البلدان لم يشأ القرشيون أن يهجروها وينتقلوا إلى البلاد المفتوحة، لأنها تجمع من الخصائص المعاشية مالا يوجد في غيرها: ففي المدينة يكون القرشي بين أهله وعشيرته، ويصل إليه ما يحتاجه من العطاء. وكانت المدينة مكاناً آمناً بعيداً عن الاضطرابات التي كانت تحصل في العراق، وتميزت عن مدن الحجاز، بأنها تجمع بين المناخ الملائم للسكنى والقرب من حرم رسول الله ﷺ. فالمدينة أجود مناخاً وأطيب هواء[1] من

= ابن عساكر: وقد وهم من قال أنه مات بالكوفة، والصحيح أنه مات بالمدينة، وغسله سعد وكفنه.. قال واستصرخ عليه يوم الجمعة بعدما ارتفع الضحى، فأتاه ابن عمر بالعقيق، وترك الجمعة.

(١) روى البخاري في كتاب (فضائل المدينة) عن عائشة قالت: وُعك أبو بكر وبلال... وقال (بلال) اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء. ثم قال رسول الله: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مُدّنا، وصحِّحها لنا، وانقل حمّاها إلى الجُحفة. قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، قالت: فكان بطحان يجري نجلاً. تعني ماء (آجنا). وهذا يدل على أن أسباب الحمى كانت مؤقتة ثم زالت.

مكة لمركزها الجغرافي، ولكثرة بساتينها. ولم يقصدوا الطائف لأنها لم تكن من مراكز القرشيين، وليس فيها إلا ميزة المناخ.

وهؤلاء القرشيون الذين استقروا في المدينة، كانوا هم عُمّار العقيق، وقد ورث هؤلاء أموال آبائهم التي بلغت مقداراً كبيراً في أواخر عهد عثمان. وأخص بالذكر: آل الزبير، وآل عثمان بن عفان، وبعض بني أمية. يضاف إلى هذا الميراث أن القرشيين، كانوا ينالون من العطاء والهبات أكثر من غيرهم.. وهكذا نجد جماعة من الناس في عهد بني أمية، قد اعتزلوا الحياة السياسية، وأحبوا حياة الاستقرار في المدينة، وكان عندهم قدر كبير من المال يستطيعون به بناء القصور وحفر الآبار واستصلاح الأرض للزراعة.

ولذلك نجد أن أكثر عُمّار العقيق كانوا من القرشيين، وكانت هناك قلة من غيرهم. وممن أُقطِع في العهد الأموي الصحابي أبو هريرة، وقد أقطعه مروان بن الحكم أرضاً بالشجرة بذي الحليفة، وكان له منزل على العقيق بذي الحليفة. وتوفي بمنزله بالعقيق سنة ٥٩ هـ[١].

وكان بنو أمية يحبسون أرض العقيق ولا يُقطِعونها إلا خاصتهم، وقد لا تقطع إلا بإذن من الخليفة، وخصوا بالذكر عرصاتِ العقيق.

وسوف نرى في «فصل قصور العقيق» أن جل ما سجله التاريخ من أسماء القصور، إنما بني في العصر الأموي... ونعرف من تاريخ هذه القصور أن العصر الأموي شهد منافسة شديدة بين القرشيين في بناء القصور في العقيق، وشهد تسابقاً في الظهور بمظهر التفوق في البناء والكرم.

ولم يكن بناء القصور في العصر الأموي من أجل السكنى فقط، بل كانت أماكن يأوون إليها كلما أرادوا الاستجمام والنزهة.. ولذلك

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (والبداية والنهاية) لابن كثير.

يقول أبو علي الهَجَري، وقد ذكر قصور العقيق: «وفيها يتبدّون» أي يخرجون إلى البادية للنزهة إذا اشتد حر الصيف، أو في الربيع عندما تتزين الأرض بعد موسم ممطر، ! وعندما يسيل وادي العقيق، حيث يعتبر موسماً من مواسم أهل المدينة التي يخرجون فيها للاستمتاع برؤية ماء العقيق وهو يغدق كالنهر[1].

وقد بقي العقيق مزدهراً حتى نهاية العصر الأموي بل ربما زاد إقبال الناس على سكنى العقيق. ونعرف أن بعضهم بنى عدداً من القصور المتجاورة في وقت واحد. حيث ذكر المؤرخون قصور العقيق وعدوا منها قصور ـ بصيغة الجمع ـ عبد العزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، الذي توفي سنة **١٢٩** هـ في معركة قُدَيد[2] التي دارتْ بين جيش المدينة وبين الخوارج بقيادة أبي حمزة الخارجي.

(١) انظر مزيداً من التفصيل عن تاريخ العقيق في العصر الأموي «فصل قصور العقيق» من هذا الكتاب.

(٢) قُديد: وزن زبير: قرية تقع بين خليص وعسفان بقرب مكة. وكانت في القديم قريةً جامعة كثيرة المياه والبساتين.

# وادي العقيق في العصر العباسي

يقول الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في كتابه «آثار المدينة المنورة» وهو يتحدث عن عمران العقيق «فما هوت دولة بني أمية حتى ذوى العقيق وصار في خبر كان إلى الآن»[1]. وقال: «ثم ما كان دور التوقف يبتدىء في هذه الدولة ـ الأموية ـ حتى بدأ دور اضمحلال عمران العقيق»، ولكن هذا الوصف ليس مطلقاً ويحتاج إلى توضيح.

أما أنه بدأ يضمحل العمران فهذا صحيح، لأن سكان العقيق كانوا في الأغلب من الأمويين أو من يلوذ بهم، وهؤلاء قُضِي عليهم في بداية العصر العباسي فلم يبق أموي في المدينة.

قال ابن كثير في أحداث سنة ١٣٣ هـ «وفيها قتل داودُ بن علي[2] مَنْ بمكة والمدينة من بني أمية».

ولما خلت قصور العقيق من سكانها، لم يسكنها الناس من

---

(١) قوله: إلى الآن: حين ظهور الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٥ م أما (الآن) في بداية القرن الخامس عشر الهجري ـ فقد امتد العمران إلى وادي العقيق وسكنه الناس وزرعت بعض نواحيه وأقيمت فيه الحدائق وأصبح من متنزهات أهل المدينة. (انظر: العقيق في العصر الحديث) في آخر هذا الكتاب.

(٢) داود بن علي: عم السفاح العباسي ـ وهو أول من ولي إمارة المدينة في العهد العباسي. توفي بالمدينة سنة ١٣٣ هـ.

بعدهم: لأنها أصبحت من أموال السلطان، ولأن سكناها يحتاج إلى النفقة الكثيرة، والمال غير متوفر لأن حالة الضنك الاقتصادي بدأت من أواخر العصر الأموي، وبالتالي فإن العباسيين لن يكونوا أكثر من الأمويين إغداقاً للمال على أهل المدينة لأسباب كثيرة منها: أن العباسيين لم يكن موطنهم المدينة، ليغدقوا على أقربائهم المال. ثم إن المدينة كانت مأوى العلويين المناوئين لخلافة بني العباس. كما أن العصر العباسي (الأول منه والثاني): لم يكن أكثر استقراراً من أواخر العصر الأموي في المد ينة، فقد شهدت المدينة خروج العلويين من بداية العصر العباسي، وبايع بعض أهل المدينة[1] محمد بن عبدالله بن الحسن، الملقب «النفس الزكية»[2] سنة ١٤٥ هـ.

وعندما طلب محمد بن عبدالله بن الحسن، البيعة من رؤوس أهل المدينة استجاب بعضهم وقال له بعضهم: «كيف أبايعك وقد ظهرتَ في بلدٍ ليس فيه مال تستعين به على استخدام الرجال»[3].

ومما يدل على الضيق الاقتصادي وحال الفوضى في بداية عهد بني العباس، «ثورة السودان» في المدينة، وذكروا في سببها: أنه لما قُضِي على ثورة محمد (النفس الزكية) توجه قائد الجيش إلى مكة، واستناب عليها كثير بن حُصين فاستمر بها شهراً، حتى بعث المنصور على نيابتها عبدالله بن الربيع، فعاث جنده في المدينة، فصاروا إذا

---

(١) انظر (مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج الأصبهاني. و (تاريخ مكة) لأحمد السباعي و (أُمراء المدينة) تأليف أحمد ياسين الخياري.

(٢) محمد بن عبدالله.. ولد ونشأ في المدينة، وكانت بداية دعوة بني العباس لبيعته، ومنهم السفاح وأبو جعفر، فلما قامت دولة العباسيين وانحرف العباسيون عن اتجاههم لم يبايع محمدُ السفاحَ والمنصور، واختفى، فقبض المنصور على أبيه واثنَيْ عشر من أقاربه (قيل طرحهم في بيت وطيَّن عليهم حتى ماتوا) وعلم محمد فثار في المدينة، وبايعه بعض أهلها فقضى عليه المنصور سنة ١٤٥ (البداية والنهاية).

(٣) البداية والنهاية سنة ١٤٥ هـ.

اشتروا من الناس شيئاً لا يعطونهم ثمنه، وإن طولبوا بذاك ضربوا المطالب وخوفوه بالقتل، فثار عليهم طائفة من السودان، واجتمعوا ونفخوا في بوق لهم فاجتمع على صوته كل أسود في المدينة، وحملوا عليهم حملة واحدة وهم ذاهبون إلى الجمعة، فقتلوا من الجند طائفة كبيرة، وهرب الأمير عبدالله بن الربيع وترك صلاة الجمعة. ووقع السودان على طعام للمنص . كان مخزوناً في دار مروان[1]، قد قدم به من البحر، فنهبوه ونهبوا ما للجنا الذين بالمدينة من دقيق وسويق وباعوا ذلك بأرخص ثمن».

وهكذا نرى الأسباب تتجمع لإيجاد الضائقة الاقتصادية في المدينة، وبالتالي فإن هذا يؤدي إلى الانكماش والتقوقع داخل المدينة وهجران الأماكن التي تحتاج إلى مزيد من النفقة. ولا شك أن سكنى العقيق وبناء القصور يحتاج إلى مال وفير لا يقدر عليه إلا السروات من الناس.

ولا ننسى أن الفقر يؤدي إلى الفوضى، والفوضى تؤدي إلى انعدام الأمان ويكثر السطو، فيضطر الناس إلى التجمع والتزاحم. ومنازل العقيق بعيدة عن قلب المدينة ومتباعدة عن بعضها البعض، لأن كل قصر يحتاج إلى بئر أو آبار، ولا بد للقصر من بستان. ويؤدي هذا إلى تباعد المنازل والقصور.

ولا شك أن من أهم الأسباب التي أدت إلى إنشاء سور المدينة فيما بعد، قلة الأمن وخوف الناس. بينما كان الأمن موفراً في العصر الأموي. ولكن رغم كل هذا فإن العصر العباسي الأول شهد أسماء لامعة في وادي العقيق، لا تقل شهرتهم عن الأسماء التي لمعت في العصر الأموي، وبقي الناس يرتادون وادي العقيق أحياناً للنزهة وأحياناً للوقوف

---

(١) دار مروان: مروان بن الحكم، وكانت دار الإمارة في العصر الأموي.

على الأطلال وتذكّر عهود الازدهار.

ومن الأسماء اللامعة في العصر العباسي الأول: جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله، وقد ولي المدينة مرتين: المرة الأولى من سنة ١٤٦ ـ ١٥٠ هـ، والمرة الثانية من سنة ١٦١ هـ ـ ١٦٦ هـ.

قال السمهودي: وكان جعفر بن سليمان إذا كان والياً بالمدينة نزل قصر عنبسة بن سعيد (الأموي) وابتنى إليه أرباضاً وأسكنها حشمه، ثم تحول إلى العرصة فابتنى بها وسكنها حتى عزل فخرج منها. وكان جواداً كريماً، وقد ذكره الشعراء، فقال أحدهم (ابن المزكي)[1]:

أوحشت الجمَّاءُ من جعفر ... وطالما كانت به تُعمُرُ
كم صارخٍ يدعو وذي كُربةً ... يا جعفرَ الخيرات يا جعفرُ
أنت الذي أحييتَ بَذْل النَّدى ... وكان قد مات فلا يُذكر

وقال شاعر آخر:

إني مررتُ على العقيق وأهله ... يشكون من مطر الربيع نُزورا
ما ضركم إن كان جعفرُ جاركمْ ... ألّا يكونَ عقيقكم ممطورا

ومن مشاهير الأمراء بكّار بن عبدالله بن مصعب الزبيري، وقد ولاه الرشيد المدينة مدة اثنتي عشرة سنة، وكان جواداً ممدّحاً. وقد روينا في حمى النقيع عن الزبير بن بكار أنه كان لأبيه أكثر من ثلاثة آلاف شاة بالنقيع، وهو إذ ذاك أمير المدينة، ولكن لم نعلم أنه سكن العقيق.

ومن أعلام المدينة في العصر العباسي: طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر[2] بن علي زين

(١) الأبيات في «وفاء الوفا» وفي «معجم ما استعجم» ص ٣٩٤. ذكر البيت الأول ونسبه إلى ابن المولى، يمدح جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس من أمراء المدينة في العصر العباسي.

(٢) في كتاب «أبو علي الهجري» لحمد الجاسر: عبيد الله بن الحسين بن علي بن أبي =

العابدين بن الحسين ونقل حمد الجاسر ما نصه «وكان من جلالة القدر بحيث أن كلّاً من إخوته يعرف بأخي طاهر وكلّاً من بني إخوته يعرف بابن أخي طاهر، وفي ولده البيت والإمرة في المدينة» وأبوه يحيى نسابة مؤرخ من أهل المدينة، وله كتاب في أخبار المدينة ويلقب «العقيقي» نسبة إلى العقيق، متوفى سنة ٢٧٧ هـ.

وكان طاهر بن يحيى ينزل خارج المدينة في العقيق، وذكر له أبو علي الهجري منزلاً. فقد نقل السمهودي: «أول الجمّاوات جماء تضارع التي تسيل على قصر عاصم وهو منـزل أبي القاسم طـاهر بن يحيى وولده».

وأبو علي الهجري العلامة المؤرخ الأديب، كان يسكن العقيق يجاور طاهر بن يحيى وذكروا له جارة تسمى «أم قريد» تسكن العقيق، وروى عنها في كتابه «النوادر»، وسكنى الهجري في العقيق جعلته يعتني بوادي العقيق، ويؤلف كتاباً «اسمه العقيق» نقل عنه كل من جاء بعده من المؤلفين، وقد عاش أبو علي الهجري في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ولكن مع مرور الزمان، أخذ سكان العقيق يتناقصون، وخلا الوادي من سكانه، ويمر عليه الناس مرور المعتبرين، وأصبح الخـروج إلى العقيق، للتنزه لا للسكنى.

روى وكيع في أخبار القضاة أن محمد بن معاوية بن أبي عثمان قال: كنت أنا ومحمد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن

---

= طالب وما أثبته عن «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم، و«التحفة اللطيفة» وطاهر بن يحيى بن الحسين، متوفى سنة ٣١٤ هـ «التحفة اللطيفة» وانظر (الأعلام) ترجمة (يحيى بن الحسن العقيقي). وفي الجمهرة: (عبدالله العقيقي) من ولد الحسين بن علي زين العابدين.

أبي بكر الصديق ـ وكان قاضياً على المدينة في زمن المأمون ـ متنزهين بالعقيق في قصر ابن بكير فأخذ محمد بن عبدالله فحمة، فكتب بها في جدار القصر:

أين أهــلُ العـقيـق أين قــريشٌ  أين عبـد العـزيــز وابن بكيـر[1]
وَلَــوَ أنَّ الــزَّمــان أخلد حيــاً  . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وكتب تحته: من أتم هذا البيت فله جائزة. . قال: فتنزه بعد ذلك عمر بن عبدالله بن نافع في قصر ابن بكير، فقرأ الكتابة، فأتم النصف الثاني: «كان فيه مُخَـلّدٌ ابن الزبير».

فصدر بعد ذلك محمد بن عبدالله إلى العقيق، فقرأ «النصف» فقال: من كتب هذا؟ قال ابن معاوية: فأخبرته، فقال: لو كنت أكلمه لأعطيته السبق، وكان له هاجراً»[2].

ونفهم من قصة المسابقة الشعرية، أن القصور كانت خالية، في أيام الخليفة المأمون المتوفى سنة ٢١٨ هـ. وأن الناس قد جعلوها موقداً للنيران، ومكاناً للسياحة الأثرية، يتذكرون ما كان لها من المجد الغابر، وخلاء الديار من سكانها يؤدي إلى تهدمها لتصبح أطلالاً تبكيها القلوب قبل العيون.

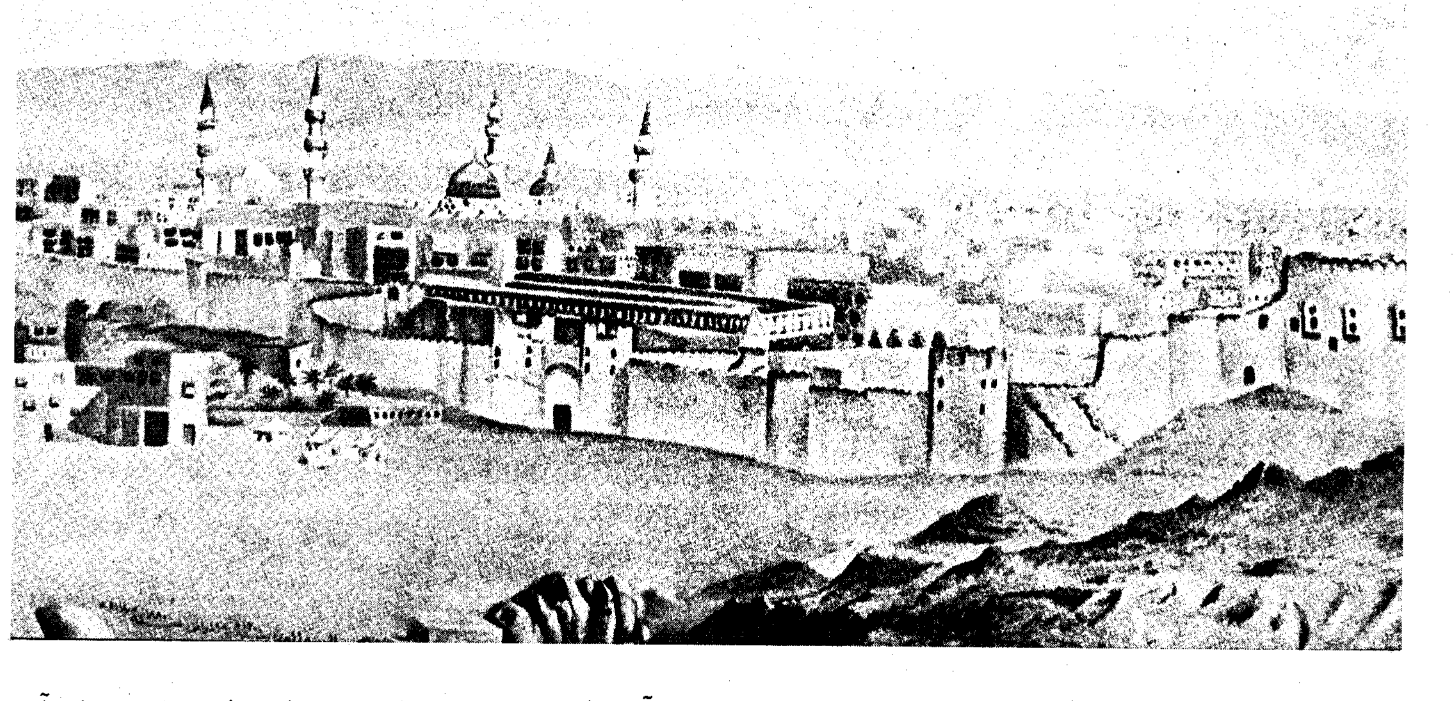
ولذلك نجد الذين ألفوا في تاريخ المدينة يتناقلون عبارات الرثاء بعد أن وقفوا على أطلال العقيق، ورأوا بقايا القصور.

قال محمد بن محمود بن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ هـ: ووادي العقيق اليوم ليس به ساكن، وفيه بقايا بنيان خراب، وآثار تجد النفس

---

(١) عبد العزيز: هو ابن عبدالله بن عمرو بن عثمان. وابن بكير: هو عبدالله بن بكير من ولد عثمان بن عفان.

(٢) أخبار القضاة جـ ١/ ٢٥٦. و «وفاء الوفا»/ ١٠٥٣.



هذه الصورة تمثل المدينة المنورة في عام ١٣٠٠ هـ وقد ظهرت مآذن المسجد النبوي الشريف والقبة الخضراء.. وفي آخر الصورة ظهرت بعض المزارع التي تحيط بالمدينة التي كانت محاطة بسور من جميع جهاتها الأربع.. (عن جريدة المدينة)

برؤيتها أنساً: كما قال أبو تمام ما ربع مية... وأنشد البيتين.

وقال أبو بكر بن الحسين المراغي المتوفى سنة ٨١٦ هـ «وكانت فيه قصور مشيدة ومناظر رائعة وآبار وحدائق طيبة ولأهله أخبار وأشعار مستحسنة حتى أفردت بالتصنيف فخرب على طول الزمان، ولم يبق منه اليوم إلا الآثار والآبار. ولهذا قال ابن النجار ـ وأورد كلام ابن النجار».

ومحمد بن أحمد المطري المتوفى سنة ٧٤١ هـ: نقل عبارة ابن النجار التي أوردتها قبل قول المراغي..

ومجد الدين الفيروزأبادي المتوفى سنة ٨٢٣ هـ: ينقل عبارات من سبقه، ولكنه يذكرها في رثاء قصور عرصة العقيق فيقول: وكانت في العرصة قصور مشيدة ومناظر رائعة وآبار عذبة. فخربت ودثرت على طول الزمان، إلى أن ينشد بيتي أبي تمام:

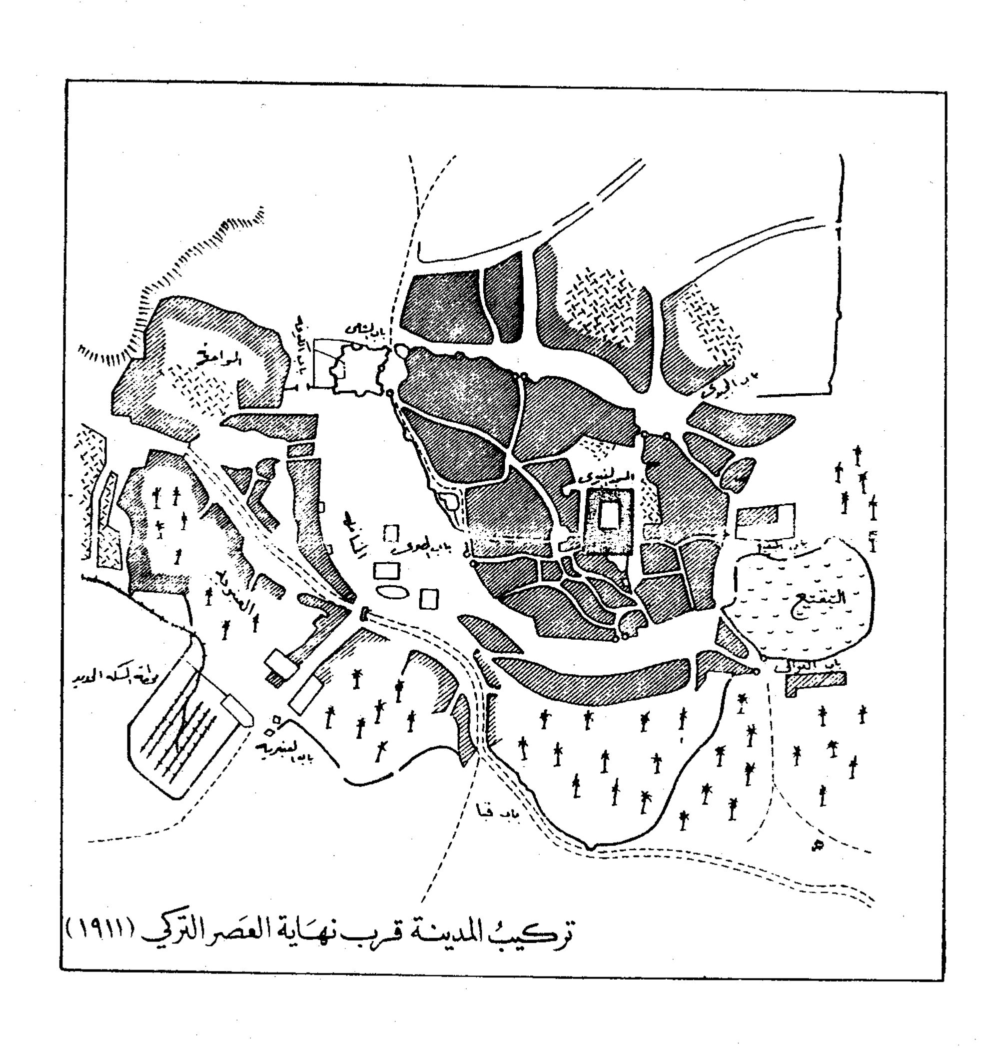
ما ربعُ ميّة معموراً يُطيفُ به غَيْلانُ أَبْهَى رُبَى من ربعها الخرِبِ

وآخر من ألف في تاريخ المدينة السمهودي المتوفى سنة ٩١١ هـ، ونقل ما قاله السابقون مع تغيير في بعض العبارات، ولكنه استشهد ببيتي أبي تمام بعد كلامه المنثور. ونعرف من كلامه أن آثار العقيق كانت موجودة في أيامه، ولذلك قال: «وآثار أبنية العقيق موجودة إلى اليوم، وهي دالة على ما كان به من القصور الفائقة والمناظر الرائعة والآبار العذبة الحسان دثرت على طول الزمان. وبقي هناك بعض الآبار وبقايا الآثار فترتاح النفوس برؤيتها[1]..

ولا يمكننا أن نجزم متى خلا العقيق من سكانه تماماً، ولكننا يمكن أن نعتبر حصول الخراب قبل بناء أول سور حول المدينة المنورة، لأن بناء السور يدل على أن انعدام الأمن وصل إلى غايته.

---

(١) «وفاء الوفا»/ ١٠٦٧.




تركيبُ المدينة قرب نهاية العصر التركي (١٩١١)

عن كتاب «المدينة المنورة» للدكتور عمر الفاروق.

وقد نقل المجد في معالم طابة أن أول سور حول المدينة، بناه عضد الدولة ابن بويه بعد سنة ٣٦٠ هـ في خلافة الطائع لله.

ونقل الشيخ حمد الجاسر في حاشية المعالم عن كتاب «الأوراق» لأبي بكر الصولي، أنه تم بناء أول سور حول المـدينة حـوالي سنة ٢٦٣ هـ، حين أغارت بنو كلاب على مدينة الرسول عليه السلام(١).

قال المجد: ثم تهدم السور الأول الذي بناه عضد الدولة، وجدده جمال الدين محمد بن علي الأصبهاني، وزير أتابك الموصل وذلك في سنة ٥٤٠ هـ.

قال: ثم كثر الناس خارج السور، ووصل السلطان نـور الدين الشهيد إلى المدينة فصاح به مَنْ كان خارج السور، وطلبوا أن يبني عليهم سوراً لحفظ أبنائهم وماشيتهم، فبنى هذا السور المجدد اليوم، بناه محمود بن زنكي الملقب نور الدين الشهيد سنة ٥٦٨ هـ(٢).

وهكذا نستطيع أن نقول: إن خراب وادي العقيق تم في نهاية القرن الثالث الهجري أو في بداية القرن الرابع، حيث أصبح من العسير على الناس أن يعيشوا بعيداً عن مركز المدينة.

---

(١) بنو كلاب: بطن عظيم من العدنانية. كانت ديارهم حِمَى ضريّة وهو حمى كليب. وحمى الرَّبَذة في جهات المدينة النبوية، وفَدَك، والعوالي، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام، فكان لهم في الجزيرة الفراتية صيت، وملكوا حلب ونواحيها.

(٢) وقد جدد بناء سور المدينة على يد الملك الناصر الصالح بن الملك بن قلاوون سنة ٧٥٥ هـ، ثم جدده الأشرف قيتباي سنة ٨٨٠ هـ، أما في العهد التركي فقد تجدد بناؤه بصورة محكمة، وتم بناؤه في عشر سنوات (٩٣٧ ـ ٩٤٦ هـ) في عهد السلطان سليمان القانوني.

# الفصل الخامس

## «العمران في وادي العقيق»

١ ـ وصف عام.
٢ ـ تحديد أماكن القصور، ومزارع العقيق.
٣ ـ من أخبار القصور:
* قصر عروة بن الزبير.
* قصر عاصم بن عمر بن عثمان.
* قصر سعيد بن العاص.
* قصر عنبسة بن سعيد.
* قصر خارجة.
* قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان.
* قصر المغيرة بن أبي العاص.

٤ ـ الفن المعماري في قصور العقيق.
أ ـ لماذا تهدمت قصور العقيق؟.
ب ـ وصف عمارة بعض القصور.

# وصف عام

كانت على ضفاف العقيق حضارة سادت ثم بادت. . ولكن الذي باد مظهرها وبقي لبابها. لأن تاريخ العرب المسلمين لا يفنى ما دام عربي مسلم على وجه الأرض، قد تفنى الشخوص ولكنها تبقى شاخصة في القلب، وقد تزول المعالم عن وجه الأرض ولكنها تبقى ماثلة أمام العين، نتصورها بالفكر اليقظ ونلمحها في طيف الخيال.

ولهذا كان هذا الفصل، أصحب فيه القارىء ونتجول على ضفاف العقيق، ويرى معالم العقيق شاخصة، فيطبق جفنيه على ما فيها من رشاقة وسحر ويضم قلبه على معاني المجد.

وقد تحدث المؤرخون عن عمران وادي العقيق جملة وتفصيلاً، ووقفوا طويلاً عند بعض المواطن، ومروا مسرعين على أخرى، وقد جمعت في هذا الفصل ما رأيته مجموعاً، وضممت إليه ما رأيته مفرقاً، وسعيت وراء الآبد حتى آويته إلى سربه، فكان من المجموع هذا العقد الفريد.

نقل السمهودي عن أبي علي الهجري وصفاً عاماً عما كان على ضفاف العقيق من العمران، فقال:

إن سيل الوادي يفضي إلى الشجرة التي بها محرم رسول الله ﷺ،

ثم يلي ذلك مزارع أبي هريرة[١] رضي الله تعالى عنه، ثم تتابع القصور يمنة ويسرة، بها منازل الأشراف فيهـا يتبدّون، منها منازل عن يمين القـادم من مكة[٢] بسفـح جبل عَيْـر، ومنها قصـر لإسحق بن أيوب المخزومي[٣]، وقصر لإبراهيم بن هشام[٤]، وقصر لآل طلحة بن عمر بن عبيد الله[٥]، ومنازل أسفـل منها يمين الـطريق أيضاً لآل سفيـان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان. ووجاه ذلك في قبالة جماء تضارع، منـازل لعبد العـزيز بن عبـدالله بن عمرو بن عثمـان، ثم يليها منـازل لعبدالله بن بكير بن عمرو بن عثمان[٦]، وهو قصر طاهر بن يحيى ومنازل ولده[٧].

ووجاهها في خَيْف حرة الوَبْرة، مزارع عروة بن الزبيـر، وبئره، وأسفل منها البئر التي تعرف ببئر المغيرة بن أبي العاص، وأسفل منها بئر زياد بن عبيد الله المداني وحوضها[٨].

---

(١) مضى الكلام عن مزراع أبي هريرة عند الحديث عن الشجرة، وكان له بيت وتوفي هناك.

(٢) قوله يمين القادم من مكة: يريد من طريق الهجرة التي فيها الطريق المزدوج الحديث.

(٣) إسحق بن أيوب بن سلمة.. وليس لإسحق شأن يذكر في كتب التراجم، أما أبوه فكانت له شهرة لأنه خال هشام بن عبد الملك.

(٤) إبراهيم بن هشام المخزومي، ولي إمرة المدينة أيام هشام بن عبد الملك.

(٥) طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر، من بني تميم، من أولاده إبراهيم وجعفر، عاصر الإمام مالك، وعثمان بن طلحة، ولي القضاء للمهدي في المدينة (نسب قريش ١٩٠).

(٦) لعثمان بن عفان، ولدان، أحدهما «عمر» والآخر «عمرو» وقد يحصل بينهمـا لبس لحذف الواو تصحيفاً من أحدهمـا. أو زيادة الـواو على الآخر، والاثنـان من رواة الحديث.

(٧) طاهر بن يحيى.. من رجال العصر العباسي ويبدو أنه سكن ما تركه الأمويون من القصور توفي سنة ٣١٤ هـ.

(٨) زياد بن عبيد الله بن عبد المدان، من أخوال السفاح، ولي الحرمين مجتمعة ومنفردة، وعزل سنة ١٤٠ هـ. وقد سكن المدينة مدة ولايته عليها توفي حوالي سنة ١٥٠ هـ. «التحفة اللطيفة».

وضفائر قصر المراجل، والزبيني، قصر سكينة بنت الحسين وقصور فوق الزبيني لإسحق بن أيوب متتابعة، وفوقها قصور كثيرة لغير واحد، ثم قصور ابنة المرازقي الزهرية.

ثم منازل جعفر بن إبراهيم الجعفري[1].

ثم يفضي إلى بئر رومة، وقصور كثيرة يمنة ويسرة، منها قصور عبدالله بن سعيد بن العاص[2].

وببطن الوادي: بئار لعبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس[3]، والقصور يمنة ويسرة.

ثم ذكر ما بالعرصة من القصور وقال: ثم يفضي إلى الجرف، وفيه سقاية سليمان بن عبد الملك[4]، ثم الزغابة، وبها مزارع وقصور أيضاً. وفي العرصة قصور ومزارع أيضاً، منها قصر خارجة بن حمزة، وقصر عبدالله بن عامر، وقصر مروان بن الحكم، وقصر سعيد بن العاص.

وهناك قصور أخرى منها قصر عاصم بن عمرو بن عثمان، وهو في سفح جماء تضارع، وقصر عنبسة بن عمرو بن عثمان، وقصر عنبسة بن سعيد بن العاص ـ بالعنابس ـ وقصر عبدالله بن بكير.

---

(١) جعفر بن إبراهيم الجعفري، بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر (لسان الميزان جـ٢/ ١٠٦).

(٢) هناك ولدان لسعيد اسمهما، عبدالله: عبدالله الأكبر، وأمه أم البنين ابنة الحكم بن أبي العاص، وعبدالله بن سعيد، وأمه أم حبيب بنت جبير بن مطعم. ولهما من الأخوة: عمرو الأشدق، وعنبسة، ويحيى، ولما قتل عبد الملك بن مروان أخاهم عمراً، سيّرهم إلى المدينة.

(٣) عبدالله بن علي.. وهو عم الخليفة العباسي أبي جعفر، وهو الذي هزم مروان بن محمد في معركة الزاب، وفتح دمشق، وقتل من أعيان بني أمية ثمانين رجلاً قرب الرملة بفلسطين. خرج على المنصور، ثم استسلم لابن أخيه، وحُبس في بغداد فوقع عليه البيت الذي حبس فيه سنة ١٤٧ هـ، ولم تذكر المصادر سكناه في المدينة.

(٤) سقاية سليمان.. بالجرف، يعسكر بها الخارج من المدينة إلى الشام (وفاء الوفا).

# تحديد أماكن قصور العقيق ومزارعه

مناطق العقيق كلها نزهة وصالحة للسكنى ولم تبق ناحية من نواحيه خالية من العمران. وقد ذكر الباحثون قصور العقيق على النحو التالي[1]:

**أولاً: القصور الواقعة بطرف حرة الوبرة إلى بئر رومة:**

١ ـ قصر عروة بن الزبير، بقرب بئره.

٢ ـ قصر المراجل: وهو قصر لعبدالله بن عمرو بن عثمان الذي يلقب المطرّف، ولم يذكر أحد لماذا سمي «المراجل» ربما جمع مرجل، وهو القدر، لكثرة قدوره التي يطبخ فيها.

٣ ـ قصر سكينة بنت الحسين المسمى «الزبيني» أو «الزينبي ـ نسبة إلى زينب في الأغاني جـ١٦/ ١٦٠: أن سكينة ناقلت بمالها بالزوراء ـ مكان في سوق المدينة ـ إلى قصر يقال له «البريدي» وفي هامشه: الزينبي، بلزق الجماء، فلما سال العقيق خرجت ومعها جواريها تمشي حتى جاءت السيل فجلست على جرفه، ومالت برجليها في السيل وقالت: والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء. قال: وكان البريدي قصراً لا غلة له، وإنما يتنزه فيه، وكانت غلة الزوراء غلة وافرة جميلة».

٤ ـ قصور متتابعة لإسحق بن أيوب، وهو من بني مخزوم.

---

(١) انظر (آثار المدينة) للأنصاري. و(المدينة بين الماضي والحاضر) للعياشي.

٥ ـ قصور ابنة المرازقي الزهرية.

٦ ـ منازل جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر.

٧ ـ قصر هشام بن إسماعيل المخزومي: ويرى الأستاذ العياشي أنه مكان قصر الشيخ محمد الحافظ الموجود على كتف الوادي بالقرب من سد عروة.

**ثانياً: القصور التي في العرصة الكبرى الواقعة فيها بئر رومة:**

١ ـ قصر عبدالله بن عامر: قال الواقدي: إنه بناه هناك من أول ما بني بذلك العقيق. ولما قتل أهل الحرة وعسكر مسلم بالجرف، أمر بالعسكر تحول إلى عرصة البقل، وأمر بالأسرى فحبسوا هناك. وصاحب القصر عبدالله بن عامر بن كريز الأموي، ابن خال عثمان، يُروى أنه أُتي به إلى النبي وهو صغير وجعل ﷺ يتفل في فيه ويعوذ، فجعل يبتلع ريق النبي، فقال النبي ﷺ: إنه لمستقى، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر فيها الماء. أقام آخر حياته في المدينة، ومات بها سنة ٥٧ هـ (تهذيب التهذيب) و «التحفة اللطيفة».

٢ ـ قصر مروان بن الحكم: أمير المدينة في عهد معاوية، وأول خليفة مرواني بعد يزيد بن معاوية.

**ثالثاً: القصور التي بالعرصة الصغرى:**

١ ـ قصر سعيد بن العاص. ولا زالت أطلاله شاخصة خلال أسوار القصر الملكي في المدينة وسيأتي حديث طويل عنه.

٢ ـ القرائن: قال الأنصاري: دور كانت لآل سعيد بن العاص قرب قصره. وقال السمهودي: ثلاث دور اتخذها عبد الرحمن بن عوف فدخلت في المسجد وقد ذكرها أبو قطيفة من الأماكن التي يحن إليها في المدينة:

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا جَبوب المُصلّى أم كعهدي[1] القرائن

٣ ـ قصر أبي بكر عبدالله بن مصعب الزبيري الذي يعرف بالمستقر[2]، اشتراه وكان بيتاً أو بيتين، فهدم ذلك وبناه قصراً، ويقول فيه الشاعر:

يا قصر لو كان خالداً أحدٌ بالجود والمجد كان مولاكا
ولو تفدّي المنون ذا كرمٍ كان أبو بكر الندى ذاكا

**رابعاً: القصور التي تقع في سفح جماء عاقر أو عاقل:**

* قصور لجعفر بن سليمان، من ولاة المدينة في عهد بني العباس.

**خامساً: القصور الكائنة في سفح جماء أم خالد:**

**١ ـ قصر محمد بن عيسى الجعفري.**

**٢ ـ قصر يزيد** بن عبد **الملك بن** المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب[3].

**سادساً: القصور الواقعة في سفح جمّاء تضارع:**

١ ـ قصر طاهر بن يحيى: وهو من آل علي في المدينة عاش أيام العباسيين.

٢ ـ منازل لعبد العزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان. وهو الذي قتل بقُديد بين مكة والمدينة. وكان عبد الواحد بن سليمان أمير المدينة

(١) الجَبوب: الحجارة، والأرض الصلبة. والمصلى: موضع بعينه في عقيق المدينة. «معجم البلدان» والأغاني جـ١/ ٣٠.

(٢) عبدالله بن مصعب، والد مصعب بن عبدالله ـ صاحب نسب قريش، ولي إمرة المدينة أيام الرشيد، وتوفي بالرقة سنة ١٨٤ هـ (لسان الميزان) جـ٣/ ٣٦٠.

(٣) يزيد بن عبد الملك.. توفي بالمدينة سنة ١٦٧ هـ وهو من رواة الحديث.. (تهذيب التهذيب).

استعمله على بعث أخرجهم من المدينة من قريش وغيرهم فلقوا الحرورية ـ جماعة أبي حمزة الخارجي ـ بقُديد، فقتل عبد العزيز وقتل الناس معه. وعبد العزيز هو الذي ورد اسمه في بيتي المسابقة الشعرية التي كُتبت على جدار قصر عبدالله بن بُكير «انظر تاريخ العقيق في العصر العباسي» وكانت معركة قُديد سنة ١٢٩ هـ.

٣ـ قصر عاصم بن عمر بن عثمان.. وسيأتي حديث خاص عنه.

٤ ـ قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان.. وسيأتي كلام منفرد عنه في قسم القصور.

٥ ـ قصرعبدالله بن بُكَير بن عمرو بن عثمان. وهو الذي عناه الشاعر بقوله: «أين عبد العزيز وابن بكير» وقد خلا القصر من أهله في أوائل العصر العباسي.

**سابعاً: القصور الكائنة في سفح جبل عَيْر:**

١ ـ قصر إسحق بن أيوب المخزومي، وله قصور أخرى في غير هذا المكان.

٢ ـ قصر لآل طلحة بن عمر بن عبيد الله من بني تميم.

٣ ـ قصر إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، وهو أحد أمراء المدينة في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

٤ ـ منازل لآل سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان.

**ثامناً: مزارع وبساتين العقيق المشهورة:**

١ ـ مزارع أبي هريرة رضي الله عنه قبيل المحرم.

٢ ـ مزارع عروة بن الزبير قريباً من بئره المعروفة.

٣ ـ بساتين عبدالله بن بكير بقرب قصره الذي يقع بسفح جماء تضارع.

٤ ـ مزراع مروان بن الحكم بقرب قصره بالعرصة الكبرى.

٥ ـ بستان سعيد بن العاص بقرب قصره بالعرصة الصغرى.
٦ ـ مزراع الجرف التـي منها «الزين» مزرعة النبي ﷺ[1].
٧ ـ مزارع ثنية الشريد بعد ذي الحليفة.
٨ ـ مزارع العنابس وهي مزارع عنبسة بن سعيد في وهاد الحرة الغربية.
٩ ـ مزارع الغابة وخاصة مزارع ابن الزبير التي لا زالت تعرف بهذا الاسم.

(١) آثار المدينة المنورة للأستاذ عبد القدوس الأنصاري نقلاً عن السمهودي في وفاء الوفا.

# من أخبار القصور

لكل قصر في وادي العقيق تاريخ، وتناقل الناس عن أهله القصص، وطارت الأخبار بالحكايات، ولكنها ليست قصص وحكايات قصور ألف ليلة وليلة، وإنما تروي واقع المثل العليا العربية التي ميزت المجتمع العربي في «الوبر» وبقيت سائدة عندما انتقلوا إلى «المدر».

فالكرم، والمروءة، والشهامة، وحماية الجار، وإغاثة الملهوف، وإجارة المستجير، ليست أخلاقاً عارضة أملتها حياة البادية كما يقولون، وإنما هي خلق أصيل، يعتبر من مكونات الإنسان العربي، في باديته وحاضرته، ولو كانت تلك الصفات من ضرورات الحياة البدوية فقط، لما وجدناها عند أهل الحاضرة، في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ولما نقل إلينا التاريخ أمثلة من هذه الأخلاق عند القرشيين في مكة، مثل حلف الفُضُول، ولما كان هاشم بن عبد مناف يهشم الثريد للناس، ولما رأينا أهل «يثرب» من الأوس والخزرج يتنازلون عن نصف ما يملكون لإخوانهم من مهاجري مكة.

ولما جاء الإسلام، رضي عن هذه الأخلاق، وثبتها في نفوس المؤمنين ووجهها وربطها بمجموعة الأخلاق الإسلامية التي تكون المجتمع المسلم..

وهكذا ستجد في تاريخ قصور العقيق، تسابقاً نحو المثل العربية

الإسلامية، مما يجعل مجتمع العقيق امتداداً للحياة العربية الأصيلة، الموجهة بروح الإسلام.

وسوف أعرض فيما يلي من الصفحات، ما وصلنا عن قصص بعض قصور العقيق. . .

## قصر عروة بن الزبير

بدأت به لنباهة صاحبه، وشهرة القصر في التاريخ والشعر، ولكثرة ما تغنى الشعر بالقصر وبئره، ولكثرة ما نقل عنه من القصص.

وعروة بن الزبير، تابعي ولد في خلافة عمر بن الخطاب، وكان عالماً بالدين صالحاً كريماً، لم يدخل في شيء من الفتن التي عاصرها، وهو أخو عبدالله بن الزبير لأبيه وأمه، ولكنه لم يؤيده، وبقي معتزلاً، وتوفي سنة ٩٣ هـ. وهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة[(١)]، الذين نقل عنهم فقه الصحابة، وأحاديث الرسول، وكانوا المرجع الأول في الفتوى، في النصف الثاني من القرن الأول.

ورووا في قصة بناء القصر: لما كانت سنة إحدى وأربعين، أقطع مروان بن الحكم عبدالله بن عياش[(٢)]، ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس بالعقيق إلى الجبل الأحمر الذي

---

(١) الفقهاء السبعة: انتهت إليهم الفتوى في النصف الثاني من القرن الأول، وقد نظمهم بعض الشعراء فقال:

ألا كلّ من لا يقتدي بأئمة ... فقسمته ضِيزى عن الحق خارجه
فخذهم عُبيد الله، عروة، قاسم، ... سعيد، أبو بكر، سليمان، خارجة

(٢) عبدالله بن عياش بن علقمة. . قال ابن حجر في «الإصابة» إن أباه عياشاً من مسلمة الفتح. وروى عن الزبير بن بكار: أن ابنه عبدالله أقطعه مروان وهو أمير المدينة في سنة إحدى وأربعين أرضاً بالعقيق. وهو غير عبدالله بن عياش المخزومي القارىء.

يطلعك على قباء. فاشترى عروة موضع قصره وأرضه وبئاره من عبدالله بن عياش.

ولم يذكر المؤرخون الزمن الذي بنى فيه عروة قصره، فقد ذكر الزركلي في الأعلام: أن عروة انتقل إلى البصرة ثم إلى مصر، فتزوج وأقام بها سبع سنين وعاد إلى المدينة.

ويبدو أن زمن استقرار عروة في المدينة، كان بعد القضاء على سلطان أخيه عبدالله، وربما يكون في أواخر عهد عبد الملك وبداية خلافة الوليد، في إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة، لأننا سنرى من تسلسل تاريخ القصر، خصومة بين عروة وبين جيرانه، أثناء إمارة عمر بن عبد العزيز.

قال السمهودي: وابتنى عروة، واحتفر، واحتجر، وضفر، فقيل له: إنك لست بموضع مدرّ، وفي رواية: إنك بغير موضع بذر، فقال عروة: يأتي الله به من النقيع. فجاء سيل فدخل في مزارعه فكساها من خليج كان خلجه.

وكان بناؤه جنابذ ـ جمع جنبذ ـ وهو ما ارتفع واستدار كالقبة.

وكان لعبدالله بن عمرو بن عثمان[1] في الناحية الأخرى قصور، منها قصر «المراجل» وقصر «أمية» و«المنيف» وله مزارع وآبار، منها بئر «كافورة».

وكان بين عبدالله بن عمرو، وعروة بن الزبير خصومة، ذكروا من

---

(١) عبدالله بن عمرو بن عثمان: المعروف «بالمطرف» لحسنه، وكان شريفاً جواداً ممدحاً وأمه حفصة بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب، ويقول الفرزدق في مدحه:

نمى الفاروقُ أمك، وابنُ أروى ... أباك، فأنت منصدع النهار
هما قمرا السماء وأنت نجم ... به بالليل يدلج كل سار

توفي بمصر سنة ٩٦ هـ «تهذيب التهذيب».

أسبابها: أن عروة أراد أن يبني محلاً، يبدو أنه خارج عن حقه، فمنعه عبدالله بن عمرو، فحملها عروة في نفسه، فلما بنى عبدالله قصره «المراجل» وعمل مزارعه، عمل له خليجاً، لجلب الماء، وكان يمرّ بمزارع عروة، فمنعه عروة، فحملها عبدالله في نفسه، وكان أمير المدينة في ذلك الوقت عمر بن عبد العزيز، فادعى عبدالله بن عمرو عند عمر بن عبد العزيز أن عروة اعتدى على حق السلطان، وأنه بنى وحفر في غير حقه.. فأرسل عمر بن عبد العزيز مَنْ هدَم جنابذ قصر عروة وضفائره، وسدم بئاره، ووصل الخبرُ إلى الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز: «ما عروة ممن يتهم، فدعه وما انتقص من حق السلطان».

فعاد عروة يبني قصره، ويحفر بئاره من جديد، وكأنما أحس عروة أن الخصومة سببها الحسد، ولذلك يروى قوله: جزعوا من جنابذ بنيتها، والله لأبنينه بناء لا يبلغونه إلا بشق الأنفس.

فبنى قصره ذاك البناء، ويروي عن عروة شعر في هذا الموضوع يقول[1]:

بنيناه فأحسنّا بناه بحمد الله في خَيْر العقيق
نراهم ينظرون إليه شَزْراً يلوح لهم على وضح الطريق
فساء الكاشحين وكان غيظاً لأعدائي وسُرّ به صديقي
يراه كلُّ مختلف وسارٍ ومعتمر إلى البيت العتيق

وروي أنه لما أراد عروة بناء قصره من جديد، ولّى عمر بن عبدالله بن عروة[2] بناء قصره، فلما كثرت النفقة فيه لقيه عمه يحيى بن

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي جـ ٤.

(٢) عمر بن عبدالله بن عروة.. ترجم له ابن حجر في «تهذيب التهذيب» وقال السخاوي في «التحفة» وكان ثقةً، وتوفي شاباً. وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة، وقال: أمه أم حكيم ابنة عبدالله بن الزبير.

عروة[1]، فقال: يابن أخي كم أنفقت في هذا القصر؟ قال: كذا وكذا. .

قال يحيى: هذه نفقة كثيرة، لو علم بها أبي لاقتصر في بنائه، فأخبره بذلك، فأخبر عمر جده، فقال عروة: لقيك يحيى؟، قال: نعم. قال: إنما أراد أن يعوّق عليّ بنائي. انفق ولا تحسب، فأنفق حتى فرغ، وحفر آباراً إحداهن بئر «السقاية» وبئر يدعى «العسيلة» وبئر القصر.

ويذكرون لخروج عروة إلى العقيق أسباباً: منها ما ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى، قال: كان عليّ بن الحسين بن علي[2]، يجلس كل ليلة هو وعروة بن الزبير في مؤخرة مسجد رسول الله بعد العشاء الآخرة، فتحدثا ليلة، فذكرا جَوْر مَنْ جار من بني أمية، والمقام معهم. وهم لا يستطيعون تغيير ذلك، ثم ذكرا ما يخافان من عقوبة الله لهم، فقال عروة لعليٍّ: يا عليّ، إن من اعتزل أهل الجور، والله يعلم منه سخطه لأعمالهم، فإن كان منهم على ميل، ثم أصابتهم عقوبة الله رُجي له أن يسلم مما أصابهم. قال: فخرج عروة فسكن العقيق[3].

وروى السمهودي في «وفاء الوفا» والذهبي في «سير أعلام النبلاء» عن عروة أن رسول الله قال: «يكون في آخر أمتي خسف وقذف ومسخ، وذلك عند ظهور شيء من عمل قوم لوط»[4] فبلغني أنه قد ظهر شيء

---

(١) يحيى بن عروة. . ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة، وأمه أم يحيى بنت الحكم بن أبي العاص، وكان يقول: أنا أكرم العرب: اختلفت العرب في خالي مروان بن الحكم وعمي عبدالله بن الزبير، قالوا: وكان أعلم من أخيه هشام بن عروة. «تهذيب التهذيب».

(٢) للحسين ولدان اسمهما «علي»: الأكبر، وقتل مع أبيه في كربلاء، وزين العابدين ويقال له الأصغر، وكل ذرية الحسين منه، وكان صديقاً للأمويين لم يخرج عليهم، فنال عطاياهم، وكان كريماً، ما فقد أهل المدينة صدقة السر إلا بعد موته توفي ٩٤ هـ.

(٣) طبقات ابن سعد جـ ٥ ترجمة عروة.

(٤) انظر «ابن ماجه، والترمذي في الفتن. والحديث ضعيف لانقطاعه وجهالة أحد رواته «محمد بن يعقوب بن عقبة» وأحد رواته «عبدالله ابن عكرمة» لم يوثقه غير ابن حبان.

منه فتنحيت عنها، وخشيت أن يقع وأنا بها، وبلغني أنه لا يصيب إلا أهل القصبة، قصبة المدينة.

وروى الذهبي عن هشام بن عروة قال: لما اتخذ عروة قصره بالعقيق، قال له الناس: جفوت مسجد رسول الله، قال: رأيت مساجدهم لاهية وأسواقهم لاغية والفاحشة في فجاجهم عالية، فكان فيما هنالك عما هم فيه عافية[١].

قالوا: وتصدق عروة بقصره وأرضه وبئره على المسلمين، وأوصى بذلك إلى الوليد بن عبد الملك، فولاه ابنَيْه: يحيى بن عروة، وعبدالله بن عروة[٢] ثم توفي يحيى وأقام عبدالله في القصر نحواً من أربعين سنة.

ثم وليها هشام بن عروة[٣] بالسن، ثم وليه عبيدالله بن عروة[٤].

وقيل له: مالك تركت المدينة؟ فقال: لأني بين رجلين، حاسد لنعمة، أو شامت بمصيبة[٥].

وهو القائل[٦]:

---

(١) «سير أعلام النبلاء» وأثر الصنعة ظاهر على ما نسب إلى عروة، فالعبارة مسجوعة، ولا يشبه هذا الكلامُ كلامَ أهل القرن الأول.

(٢) عبدالله بن عروة: تابعي من الخطباء الشجعان، كان يشبّه بعبيد الله بن الزبير في لسانه وجلَده، وله شعر، توفي سنة ١٢٦ هـ «تهذيب التهذيب» جـ ٥/ ٣١٨.

(٣) هشام بن عروة: تابعي من أئمة الحديث، ولد وعاش في المدينة، ووفد على المنصور العباسي فكان من خاصته، توفي في بغداد سنة ١٤٦ هـ «تهذيب التهذيب».

(٤) في «وفاء الوفا» عبدالله، والصحيح ما ذكرته «عبيد الله» بالتصغير. انظر نسب قريش ص ٢٤٨. لأن عبدالله أكبر إخوته وقد تولى القصر قبل هشام. وإذا كان هشام بقي متولياً القصر حتى وفاته فإن هذا يدل على أن قصر عروة بقي عامراً بسكانه فترة من العصر العباسي، لأن هشاماً توفي زمن المنصور. وليس بعيداً هذا لأن آل الزبير لم ينلهم أذى من العباسيين.

(٥) الكلام منسوب إلى هشام بن عروة.

(٦) في «وفاء الوفا» ما يدل على أن القائل، عبيد الله. وذكر الأبيات الذهبي في سير =

لـو يعلم الشيخ غُـدوّي بالسحـر قَصْداً إلى البئر التي كان احتفر
في فتيـةٍ مثـل الـدنـانيـر غـرر وقـاهم الله النفـاق والضجـر
بين أبـي بكـرٍ وزيـدٍ وعـمـر ثـم الحـواري لـهم جـدّ أغـر
قـد شمخ المجـد هنـاك وازمخرّ فهم عليهـا بـالعشيّ والبُكـر[1]
يسقـون من جاء ولا يُؤذى بشـر لـزادَ في الشكر وإنْ كـان شكر

ولما ولي إبراهيم بن هشام المدينة لهشام بن عبد الملك، أراد أن يدخل في حقوق بني عروة بالفرع، فحال عبدالله ويحيى ابنا عروة بينه وبين ذلك، وقال عبدالله للخليفة هشام «إن إبراهيم بن هشام لم يغنه كثر ما بيديه عن قليل ما في أيدينا»[2] فاضطغن إبراهيم عليهما، فهدم قصر عروة وطرح في بئره جملاً مطلياً بالقطران، فكتب عبدالله إلى الخليفة هشام يتظلم، فكتب هشام إلى ابن أبي عطاء عامله على ديوان المدينة أن يردّه على ما كان، حتى يضع الوتد في موضعه فكان غرم ذلك ثلاثين ألف درهم، وألف دينار[3].

وهكذا نلاحظ كيف كان قصر عروة محل حسد الحاسدين، أو ربما نقول: محل غبطة الغابطين، يقصده الناس، وينالون من إكـرام أهله، فيلهجون بالثناء والمدح، والمدحُ والثنـاءُ كانا بغية كل صاحب

---

= الأعلام، ترجمة عروة، ولم ينسبهـا، وإنما قال: قال الشاعر.

(١) ازمخرّ: اشتد.

(٢) انظر الخبر في «نسب قريش» ص ٢٤٦. وقد ولي إبراهيم بن هشام إمارة المدينة وهو خال هشام بن عبد الملك، وكان سيء السيرة، فلما تولى الوليد بن يزيد الخلافة عذب إبراهيم وأخاه محمداً حتى ماتا في الحبس، وانظر «تهذيب التهذيب» ترجمة عبدالله بن عروة.. والفرع: واد قريب من المدينة وكان لآل الزبير مال فيه. قال الذهبي: كان عبدالله بن الزبير قد باع ماله بالغابة الذي يعرف بالسقاية لمعاوية بمائة ألف دينار، ثم قسمها في بني أسد. فاشترى مجاج لعروة من ذلك بألوف الدنانير وهي من الفرع. وقال ابن سعد: مات عروة بن الزبير في أمواله بمجاج من ناحية الفرع ودفن هناك يوم الجمعة ٩٤ هـ.

(٣) وفاء الوفا، للسمهودي. فصل «العقيق».

قصر، وهم يبذلون الكثير من أجل أن يتناقل الناس أخبار مآثرهم.

روى الذهبي، قال: «لما فرغ عروة من بناء قصره، وحفر آباره، دعا جماعة، فطعم الناس، وجعلوا يبرّكون وينصرفون».

وقد كان قصر عروة في منطقة من العقيق، أكثر سكانها من الأمويين، وبين الأمويين وآل الزبير منافسة، ولا شك أن إذاعة محامد عروة، وتفوقه عليهم فيما يتسابقون إليه ـ من صفات الكرم والمروءة ـ جعل الأمويين جيران عروة يغتاظون منه، ويدبرون له المكائد، ليقتلعوا قصره من مكانه في حياته، وبعد مماته. وقد رأينا قبلُ أنواعاً من المكائد التي دبرت للنيل من قصر آل عروة، ونقرأ أمثلة مما يردّ به آل عروة على مكائد الأمويين.

من ذلك أن عبدالله بن عروة كان يتحين ركوب إبراهيم بن هشام ـ أمير المدينة ـ فإذا أشرف على الحرة ـ حرة الوبرة ـ التي فيها قصر عروة ـ قال للناس: كبروا ولكم جزور، فيفعلون، فينحرها، فيغيظ بذلك إبراهيم ابن هشام ويبلغ منه[1].

وقد نال بئر عروة شهرة واسعة، وتناقل الركبان عذوبة مائه.

روى الزبير بن بكار عن نوفل بن عمارة، قال: لما بنت أمي قصرها، أرسل إليها هشام بن عروة يقول: إنك نزلت بين الطيبّيْن، بئر عروة، وبئر المغيرة بن الأخنس، فأسألك برحمي إلا جعلت شرابك من بئر عروة ووضوءك من بئر المغيرة، فكانت أمي لا تشرب إلا من بئر عروة ولا تتوضأ إلا من بئر المغيرة حتى لقيت الله تعالى.

وقال الزبير بن بكار: رأيت الخرّاج من المدينة إلى مكة وغيرها ممن يمر بالعقيق يخففون من الماء حتى يتزودوه من بئر عروة، وإذا

(١) «وفاء الوفا» ص ١٠٤٦.

قدموا منها بماء يقدمون به على أهلهم يشربونه في منازلهم عند مقدمهم.

وقال الزبير: ورأيت أبي يأمر به فيغلى ثم يجعل في القوارير، ثم يهديه إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد بالرقة[1].

وتغنى الشعراء بقصر عروة وبئره، فقال عامر بن صالح[1]:

حبذا القصر ذو الظلال وذو البئر ببطن العِقيق ذات السقاة
ماء مزن لم يبغ عروة فيها غير تقوى الإلّه في المُفْظعات
بمكان من العقيق أنيسٍ باردِ الظل طيب الغُدوات

وقال عليّ بن الجهم: في مطلع قصيدة يمدح بها المتوكل (الديوان ص ٣٧):

هذا العقيقُ فعدّ أيـ ـدي العيس عن غُوائها
وإذا أطفتَ ببئر عُر وة فاسقني من مائها
إنا وعيشِك ما ذمَمْـ ـنا العيشَ في أفنائها

وقال السريّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويمر الأوسي الأنصاري[3]:

---

(١) قوله: رأيت أبي: هو بَكّار بن عبدالله ولي إمرة المدينة زمن الرشيد.

(٢) عامر بن صالح بن عبدالله بن عروة، فقيه، عالم بالأنساب وأيام العرب وأشعارها، وله شعر، ولد في المدينة، وسكن بغداد وتوفي بها سنة ١٨٢ هـ، ولم يوثقه ابن حجر في الحديث (تهذيب التهذيب جـ ٥/ ٧٠) «والتحفة اللطيفة» جـ ٢.

(٣) في كتاب «أبو علي الهجري» السري بن عبد الرحمن بن حسان الأنصاري ص ٢٩٩ وقد وهم الأستاذ الجاسر فظنه عبد الرحمن بن حسان، لوصف عبد الرحمن بالأنصاري وعبد الرحمن بن حسان ليس له ولد اسمه «السريّ» وابنه الشاعر اسمه «سعيد» - قال المبرد: أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسان، فإنهم يعدون ستة في نسق، وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام.
وصاحب الأبيات من الأوس، قال ابن حزم في نسب عويمر بن ساعدة: ومن ولده الشاعر السري بن عبد الرحمن (جمهرة أنساب العرب ص ٣٤٧، ٣٣٤ والمعارف لابن قتيبة ٣١٢.

كفنوني إن مُتُّ في درع أروى واستقوا لي من بئر عروة مائي[1]
سخنة في الشتاء باردة الصيف سراج في الليلة الظلماء

وأختتم حديثي عن بئر عروة بما كتبه الأستاذ عبد القدوس الأنصاري بعد تحرٍ لمكانه:

قال: تقع بئر عروة بطرف حَرة الوَبْرة الغربي بالنسبة للمدينة عن يمين المسافر في الطريق إلى مكة. وتبعد عن المدينة بنحو ٣٠ دقيقة من باب العنبرية بالسير المتوسط للإنسان... ويستخرج الماء من البئر بالدلاء تارة وبالسانية تارة أخرى، وهي غزيرة وماؤها أرق مياه بالمدينة وأعذبها وأخفها، وله طعم خاص. ونقل عن ابن خلكان قوله: ليس بالمدينة بئر أعذب منها[2].

## قصر عاصم بن عمر بن عثمان[3]

كان له قصر عظيم على مقربة من بئر عروة.. وهو في قبل جماء تضارع المشرفة على قصر عروة، وعلى الوادي، ويواجه بئر عروة بن الزبير.

---

(١) قوله: درع أروى: الدرع الثوب، ولا نعلم من هي أروى التي أضاف الدرع إليها والبيتان منسوبان للأحوص الأنصاري في ديوانه من قصيدة مطلعها:
رام قلبي السلوّ عن أسماء وتعزّى وما به من عزاء
(شعر الأحوص ص ٧١).

(٢) «آثار المدينة المنورة» الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٣ م.
وقال المجد في «معالم طابة» سألت عنها أهل المدينة فلم يعينوها، وإنما ذكروا لي بئراً عند قصر عروة، رجماً بالغيب ورمياً للكلام على عواهنه والمجد متوفى سنة ٨٢٣ هـ.

(٣) في «معالم طابة» عاصم بن عمرو. وفي «وفاء الوفا» عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان. وقد رجعت إلى كتب الأنساب فوجدته «عاصم بن عمر» وقال ابن قتيبة في «المعارف» ص ٢٠١: كان عاصم من أبخل الناس، وذكر شعراً للحزين الكناني في هجائه لبخله. وهذا الوصف يناسب ما روي عن صاحب هذا القصر وانظر «تهذيب التهذيب» جـ ٥/ ٥٣.

والجماء تسيل على قصر عاصم وعلى بئر عروة.

وقد وصفه الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، ووصف السد الذي كان عاصم قد عمله لحجز المياه التي تسيل من الجمـاء، من أجل الاستفادة من المياه.

وقصة قصر عاصم، تعطي دلالات على المجتمع العقيقي، وعلى بعض العلاقات التي كانت تسود في بعض الفترات من تاريخ العقيق، حيث كانت المنافسة شديدة، بين سروات القوم، وكان التفاخر والتباهي من الأسباب التي تدعو إلى تحسين البناء، كما كانت المنافسة شديدة بين أصحاب القصور للظهور بمظهر الكريم الذي فتح قصره للضيفان.

كما نرى أمثلة من الخصومة بين رجال الأسر السياسية، حيث نجد صراعاً في قصة هذا القصر بين آل عليّ، وآل الزبير من جهة، وبين رجل من بني أمية من جهة أخرى، ونجد اتحاداً في المعارضة والخصومة بين أسرتين كانتا متنافرتين فترة من الزمن، وهما آل الزبير، وآل عليّ، وكان اتحادهما ضد الأسرة الأموية الحاكمة، حيث اتحدت المعارضة ضد الأموين بعد زوال سلطان ابن الزبير وصار الأمويون ينظرون إلى أهل المدينة نظرة واحدة.

وتقول الروايات: إن عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر[١]، وعمر بن عبدالله بن عروة بن الزبير[٢]، اتفقا على هجاء قصر عاصم، فقالا:

---

(١) عبدالله بن معاوية، من الشجعان الأجواد الشعراء، كان فتاكاً سيء الحاشية، طلب الخلافة في أواخر بني أمية سنة ١٢٧ هـ بالكوفة، وبويع له من بعض أهلها ثم قوتل، وقبض عليه، ومات خنقاً، وهو صاحب البيت المشهور:

وعينُ الـرضـا عن كـلّ عيب كليلةٌ ولكنَّ عينَ السُّخط تُبدي المَسـاويـا

«لسان الميزان» جـ ٣/ ٣٦٤.

(٢) عمر بن عبدالله، ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وهو ثقة في الحديث «تهذيب التهذيب» جـ ٧/ ٤٦٨، و «التحفة اللطيفة» جـ ٣.

ألا يــا قصرَ عــاصمَ لــو تُبينُ فـتسـتعــدي أميــر المـؤمـنيـنْ
فتــذكـر مــا لقيتَ من البـلايــا فقـد لاقيتَ حـزنــاً بعــد حين
بَنيتَ على طــريق النـاس طُــراً يسـبُّـك كـل ذي حـسب وديـن
ولم تــوضــع على غَمض فتخفى ولم تُـوضـعْ على سهـل ولين[1]
يُـرى فيك الـدخـانُ لغيـر شيءٍ فـقــد سمِّيت خـداعَ العيــون
قبيــحُ الـوجــه منعقــر الأواسي خـبيـث الخَـلْق مــطرورٌ بــطين

فلما سمع عاصم «مطرور بطين» اشترى قَصّة بألفي درهم، فطره بها، وقال شعراً، يدافع عن نفسه وقصره، ويمدحه ويبرز فضائله: فقال:

بَنَــوْا وبنيتُ واتـخــذوا قُـصـوراً فمــا ســاوَوْا بــذلـك مــا بنيت
بــنيـتُ على الـقــرار وجــانَبُــوه إلى رأس الشـواهق واسـتـويت[2]
عــلى أفعــالـهم وعــلى بنــاهــم علوتُ وكـان مجـداً قـد حـويت

## قصر سعيد بن العاص

هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية.. في صحبته خلاف[3]، تربى في حجر عمر بن الخطاب، وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، ثم عزل، وأقام بالمدينة ودافع عن عثمان يوم الدار، واعتزل فتنة الجمل وصفِّين. وتولى إمارة المدينة في عهد معاوية، وكان أحد الذين

---

(١) الغمض: المطمئن من الأرض.
(٢) يشبه هذا البيت قول طرفة بن العبد في معلقته:
ولـست بـحـلال الـتّـلاع مـخـافـةً ولكن متى يستـرفـد الـقـوم أرفـد
يقول: إنني لا أسكن الأماكن المرتفعة خوفاً من إكرام الناس.
(٣) قال ابن حجر في الإصابة: كان له يوم مات النبي تسع سنين. وروي أن امرأة جاءت إلى النبي فقالت: إني نذرت أن أعطي هذه البردة لأكرم العرب، فقال: أعطيها لهذا الغلام وهو واقف، يعني سعيداً. وفي المعارف ص ٦١٤، قتل أبوه يوم بدر وسعيد غلام، فكساه الرسول جبة، وبها سميت الثياب «السعيدية» ومن محاسن كلامه: «لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنيء فتهون عليه».

كتبوا المصحف أيام عثمان[١]. روى ابن حجر: أن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله» وكان كريماً جواداً، قتل أبوه يوم بدر كافراً، قتله عليّ بن أبي طالب.

ولذلك يروى أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص: مالي أراك معرضاً كأنك ترى أني قتلت أباك؟ ما أنا قتلته.. ولو قتلته ما اعتذرت من قتل مشرك، فقال سعيد: يا أمير المؤمنين، لو قتلته كنت على حق وكان على باطل، فسرّ ذلك عمر منه. توفي رحمه الله سنة ٥٧ هـ.

ومما قاله فيه الفرزدق:

ترى الغُرّ الجحاجح من قريش ... إذا ما الأمر في الحدثان عالا[٢]
قياماً ينظرون إلى سعيدٍ ... كأنهم يرون به هلالا

وكان سعيد قد بنى قصره بالعرصة من العقيق، واحتفر الآبار، وغرس النخل والبساتين قالوا: وكان نخلها أبكَر شيء بالمدينة.

وكان سعيد قد أوصى ابنه عمرو بن سعيد الأشدق[٣]، فقال له: إني أوصيك أن لا تنقلني من موضعي - يعني قصره - حتى أموت فيه، فإنه أحب المواضع إليَّ، وقليل لي من قومي في برّي بهم، أن يحملوني على رقابهم إلى موضع قبري»... فلما توفي حمله رجال من قريش على رقابهم حتى دفن بالبقيع في المدينة.

(١) انظر «فتح الباري» رقم (٣٥٠٦) باب: «نزل القرآن بلسان قريش».
(٢) الجحاجح: مفردها: الجحجاح، وهو السيد المسارع إلى المكارم. وحدثان الدهر: نوائبه، وإذا كانت بضم الحاء وسكون الدال، فهي جمع «حدث» وهو الأمر الذي ليس معتاداً. وقال: ثقل وغلب عليهم.
(٣) عمرو بن سعيد: لقب الأشدق لفصاحته، ولي إمارة المدينة في عهد يزيد، وكان يدّعي أن مروان بن الحكم جعل إليه ولاية العهد من بعد عبد الملك، فلما شخص عبد الملك لحرب مصعب، دخل عمرو دمشق، وأغلق بابها، فرجع إليه عبد الملك، وأعطاه الأمان ثم غدر به وقتله سنة ٧٠ هـ (الأعلام).

وقصر سعيد هذا هو الذي ذكره أبو قطيفة يحن إلى المدينة وهو في دمشق:

القصرُ فالنخلُ فالجماءُ بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جَيْرون

وقد أوصى سعيد ابنه عَمْراً، فقال له: إن منزلي هذا ليس من العُقد[1]، إنما هو منزل نزهة، فبعه من معاوية، واقض عني ديني ومواعيدي ولا تقبل من معاوية قضاء ديني.. فلما توفي ودفنه ابنه عمرو، قدم على معاوية في دمشق، فنعاه له أول الناس، فترحم عليه معاوية وتوجع لموته ثم قال: هل ترك من دين؟ قال: نعم فقال معاوية: هي عليّ، فقال عمرو: قد أمرني أن أقضي عنه من أمواله: فاشترى معاوية قصر سعيد بالعقيق، بثلاثمائة ألف درهم، فوزعها عمرو على أهل ديونه، وكانت بعض ديونه عطاء للناس، فإذا قصده طالب المعروف ولم يكن عنده مالٌ كتب له ديناً عليه.

قال ابن حجر: «وكان سعيد مشهوراً بالكرم والبر حتى كان إذا سأله السائل وليس عنده ما يعطيه كتب له بما يريد أن يعطيه مسطوراً، فلما مات كان عليه ثمانون ألف دينار».

ومن قصص كرمه ما رُوي أنه بينما كان عمرو بن سعيد يدفع ديون أبيه أتاه فتى من قريش يذكر حقاً له في كُراع[2] من أديم، بعشرين ألف درهم على سعيد بن العاص بخط مولى لسعيد، وبشهادة سعيد على نفسه، بخط سعيد بيده. فعرف عمرو خط المولى وخط أبيه، وأنكر أن يكون للفتى هذا المال، وإنما هو صعلوك من صعاليك قريش، فأرسل عمرو إلى مولى أبيه، فدفع إليه الصك، فلما قرأه المولى بكى، وقال: نعم، أعرف هذا الصك.

---

(١) العقد: جمع عُقدة، وهو ما يقتنى من العقار.

(٢) الكراع: هو من البقر والغنم: مستدق الساق.
والكراع: الطرف من كل شيء.
وكراع الأرض: ناحيتها، يقال امش في كراع الأرض: أي في طرفه.

دعاني مولاي وقال لي: «وهذا الفتى عنده على بابه، معه هذه القطعة من الأديم» اكتب، فكتبت بإملائه هذا الحق، فقال عمرو للفتى: وما سبب مالك يا فتى؟ قال: رأيته وهو معزول عن إمارة المدينة يمشي، فقمت فمشيت معه، حتى بلغ إلى باب داره، ثم وقفت، فقال: هل لك من حاجة؟ قلت: لا، إلا أنني رأيتك تمشي وحدك، فأحببت أن أصل جناحك فقال: وصلتك رحم يابن أخي، ثم قال: ابغني قطعة أديم، فأتيت خرازاً عند باب داره فأخذت منه هذه القطعة، فدعا مولاه هذا، فقال: اكتب، فكتب، وأملى عليه هذا الكتاب، وكتب فيها شهادته على نفسه، ثم دفعها إليّ وقال: يابن أخي ليس لك اليوم عندنا شيء، فخذ هذا الكتاب، فإذا أتانا شيء فأتنا به إن شاء الله. فمات رحمه الله قبل أن يصل إليه».

قال الأستاذ الأنصاري في وصف قصر سعيد: «فالقصر الوحيد الذي ما زالت أطلاله شاخصة للعيان هو قصر سعيد».

وقال الأستاذ العياشي: «إن أطلال هذا القصر ـ قصر سعيد لا تزال باقية رغم مرور ثلاثة عشر قرناً، والظاهر أن البناء كان مشبعاً بالنورة وهو اليوم داخل حيز بناء القصر الملكي بجزع سلطانة من الجرف».

وذكر السمهودي: أنه عندما آلت الدولة إلى بني العباس استقطع كثير بن العباس عرصة سعيد بن العاص، فأقطعه إياها أبو جعفر المنصور، فقال زياد بن عبيد الله الحارثي ـ أمير المدينة في عهد أبي جعفر ـ بخ بخ يا خنجر، صارت لك عرصة سعيد. قال: وما ينكر من ذلك؟ فأعجب منه دار معاوية بن أبي سفيان بالبلاط أصبحت لزياد ابن أم زياد.

## قصر عنبسة بن سعيد بن العاص[1]

يذكرون في خبر بناء قصر عنبسة، بالعقيق الصغير: أنه ركب هشام

(١) ترجم له ابن سعد في الطبقات جـ ٥/ ٢٣٩ وابن حجر في «تهذيب التهذيب» ولم =

ابن عبد الملك ومعه عنبسة بن سعيد، فمرّ بموضع قصر عنبسة بالعقيق، وهو جبل، فقال هشام: نعم موضع القصر يا أبا خلف، قد أقطعته لك. قال: يا أمير المؤمنين، ومن يقوى على ذلك، قال: فإني أعينك عليه بعشرين ألف دينار، فدفعها عنبسة إلى ابنه عبدالله وقال: إنك قد نزلت بين الأشياخ، فانظر كيف تبني.

قالوا: وكان أول من قارب بين القصور، ونزل إلى جنب عبدالله بن عامر، فلما فرغ من بناء القصر بنى ضفائره باللبن المطبوخ، فقال له أبوه: أما علمت أن متنزهي أهل المدينة يدقون عليه العظام، ابنه بالحجارة المطابقة، ففعل. وبعث إليه هشام بأربعين بختياً، فكان ينضح عليها الماء من مزارعه.

قال السمهودي: ولعل الموضع المعروف اليوم بالعنابس[1]، مزارع عنبسة هذا.

وذكر المصعب الزبيري في أخبار عنبسة: أنه بعد موت أبيه، دعا مروان بن الحكم في وليمة عرسه ـ فرأى مروان بزة حسنة، فسأله: أعليك دين؟ قال: نعم، فقال: ألا جعلت هذه البزة في وفاء دينك؟ وامتنع عن أكل طعامه. قال: فاهتممت بذلك حتى قضيت ديني واقتنيت المال بعد.. قال المصعب: وكان انقطاع عنبسة إلى الحجاج بن يوسف.

= يذكر له تاريخ ولادة أو وفاة. وفي نسب قريش ص ١٨١ (وهو موثق عند أهل الحديث) واتفقوا أنه كان يلازم الحجاج بن يوسف. وفي أخبار القضاة لوكيع ١٨٢ ـ ١٨٣، أنه كان يسكن دمشق في خلافة هشام بن عبد الملك. ولكن يبدو أن من عادة القرشيين أن يبنوا في كل إقليم قصراً أو قصوراً.. ولا بد أن أولاده قد سكنوا المدينة فبنو العاص عامة من سكان المدينة، ولم يرحل عامة الأمويين إلى الشام، بل بقي مقامهم الحجاز. ونقل السخاوي: لما قتل عبد الملك بن مروان أخاه عمراً، سيره وإخوته إلى المدينة (التحفة اللطيفة جـ ٣).

(١) العنابس: من أحياء المدينة، بالقرب من المساجد السبعة، بالحرة الغربية.

ويبدو أن عبدالله بن عنبسة هو الذي سكن هذا القصر، فقد رووا أنه بينما كان عبدالله بن عنبسة نائماً بالقصر، وعنده خصيّ له يذب عنه، وكان له غلام صُغْديٌّ[1] يسقيهم الماء، فدخل فرآه نائماً، فشد عليه بخنجر كان معه، وثار الخصيّ يحول بينهما، فقتل الخصي، وانتبه عبدالله واتقاه بوسادة، وتداعى عليه أهل القصر فأخذوه، فأمر به عبدالله، فقتل وصلب بفناء القصر.

وكان قصر عنبسة فيما اصطُفِي من أموال بني أمية في عهد بني العباس ثم رُدَّ على أبناء عنبسة.

وكان جعفر بن سليمان إذا كان والياً على المدينة نزله، وابتنى إليه أرباضاً وأسكنها حشمه، ثم تحول إلى العرصة فابتنى بها وسكنها.

## قصر خارجة[2]

وفي قصة بناء قصر خارجة يروي السمهودي: أن بني أمية كانوا يمنعون البناء في العرصة، وكانوا يضنون بها على الناس، وكان أمير المدينة لا يقطع فيها قطيعة إلا بإذن الخليفة، حتى خرج «خارجة» إلى الوليد بن عبد الملك فسأله أن يقطعه موضع قصر فيها، فكتب إلى عامله بالمدينة أن أقطعه موضع قصر فيها وألحقه بالسواد، أي الحرة. قال المجد: فلم يزل بأيديهم حتى صار بعد: ليحيى بن عبيد الله بن حسين بن علي بن حسين.

(١) صُغدى: منسوب إلى بلاد الصُّغد. قال ياقوت: هي كورة عجيبة قصبتها سمرقند. وقيل: هما صغدان، صغد سمرقند وصغد بخارى. وهي من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار متجاوبة الأطيار.

(٢) في كتاب «وفاء الوفا» و«معالم طابة» خارجة بن حمزة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن العوام «ورجعت إلى نسب قريش، والجمهرة: فاتفقا على أن عبد الرحمن له ولد اسمه «عبد الله» قتل مع عثمان يوم الدار. ولم يذكرا ولدا لعبد الله اسمه حمزة، وله ولد اسمه «خارجة» قتل مع ابن الزبير في مكة».

## قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان

وهو قصر في سفح جماء تُضارع، وقال فيه الشاعر:

يا قصَر عنبسةَ الذي بالرائع لا زلتَ تؤهل بالحيا المتتابع[1]
فلقد بُنيت على الوطاء وبنّيتْ تلك القصورُ على ربا ورفائع
يا رُبَّ نعمةِ ليلةٍ قد بتّها بفنائك الحسن المنيف الواسع

وقال آخر يهجو القصر وصاحبه:

خذَل ابنُ عنبسة بن عمرو وعده وكذبتَ حين تقولُ ما لم تفعل
وبنى قُصيراً بالعقيق ملعّناً لا بالكريم ولا جميلِ المدخل

## قصر المُغيرة بن أبي العاص

روى الزبير بن بكار، عن المغيرة صاحب القصر أنه قال: لما أردت أن أبني قصراً بالعقيق. قلت: أبنيه بيتين، ثم مضيت للنزهة العشرة الأيام، فدخلت عليّ مولاة لي فقالت: يا أبا هاشم، أردت بناء قصر بالعقيق؟ فقلت لها: نعم. فقالت: ابنِه على أنه لم يبنِ بالعقيق مغيريّ غيرك، فبنيته هذا البناء، وغرمت فيه غرماً كبيراً.

قال: وهو القصر الذي يعرف بقصر بنت المرازقي.

وعن عبد الله بن ذكوان[2] قال: كانت بنو أمية تُجري في الديوان رزقاً على من يقوم على حوض مروان بن الحكم بالعقيق في مصلحته وفيما يصلح بئر المغيرة[3]، وبئرُ المغيرة بن أبي العاص، من آبار العقيق، بقرب بئر عروة[4].

(١) رائع: يقال فرس رائع: أي: جواد. ونقل السمهودي والمجد عن ياقوت أنه فِناء من أفنية المدينة.

(٢) عبدالله بن ذكوان: هناك رجلان من أهل المدينة، بهذا الاسم، ولعل الراوي هو أبو الزناد، الفقيه المحدث، حيث كان يعمل في ديوان المدينة أيام هشام بن عبد الملك، توفي سنة ١٣٢ هـ. (التحفة اللطيفة).

(٣) «وفاء الوفا» ص ١٠٥٠.

(٤) المغانم ص ١٢٣ حاشية رقم ٣.

## الفن المعماري في قصور العقيق

لم يصل إلينا من قصور العقيق إلا قليل من الأطلال البالية، رغم كثرة الأموال التي بذلت في بنائها، ورغم المنافسة الشديدة التي حصلت بين أصحاب القصور في التشييد والتزيين، ليكون كل قصر أبهى وأجمل من قصور الآخرين.

فما الأسباب التي أدت إلى خراب هذه القصور؟

ليس أمامي دراسة سابقة أعتمد عليها للإجابة عن هذا السؤال، ولكنني نظرت فاهتديت إلى جواب، لا أدعي أنه الجواب القاطع، ولكنه جواب مبني على اجتهاد قد يصيب وقد يخطيء، ولعل من يأتي بعدي يقدم ما هو أفضل مما قدمت.

في البداية، قمت بجولة في الأمصار العربية في المشرق العربي، وكانت جولة محددة التاريخ بالعصر الأموي، وهو العصر الذي ازدهر فيه عمران وادي العقيق... وقد نظمت قصور العقيق مع غيرها من المباني التي شيدت في العصر الأموي، في سلك واحد، حيث تجمع بينها الخصائص الموحدة.

ثم قمت بجولة أخرى في العصر الحديث، وتجولت في الأماكن التي كانت عامرة بقصورها وسرواتها، فلم أجد مما كان أثراً أو عيناً.

فتيقنت حينئذ أن ما حل بقصور العقيق، حل بما بناه العرب في الأقاليم الأخرى.

فأنت عندما تقوم بجولة في الأمصار الإسلامية في المشرق العربي، لا تكاد تقع عيناك على آثار لها شأن، تضاهي ما خلفه الرومان ومن سبقهم من الأمم التي حكمت بلاد الشام.

في الشام: حيث الخلافة الأموية، أين القصور، أو آثار القصور التي كان يسكنها الخلفاء الأمويون؟ أما في دمشق فلا يكاد يعرف المكان الذي كان يسكن الخلفاء ولا يأخذك الدليل السياحي إلى أطلال من أطلالهم. وفي منطقة بلاد الشام نسمع ونقرأ عن قصر «مشتى» الذي يقع في غور البحر الميت، ولكنه أنقاض قصر رجح المؤرخون أنه من بنايات الدولة الأموية.

أما في العراق، حيث كان الحجاج بن يوسف الثقفي أوسع أمراء الأقاليم شهرة فلا نقرأ عن آثار خالدة في البناء من عهده.

وفي مصر حيث كان عبد العزيز بن مروان، وجاء بعده الكثير من أمراء العرب لم يبق لنا شيء من مساكنهم.

ولكننا مع ذلك نرى الآثار الشاخصة، والمباني التي تقاوم عوامل الهدم من العصور السابقة للعصر الإسلامي.. ونجد مباني ثابتة بنيت في العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي والتركي.

نجد في بلاد الشام الكنائس والأديرة الرومانية، وفي بادية الشام آثار تدمر شاخصة في الصحراء، ونجد آثار البتراء في صحراء الأردن. ونجد المدرّج الروماني في عمان الأردن وبصرى الشام. وغيرها كثير من الآثار، بقيت حتى وقتنا الحاضر، رغم أن الذين بنوها لم يكونوا أكثر غنى وقوة من خلفاء الدولة الأموية، وكان للدولة الأموية من الاتساع ما لم يكن لدولة القياصرة أو الأكاسرة.

والآثار الإسلامية التي وصلتنا من بعد العصر الأموي في البلاد العربية كان منشئوها يمتلكون جزءاً من الدولة الإسلامية، ولم يكن لهم من القدرات ما للأمويين.

إذن نستطيع أن نقول: إن خراب قصور العقيق ليس أمراً غريباً، لأن المباني التي عاصرتها في الأقاليم الأخرى قد انمحت أيضاً.

فلماذا انمحت آثار المباني التي بناها العرب في العصر الأموي، وبقيت شاخصة آثار المباني التي بنيت قبل الإسلام؟ والمباني التي أقامها الأيوبيون والمماليك والأتراك بعد العصر الأموي؟

قد يقال: إن عهد الدولة الأموية لم يكن عهد استقرار سياسي، فكانت الدولة مشغولة في حرب الخارجين عليها أو في حروب من أجل متابعة الفتوح.. وانعدام الاستقرار لا يترك للحاكم وقتاً للتفكير في المباني الفخمة، وعندما حصل الاستقرار في عهد الوليد بن عبد الملك، حاول إيجاد المباني التي تخلد اسمه فأقام الجامع الأموي، ووسع المسجد النبوي في المدينة المنورة..

ولكن الفرق شاسع بين بناء الجامع الأموي، أو ما بقي من بناء الجامع الأموي، وما بقي من توسعة المسجد النبوي في عهد الوليد، رغم أن المقام يقضي بأن يبذل في بناء المسجد النبوي أكثر مما يبذل في إقامة مسجد دمشق.

في مسجد المدينة لا يكاد يعرف أحد ماذا بقي مما بني في عهد الوليد بن عبد الملك، أما في مسجد دمشق، فالبناء موجود كما كان في أيام الوليد.

والسبب في هذا واضح: وهو أن بناء مسجد دمشق كان في أصله كنيسة، بل هو معبد سابق وحول إلى كنيسة، ثم حول إلى مسجد مع إجراء التغييرات اللازمة ليكون مسجداً، فهو إذن ليس بناء جديداً كما

كان الشأن في بناء مسجد المدينة أو توسعته. . (انظر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ ١).

ولكنني أرى أن من أسباب قلة المباني الخالدة أن العرب رغم تملكهم الأمصار واقتنائهم الأموال، كانوا يميلون إلى الاعتدال في البناء، لأنهم ليسوا بعيدي عهد بوجودهم في الجزيرة العربية، ولم تكن تشدهم مظاهر البذخ والتطاول في البنيان. وعندما دخلوا في الإسلام ناسبهم ما فيه من روح الاعتدال، أو جاء الإسلام مقراً لما عندهم من بساطة العيش، ثم دعا الإسلام إلى عدم التطاول في البنيان.

ويظهر للمتأمل في التاريخ أن المباني القديمة التي بقيت جاثمة على مرّ العصور قد بذل فيها جهد كبير يحتاج إلى عدد كبير من العمال. ولا بد للحاكم الذي بنى هذه المباني أنه قد سخر فيها شعبه لهذا العمل. .

أما العرب المسلمون، فإنهم رغم كثرة ما عندهم من العبيد بعد الفتح، إلا أنهم كانوا أكثر رأفة بالعبيد من الروم والفرس، وكانت الأمم السابقة تستعبد شعوبها وتجبرهم على أعمال فوق طاقتهم حتى ولو هلكوا في سبيل ذلك. ولم يكن هذا من عادة العرب ولا يرضى عنه الإسلام.

وكان العرب يميلون إلى تخليد ذكرهم بالأعمال الصالحة في خدمة المجتمع، كالكرم والنجدة وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم، ويحبذون ذكر محامدهم في قصائد الشعراء، وعندما جاء الإسلام، حقّر من قيمة الدنيا وجعل الخلود في الآخرة وخير الأعمال التي تخلد صاحبها في الدنيا وتدر عليه الثواب المستمر الصدقة الجارية، والعلم النافع، والولد الصالح[1].

---

(١) معنى حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». أخرجه مسلم في الوصية، وأبو داود في الوصايا، والترمذي في الأحكام.

أما الأمم الأخرى، فتميل إلى تخليد اسمها بالمباني الشاهقة والقبور الثابتة والهياكل العظيمة، ولذلك سخروا شعوبهم في إقامة هذه المعالم. وعندما ضعف العنصر العربي، وخبت الروح العربية، وسيطر على البلاد العربية سلاطين من غير العرب: الأيوبيون، والمماليك، والترك. أصبحنا نشاهد الأبنية الضخمة والقلاع العظيمة والمساجد المتينة البناء، لأنهم كانوا يبنونها لتخليد ذكرهم على عادة العجم في بلادهم.

وإنك لتنظر في المساجد والمدارس والقلاع التي بناها السلاطين العجم، فتندهش من قوة بنائها وثباتها، وتسأل نفسك كيف استطاعوا بناء هذه الشوامخ الثابتة رغم قلة الإمكانات الآلية أو انعدامها، إذا قيست بالعصر الحاضر. . حتى يعجز المعماريون في العصر الحديث عن بناء أمثالها.

وقد عقد ابن خلدون فصولاً في مقدمته[1] في بيان سبب خراب العمران عند العرب وخلوده عند الأمم الأخرى، فقال: إن العرب أمة بدوية بعيدة عن الصنائع، ولم ينفسح الأمد لتستوفي رسوم الحضارة، وإنهم استغنوا بما وجدوا من مباني غيرهم. وأيضاً كان الدين أول الأمر مانعاً من المغالاة في البنيان والإسراف فيه من غير القصد، كما عهد لهم عمر حين استأذنوه في بناء الكوفة بالحجارة، وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل، فقال: افعلوا ولا يزيدنّ أحد على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة. . فلما بعد العهد بالدين، والتحرج في أمثال هذه المقاصد، وغلبت طبيعة الملك والترف، واستخدم العرب أمة الفرس، وأخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعتهم إليها أحوال الدعة والترف، فحينئذ شيدوا المباني والمصانع وكان

---

(١) مقدمة ابن خلدون: الفصول: فصل في أن المباني والمصانع في الملة الإسلامية قليلة بالنسبة إلى قدرتها وإلى من كان قبلها من الدول، وفصل في أن المباني التي كانت تختطها العرب يسرع إليها الخراب إلا في الأقل.

عهد ذلك قريباً بانقراض الدولة، ولم ينفسح الأمد لكثرة البناء إلا قليلاً.

وليس كذلك غيرهم من الأمم، فالفرس طالت مدتهم آلافاً من السنين، وكذلك القبط والروم، وكذلك العرب الأولى من عاد وثمود والعمالقة والتبابعة، طالت آمادهم ورسخت الصنائع فيهم، فكانت مبانيهم وهياكلهم أكثر عدداً وأبقى على الأيام أثراً».

وقصور العقيق أهلها من العرب، وبنيت في مهد العرب، وينطبق على أهلها، ما ينطبق على العرب.

بل إن لقصور العقيق أحوالاً خاصة بها زائدة عما يقال عن أحوال البناء عند العرب في الأقاليم الأخرى.

فالعرب في الأقاليم الأخرى: الشام، ومصر، والعراق، يحكمون أمماً لهم حضارة في البناء، ويمكنهم الاستعانة بهم في هندسة العمارة، وأدوات البناء متوفرة أكثر مما تتوفر في المدينة، وعندهم نماذج يحتذون بها.

أما في المدينة فإنهم يبنون على غير مثال، وليس عندهم المعماريون الماهرون والمهندسون الحاذقون.. فقد كانوا يستخدمون العبيد في أعمال البناء، ولكن هؤلاء العبيد وإن كانوا من العجم، إلا أنهم ليسوا من أهل صناعة البناء.

وهناك سبب آخر في خراب قصور العقيق، نأخذه مما كتبه ابن خلدون في فصل «إن المباني التي كانت تختطها العرب يسرع إليها الخراب إلا في الأقل»، وفي ذلك يقول: «والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع فلا تكون المباني وثيقة في تشييدها. وله: ـ والله أعلم ـ وجه آخر، وهو أمس به، وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن: في المكان، وطيب الهواء والمياه والمزارع، والمراعي، فإنه بالتفاوت في هذه، تتفاوت جودة المصر ورداءته... والعرب بمعزل

عن هذا.. وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها إلا مراعي إبلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن، فكانت بعيدة عن الموضع الطبيعي للمدن، ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم.

فقد كانت مواطئها غير طبيعية، ولم تكن وسط الأمم فيعمرها الناس فلأول وهلة من انحلال أمرهم وذهاب عصبيتهم التي كانت سياجاً لها، أتى عليها الخراب كأن لم تكن»[١].

ويصدق على مباني العقيق الكثير مما قاله ابن خلدون، فهي بعيدة عن مساكن الناس في المدينة، وليس بجوارها المزارع التي تمد أهلها بالغذاء، والمياه فيها تحتاج إلى العمال لاستخراجها ونقلها، فالسكنى فيها تحتاج إلى نفقة كبيرة لا يقدر عليها إلا الأثرياء، ولذلك عندما هجرها أهلها عند سقوط الدولة الأموية، لم يحاول الناس الانتقال إليها أو عمران غيرها، فأسرع إليها الخراب لأنها أصبحت مهجورة لا تجد العناية، لتقاوم عوامل الهدم من رياح وأمطار وحرارة، وحيوانات سائبة ووحوش ضارية، وأيد بشرية عابثة.

هل يمكن أن نقول أخيراً: قد يكون العباسيون هدموا قصور الأمويين في العقيق؟

هذا احتمال ضعيف، لأننا لم نقرأ في تاريخ المدينة أن العباسيين

---

(١) كثيراً ما يُتهم ابن خلدون بأنه يكره العرب لأن له رأياً في موقف العرب ـ البداة ـ من البناء. ونحن نقول: قد تصح آراء ابن خلدون وقد يجانبها الصواب، لأنه اجتهد في تفسير ظواهر العمران البشري. ولكننا لا نوافق على اتهامه بكره العرب. لأنه عربي حضرمي وفقيه مالكي، ومثله لا يكون شعوبياً لأن الشعوبية عقيدة المنافقين من العجم. قال عليه الصلاة والسلام: «حب العرب إيمان وبغضهم نفاق» رواه الحاكم. وقال عليه السلام: «يا سلمانُ لا تبغضني فتفارق دينك» قال: كيف؟ قال: «تبغض العرب فتبغضني» رواه الإمام أحمد والترمذي.

هدموا بيوتاً، والذي نعرفه أن العباسيين قتلوا الأمويين، ونعرف أيضاً أن بعض أمراء المدينة في العصر العباسي قد سكنوا بعض قصور العقيق التي بناها الأمويون، وأن بعض دور الأمويـين أُهديت إلى المقربين من العباسيين.

## وصف بعض مباني العقيق

لم تنقل إلينا كتب تاريخ المدينة وصفاً كاملاً لقصور العقيق، وإنما وجدت بعض العبارات القليلة، لا تعطي صورة كاملة عن طريقة البناء وهندسته ومادته.

ومن ذلك ما نقله السمهودي عن قصر عروة، فقال: وكان بناه جنابذ أي ـ جمع جنبذ، وهو ما ارتفع واستدار كالقبة.

وقال في مكان آخر: قال عروة: «جزعوا من جنابذ بنيتها، والله لأبنينه بناء لا يبلغونه إلا بشق الأنفس».

وهجا بعضهم قصر عاصم فقال:

قبيح الوجه منعقر الأواسي ... خبيث الوجه مطرورٌ بطين

فاشترى عاصم قَصّة[1]، فطرّه بها، وغرم فيه ألفي درهم.

وفي خبر قصر عنبسة بن سعيد، قال: «فلما فرغ من القصر، بنى ضفائره بالآجر المطبق، فقال لابنه عبدالله ـ وكان وكيله في البناء ـ أما علمت أن متنزهي أهل المدينة يدقون عليه العظام، ابنه بالحجارة المطابقة، ففعل».

وفي العصر الحديث، قام المهتمون بآثار المدينة بالتنقيب عن

(١) القصة، بفتح القاف وكسرها: الجصّ، لغة حجازية. وقد قصص داره أي جصصها، وفي الحديث: نهى رسول الله عن تقصيص القبور، وهو بناؤها بالقصة، والتقصيص: هو التجصيص لأن الجص يقال له: القصة. (اللسان).

الآثار، فوجدوا بعض آثار العقيق قبل أن تصل إليها العمارة الحديثة فتقضي عليها، وقدموا وصفاً لبعض ما وجدوه. ومن أشهر المؤلفين في آثار المدينة الأستاذ المرحوم عبد القدوس الأنصاري، وله كتاب «آثار المدينة المنورة» والأستاذ إبراهيم العياشي وله كتاب «المدينة بين الماضي والحاضر» وأنقل هنا بعض ما كتبه المؤلفان في وصف بعض عمارة قصور العقيق، وملحقات بعض القصور.

## قصر سعيد بن العاص

قال الأستاذ الأنصاري: يقوم هذا القصر في وسط العرصة الصغرى من العقيق، وبشرقيه على مسافة قريبة منه بستان، وطوله نحو ٣٦ متراً وعرضه نحو ٢٧ متراً وارتفاع أطلاله الباقية ٩ أمتار، وسمك جدرانه ٧٦ سنتيمتراً وبناؤه بالحجارة المتوسطة الحجم، وبالجص، وحجارته غير منحوتة، ولا أثر فيها للكتابة، وإنما توجد في بعض أروقته ونوافذه نقوش على الجص، وزخرفة بالطوب المجصص.

والقصر مطلي بالجص من داخله وخارجه، ولمتانة بنائه وتجصيصه تأثير كبير في بقائه إلى هذا اليوم، مع اندثار ما بالعقيق من سائر القصور.

وفي جنوب القصر مبسطة «دكة» متداعية لعلها كانت معدة للجلوس والسمر في ليالي القمر وفي العشيات والبكر.

ويبدو أن بناء هذه المصطبة بفناء القصور - في العهد الأموي كان طرازاً تقليدياً متبعاً في عمارة القصور المماثلة. ونحن نرى مثل هذه المصطبة شاخصة حتى اليوم للمتأمل في الجنوب الشرقي لقصر عاصم بن عمر بن عثمان.

وبمقربة منه جنوباً وشمالاً ترى سلسلة أكوام يعلوها رمل الوادي

الأحمر، وهي آثار دور، قد تكون الدور المسماة بالقرائن التي كانت لبني سعد، على ما رواه صاحب الأغاني[1].

وقال: وآثار القصر لا زالت شاخصة داخل سور قصر أمير المدينة بالعقيق، ونقل البتنوني[2] في رحلته في وصف هذا القصر: وكان هذا القصر في أيام صاحبه آية في جماله وفخامته، بل كان آية من آيات القرن الأول الهجري وأعجوبة من عجائبه، حتى فضله الشاعر على أبواب جيرون (دمشق) التي كانت في ذلك العهد عاصمة الخلافة، فقال أبو قطيفة.

القصرُ فالنخلُ فالجماءُ بينهما    أشهى إلى النفس من أبواب جَيْرون

وكتب الأستاذ إبراهيم العياشي يقول: «إن أطلال القصر ـ قصر سعيد ـ لا تزال باقية رغم مرور ثلاثة عشر قرناً ويزيد، والظاهر أن البناء كان مشبعاً بالنورة مما جعله يقابل العواصف بإباء، وهو اليوم في داخل حيز بناء القصر الملكي بجزع سلطانة من الجرف.

وكان نخل سعيد بالعَرْصة لا يطير حمامها، وكانت فيها بئار ثلاث «الشمردلية» وأعتقد أنها ما يعرف اليوم «سلطانة» والتي أسفل منها تدعى «الواسطية» وهي بجانب قصر سعيد في وسط حيز القصر الملكي. وبئر ثالثة شمال سور القصر الملكي تسمى «الربخية» وهي وسابقتها أطيب ماء في العقيق بعد سقاية بئر عروة.

وقد اشترى معاوية القصر بعد موت سعيد: يقال اشترى القصر بألف ألف، والنخل بألف ألف، والزرع بألف ألف، ولما انقضى عهد الأمويين استقطع خنجر «كثير بن العباس بن محمد» عرصة سعيد بن العاص، فأقطعها له أبو جعفر المنصور.

---

(١) الجزء الأول من الأغاني: أخبار أبي قطيفة، وقد تشوق إلى المدينة فقال:

ألا ليت شعري هل تغيّر بعدنا    جَبوب المصلى أم كعهدي القرائن

(٢) محمد لبيب البتنوني له «الرحلة الحجازية» متوفى سنة ١٩٣٨ م. مصري.

## سد عاصم

قال الأستاذ الأنصاري في وصفه: وقد أقيم هذا السدّ كسائر السدود القديمة في هذه البلاد، ليمنع فيضان المياه عقب هطول الأمطار الغزيرة إلى الخلاء أو إلى المنازل، وليحجز الماء فيه لسقيا صاحب القصر، وربما لمن كانوا بجواره وربما لحديقته وحدائقهم.

وهذا السدّ مبني بحجر أسود غير منحوت «دبش» وهو مجصص وسميك يبلغ سمكه نحو مترين ونصف المتر وطوله نحو ٣٦ متراً وتعريض الجدران كان طرازاً تقليدياً آنذاك.

وقد أقيم هذا السد بين فتحتي جبل تضارع المنفرجتين، ليستقبل ما يهبط أثناء الأمطار وبعدها من مياه متدفقة، وليحتفظ بها أطول مدة ممكنة.

وما تبقى من أطلاله مهترىء وإن كان شاخصاً للعيان كما كان. وهو مستقيم يمتد من ناحية الجنوب إلى الشمال، ويليه إلى جهة الجبل أساس مبني لا أدري هل كان دكة أو منزلقاً لمياه الأمطار، وأرجح أنه دكة للسمر.

وما هو ظاهر من هذا المبنى يتمثل في أسس ثلاثة جدران وقد بنيت هذه الأسس بالحجارة السود غير المنحوتة المأخوذة من الجبل ذاته، وبالجص، وأحد هذه الجدران يتجه من الشرق إلى الغرب والآخر من الشمال إلى الجنوب، وهذا الجزء من السدّ قد اخترقه السيل وأتلفه. أما الجدار الثالث، فيتجه من الغرب إلى الشرق ويبدو أنه شبه سليم.

وقد لاحظت في غرب السدّ من حيث يأتيه السيل المنحدر إليه من الجبل أنه قد مهد لهذا السيل بمجرى خاص ليسهل عليه النزول إلى السد أو ليصل إليه ماء المطر من الأعالي صافياً بقدر الإمكان.

وباب مياه السد الذي ينحدر منه عند اللزوم لا بدّ أنه يقع في

الناحية الجنوبية من السد لأن ذلك أمر طبيعي بالنسبة لقصر عاصم. وقد بقي هذا السد حتى يومنا هذا بهيكله العام يقارع السيول والزمن، ويقاوم عوامل الطبيعة القاسية، ولا يبدو لي أنه رمم كثيراً بعد ازدهار عهد العقيق مما يدل على متانة بنائه ودقة هندسته[1].

## قصر عاصم

يقوم القصر إلى ناحية الجنوب ببعض انحراف إلى الشمال بالنسبة للسد، وبينهما نحو ثمانين متراً.

أما طول بناء القصر فهو ثلاثون متراً، وعرضه نحو ثلاثين متراً، فهو مربع تماماً، وطراز تقسيماته عربي عادي: غرف متجاورة ما بين صغيرة وكبيرة وما يبدو لي أنه مطبخ أو غرفة الخدم.

وهناك دكة للسمر، لا تزال أطلالها ماثلة للعيان، وهي مربعة الشكل تقريباً، وعالية عن الأرض حتى اليوم[1] وهي مماثلة لدكة قصر سعيد بن العاص، في الوضع والشكل والموضع. فكلتاهما تقع في جنوب القصر العائدة إليه. وأمام دكة قصر عاصم ما يشبه غرفتين، وبجانب هاتين الغرفتين ربوة مستديرة، يخيل إليّ أنها طلل باقٍ من مبنى لعله كان ملحقاً بالقصر، للخيل وما أشبه.

وقصر عاصم في تقسيماته الداخلية، والخارجية، مثل قصر سعيد ابن العاص، فقد بنيا في هذه المنطقة في عصر متقارب، وفي أفياء الدولة الأموية، وكلاهما أمويان.

والقصران معاً يعطياننا فكرة محددة عن طراز بناء قصور ذلك العهد، بصفة عامة، وعن طراز بناء القصور في عهدهما بصفة خاصة.

---

(١) «آثار المدينة» وكانت طبعته الأولى سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م.

ويؤخذ من الهجاء الذي قيل في قصر عاصم بعض المعلومات الخاصة بالقصر، فقد هجاه عبدالله الجعفري وعمر بن عبدالله بن عروة، وفي هذا الشعر تحديد للمكان، ومادة البناء:

فالقصر مشيد على مكان حَزْن مرتفع من الحجارة، ولم يُبْن على مكان سهل لين، فيصعب الوصول إليه، وهذا من علامات البخل عند العرب فقال الهجاء:

بُنيتَ على طـريق النـاس طُـراً   يَسُـبّك كـلُّ ذي حسب وديـن
ولم تـوضَـع على غَمْض فتخفى   ولم تُـوضع على سهـلٍ ولين[1]

ويحدثنا الشعر أن القصر لم يبن لأول عهده بالحجارة والجص شأن روائع القصور في العقيق، بل بني بالطين فقال:

قبيـحُ الـوجـهِ منعقـرُ الأواسي   خَـبيـثُ الخَـلْق مـطرورٌ بِـطين

وقد غضب عاصم من هذا الهجاء، فاضطر إلى إصلاح معالمه وتحسين منظره في أنظار المجتمع، فاشترى قَصّة فطرّه بها.

ولم يصف الأثريون غير هذين القصـرين، قصر سعيـد، وقصر عاصم وسدّه، وقد أتى العمران الجديد وتعبيد الطرق على ما تبقى من آثار العقيق. وقدم لنا الأستاذ العياشي بعض المعلومات عن بعض قصور العقيق، ومنها:

أنه قاس قصر الزبير بن العوام بالغابة، فوجد ضلع البيت ستة وعشرين متراً.

وعن قصر عروة بن الزبير، قال: والظاهر أن البناء الأعلى من القصر كان من الطوب الأحمر، وقد وجدت عدداً من هذا الآجر.

---

(١) الغمض: المطئمن من الأرض.

ومن آثار قصر المراجل وجد كثيراً من الطوب الأحمر القوي، وهو في طول عشرين سنتيمتراً في عرض مثلها.

وعن قصر هشام بن إسماعيل، قال: «وجدت جدرانه من اللبن وأساساتها من الحجر».

# الفصل السادس

## «العقيق بين الضلوع»

١ ـ على العقيق اجتمعنا.
٢ ـ العقيق في الشعر العربي.
أ ـ شعر الحنين إلى الديار.
ب ـ شعر الحنين إلى المدينة والحجاز.
جـ ـ أثر العقيق على الشعر.
د ـ العقيق في الشعر العربي.

# على العقيق اجتمعنا

على العقيق اجتمعنا    نحن وسود العيون
ما بال مجنون ليلى    قد جن بعض جنوني

... هذا مقطع من أغنية شعبية تجمع بين الفصيح والعامي من الكلام كنت أسمع أحد المغنين القدماء يشدو بها فكانت تحدث في النفس أثراً ونشوة لا أعلم مصدرهما. ولكن اسم العقيق كان يحرك ذكريات وصوراً وكأنني عشتها. عند ذلك عرفت أن التاريخ هو الذي يهزني، وصور المجد هي التي تبهرني، والسحر القديم هو الذي هزَّ مشاعري.

فقد كان وادي العقيق في العصر الأموي أكثر مواضع المدينة حظاً من حياة المرح واللهو البريء. وكيف لا يكون كذلك وهو وادي المدينة البهيج ومتنزه أهلها ومزار العديد من طلاب المتعة الحلال الذين كانوا يهرعون إليه بأفواجهم حين يسمعون خبر جريان مياهه يتمتعون بمنظره الجميل. فتعقد على ضفافه حلقات السمر وتنشد الأشعار. وتبرز مواكب الأشراف تحيط بهم الحاشية والجواري.

وتأصلت للعقيق مكانة خاصة في حياة المدينة الاجتماعية والأدبية، فكأنه قطعة من الدنيا، ودعتها الآلام ولفتها الأحلام الحلوة، وحرستها روح المرح وتدفقت بين جنباتها قرائح الشعراء، فتركت في نفوس أهلها

وزوارها أثراً لا يعدله أثر أي مكان آخر من أماكن الجمال[1].

ولم يكن العقيق مقصوراً على سكانه، ولكنه متنزه أهل المدينة، يلتقي الأحبة على ضفافه، ويجتمع الفقهاء في أفيائه، وتجود قرائح الشعراء في مرابعه. يؤمه العافون أضيافاً، ويقصده الناس طلاب متعة، فهو مائدة عامرة ومنهل كل طالب.

مواسمه دائمة وإقبال الناس عليه لا ينقطع... إن كان الوقت صيفاً فهم يخرجون إليه للاستمتاع بهوائه العليل، وأمسياته البليلة، ويقطفون من ثماره المتنوعة ما شاؤوا لأنها لم تغرس إلا للجود، ولأن أهلها من أجواد الناس، فقد رُوي أن عروة بن الزبير إذا كان موسم إغلال البستان هدم جدار بستانه ليدخل الناس ثم يعود لبنائه بعد انتهاء موسم الثمار.

والعقيق في الربيع: مرعى ومتنزه، حيث كانت تسمق الأشجار وتنبت الأعشاب وتتفتح الأزهار.

قالوا: وكان عمر بن الخطاب قد كتب إلى ولاته أن يأمروا الناس بالخروج إلى الصحارى في أيام الربيع، لينظروا إلى آثار رحمة الله كيف يُحيي الأرض بعد موتها.

والعقيق متبدّى للناس ومتصيد، يخرج إليه الناس لقضاء أوقات ممتعة في باديته ويصطادون من ظبائه وطيوره في مناطقه الخارجة عن حدود الحرم.

ومن أجمل مواسم العقيق، موسم الأمطار، حيث يسيل وادي العقيق، فيتداعى الناس إلى الوادي وقد امتلأت نفوسهم بهجة، ويخرج الناس على جميع طبقاتهم ولا يقبلون على وادٍ آخر كما يقبلون على

---

(١) الأحوص الأنصاري: تأليف محمد علي سعد.

وادي العقيق، وما قرأت في كتب الأخبار إقبال النـاس على وادٍ وخروجهم إليه كما يخرجون إلى سيل العقيق، فهناك وادي قناة، ووادي بُطحان، وهما من أكبر أودية المدينة، ويأتي إليهما الماء كما يأتي إلى العقيق، ولكن العقيق كانت منزلته في قلوب الناس أكبر، وتشوقهم إلى مسيله أكثر، وابتهاجهم برؤيته أشد.

وقد تأصلت هـذه العادة في نفـوسهم منذ قـدم المسلمون إلى المدينة، وسمعوا أن الرسول عليه الصلاة والسلام يبارك وادي العقيق، ويمدح هواءه ويستحسن سكناه.

ورأينا خروج المسلمين إلى سيل العقيق منذ الصدر الأول، وقرأنا عن خروج عمر بن الخطاب رضي الله عنه على فرس عُرْي لينظر إلى سيل العقيق ويمتع ناظريه بمائه، ويشكر ربه على نعمائه، رغم انشغال عمر بتدبير أمور الرعية وعزوفه عن مواطن اللهو، وزهده في متاع الحياة الدنيا..

ولكنها نعمة الله يجب على المسلم أن يشكرها، وأي نعمة في الدنيا أجل من نعمة الماء والمطر يحيا عليها الزرع والضرع، ويقوى الناس على عبادة ربهم؟ وقرأنا عن خروج عبد الرحمن بن عوف إلى العقيق وقد أردف جابر بن عبد الله على حماره، رغبة في إمتاع النفس بجمال خلق الله.

وعندما فُتحت كنـوز الدنيـا أمام المسلمين، وأورثهم الله مُلْكي كسرى وقيصر، وانهالت الثروات على المدينة، تولّد في نفوسهم الميل إلى أنواع المتع الحلال، فكان وادي العقيق من خيـر المواطن التي يقصدونها لقضاء أوقات متعهم.

وقد زخرت كتب التاريخ والأدب والقصص بالكثير من أخبار أهل المدينة، في أيام مواسم العقيق، نقتطف منها، ما يفي بالحاجة، مما

يكون له دلالة على ما نقصد إليه من تاريخ وادي العقيق. وشدة علوقه بنفوس أهـل المدينة.

من ذلك ما رواه أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة الشاعر نصيب[١] قال: خرج النصيب، وكثيّر، والأحوص، غِبّ يوم أمطرت فيه السماء، فقال لهم صديق: هل لكم في أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمتع فيه أبصارنا؟ فقالوا: نعم. فركبوا أفضـل ما يقـدرون عليه من الدواب ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب، وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق، فجعلوا يتصفحون ويرون بعض ما يشتهون، حتى رفع لهم سواد عظيم فأموه حتى أتوه، فإذا وصائف ورجال من المـوالي، ونساء بارزات، فسألنهم أن ينزلوا فاستحيوْا أن يجيبوهن من أول وهلة، فقالوا: لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا، فحلّفْنهم أن يرجعوا إليهن، ففعلوا وأتوهن، فسألنهم النزول، فنزلـوا، ودخلت امرأة من النسـاء، فاستأذنت لهم، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت: ادخلوا، فدخلوا وجلسوا على كراسي موضوعة، فقالت امرأة: إن أحببتم أن ندعو بصبي لنا فنصيحه ونعرك[٢] أذنه، فعلنا، وإن شئتم بدأنا بالغداء..

فقالوا: بل تدْعين بالصبي ولن يفوتنا الغداء، فأومأت بيدها إلى بعض الخدم، فلم يكن إلا، كلا، ولا[٣] حتى جاءت جارية بعود ثم غنت من قول النصيب:

---

(١) نصيب بن رباح: مولى عبد العزيز بن مروان، كان عبداً أسود، وكان له بنات من لونه، امتنع من تزويجهن للموالي، ولم يتزوجن العرب، فأصبحت مضرب المثل، فقال أبو تمام يتحدث عن قوافيه:

كـانت بنـاتَ نُصيبٍ حين ضنّ بهـا ... عن المـوالي ولم تحفل بهـا العـرب

توفي نصيب سنة ١٠٨ هـ وهو من فحول الشعراء في زمانه، وكنيته أبو محجن.

(٢) عرك الأذن: دلكها. وهي تقصد العود: آلة الغناء.

(٣) قال في لسان العرب: مادة «لا»: والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفي قالوا: كان فعله كـ «لا» وربما كرروا فقالوا: كـ «لا، ولا» ومن الأول قوله:

ألا هل من البين المفرق من بدٍّ     وهل مثل أيام بمنقطع السعـد[1]
تمنيت أيـامـي أولئـك والمـنى     على عهد عادٍ ما تعيد ولا تبدي[2]

وروى صاحب الأغاني عن عبدالله بن مصعب بن ثابت[3] قال:

أتاني أبو السائب المخزومي[4] ليلة، بعدما رقد السامر، فأشرفت عليه، فقال: سهرت، وذكرت أخاً لي أستمتع به، فلم أجد سواك، فلو مضينا إلى العقيق، فتناشدنا وتحدثنا، فمضينا، فأنشدته في بعض ذلك بيتين للشاعر العرجي[5]:

بـاتـا بـأنعمِ ليلةٍ حتى بـدا     صبـح تلوّح كـالأغـرّ الأشقـر
فتـلازمـا عنـد الفـراق صبـابـةً     أَخْذَ الغريم بفضل ثوب المعسر

فقال: أعده عليّ، فقال: أحسن والله. امرأته طالق إن نطق بحرف

---

«أصاب خَصاصةً فبدا كليلا.. كـ«لا» وانغل سائره انغلالاً» ومن الثاني قوله «يكون نزولُ القوم فيها كـ لا، ولا».

(١) منقطع المكان: حيث ينتهي. والسعد: موضع معروف قريب من المدينة، كانت غزوة ذات الرقاع قريبة منه (معجم البلدان).

(٢) ما تعيد ولا تبدي، يريد أنه لا نفع فيها.

(٣) توفي سنة ١٨٤ هـ. قال السخاوي في «التحفة» وكان فصيحاً مفوهاً من سروات قريش، ولي إمارة المدينة زمن الرشيد، وكان محموداً في ولايته.
روى عن نفسه قال: قال لي المهديّ: ما تقول فيمن ينتقص الصحابة؟ فقلت: زنادقة، لأنهم ما استطاعوا أن يصرّحوا بتنقّص رسول الله، فتنقصوا أصحابه، فكأنهم قالوا له: كان يصحب صحابة السوء. فقال المهـدي: ما أراه إلا كما قلت.

(٤) اسمه عبدالله. قال في زهر الآداب جـ ١/ ١٦٧: وكان غزير الأدب كثير الطرب، وله فكاهات مذكورة وأخبار مشهورة. وكان أشراف المدينة... يستظرفونه ويقدمونه لشرف منصبه، وحلاوة ظرفه، وانظر «لسان الميزان» و «تهذيب التهذيب» باب الكنى.

(٥) هو عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان: لقب بالعرجي نسبة إلى العرج بالطائف، وهو شاعر غزل مطبوع، كان مشغوفاً باللهو والصيد، وكان من الفرسان المعدودين، سجنه والي مكة إلى أن مات بالسجن سنة ١٢٠ هـ وهو صاحب البيت المشهور:
أضـاعـوني وأيّ فتـى أضـاعـوا     لـيـوم كـريـهـة وسـداد ثـغـر
(الأغاني جـ ١/ ٣٩٧).

غيره حتى يرجع إلى بيته. قال عبدالله: فلقينا عبدالله بن حسن بن حسن[1]، فلما صرنا إليه، وقف بنا، وهو منصرف من ماله يريد المدينة. فسلم ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال:

فتلازما عِنْد الفِراق صَبَابةً     أخذَ الغريم بفَضْل ثَوْب المُعْسِر

فالتفت إليّ عبدالله بن الحسن وقال: متى أنكرت صاحبك، فقلت: منذ الليلة، فقال: إنا لله! وأي كهل أصيبت فيه قريش.

ثم مضينا، فلقينا محمد بن عمران التيمي[2]، قاضي المدينة، يريد مالاً له على بغلة له، ومعه غلام على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة، فسلم ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب (فأعاد البيت) فالتفت إليّ وقال: متى أنكرت صاحبك قلت: آنفاً، فلما أراد المضي، قلت: أفتدعه هكذا، والله ما آمن أن يتهور في آبار العقيق، قال: صدقت، يا غلام، هات قيد البغلة، فأخذ القيد، فوضعه في رجله، وهو ينشد البيت ويشير بيده إليه يريد أن يفهم عنه قصته، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه: احمله على بغلتي وألحقه بأهله[3].

ومن أخبار وادي العقيق، قالوا[4]: كان ابن عائشة[5] من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه، وكان من أضيق الناس خُلقاً، إذا قيل له: غنّ، قال: ألمثلي يقال: غن؟. عليّ عتق رقبة إن غنيت يومي هذا.

---

(١) عبدالله بن حسن بن حسن بن علي: كان من العبّاد وموثق في رواية الحديث. توفي في حبس أبي جعفر المنصور وعمره سبعون عاماً سنة ١٤٥ هـ (تهذيب التهذيب).

(٢) ولي القضاء لبني أمية ثم للمنصور، ومات قاضياً بالمدينة سنة ١٥٤ هـ. «التحفة اللطيفة».

(٣) الأغاني جـ ١/ ٣٩٧.

(٤) انظر: العقد الفريد جـ ٦/ ٣٥. والمستطرف ص ١٥١.

(٥) محمد بن عائشة: من المقدمين في صناعة الغناء في العصر الأموي، وهو من أهل المدينة توفي سنة ١٠٠ هـ.

فلما كان في بعض الأيام سال وادي العقيق، فلم يبق في المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل إلا خرج يبصره، وكان فيمن خرج ابن عائشة وهو معتجر[1]، فنظر إليه الحسن بن الحسن[2] بن علي، وكان فيمن خرج إلى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان يمشيان أمام دابته، فقال لهما: أقسم بالله إن لم تفعلا ما آمركما به لأنكلنّ بكما. فقالا: قل ما تأمرنا به، فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا. قال: اذهبا إلى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فأمسكاه، فإن لم يفعل، ما آمره به، فاقذفا به في العقيق.

فمضيا والحسن يقْفُوهما، فلم يشعر ابن عائشة إلا وهما آخذان بمنكبيه، فقال: من هذا؟ فقال له الحسن: أنا هذا يا ابن عائشة، فقال: لبيك وسعديك، بأبي أنت وأمي، قال: اسمع مني ما أقول لك، واعلم أنك مأسور في أيديهما، وقد أقسمت إن لم تغنّ مائة صوت ليطرحانّك في العقيق... فأقبل ابن عائشة يغني، فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه.. فكان ابن عائشة بعد ذلك إذا قيل له: ما أشدّ يوم مرّ عليك، يقول: يوم العقيق[3].

وفي أخبار دحمان[4]، قال الربعي المغني: قال لنا جعفر بن سليمان، وهو أمير المدينة ـ في العصر العباسي ـ اغدوا على قصري

---

(١) اعتجر: لف عمامته، فهو معتجر.

(٢) الحسن بن الحسن، كبير الطالبيين في عهده توفي سنة ٩٧ هـ، قيل للحسن: ألم يقل رسول الله «من كنت مولاه فعليّ مولاه» قال بلى، ولكن والله لم يعن رسول الله بذلك الإمارة والسلطان ولو أراد ذلك لأفصح لهم به «تهذيب التهذيب».

(٣) في الأغاني جـ٢/ ٢٠٥ حدد المكان من العقيق فقال: فسال العقيق مرة فدخل عرصة سعيد الماءُ حتى ملأها، فخرج الناس إليها وخرج ابن عائشة، وذكر القصة..

(٤) دحمان: اسمه عبد الرحمن بن عمرو من الموالي، عالم بالغناء، وكان يعلم الجواري الغناء، قال الزركلي: وكان صالحاً كثير الصلاة، من كلامه: ما رأيت باطلاً أشبه بالحق من الغناء «أخباره في الأغاني» جـ٦/ ٢٨.

بالعقيق غداً، وكنت أنا ودحمان وعطرّد، فغدوت للموعد، فبدأت بمنزل دحمان، فإذا هو وعطرّد قد اجتمعا على قدر يطبخانها، وإذا السماء تبغش[1]، فأذكرتهما الموعد، فقالا: أما ترى يومنا هذا ما أطيبه، اجلس حتى نأكل من هذه القدر ونصيب شيئاً، ونستمتع من هذا اليوم. فقال: ما كنت لأفعل مع ما تقدم الأمير به إليّ، فقالا: كأنا بالأمير قد انحل عزمه وأخذك المطر إلى أن تبلغ.. قال الربعي: فمضيت إلى الموعد، وإذا جعفر مشرف من قصره والمضارب تضرب والقدور تنصب، فلما كنت بحيث يسمع تغنيت:

وأستصحبُ الأصحابَ حتى إذا وَنَوا    وملّوا من الإدلاج جئتكمُ وحدي

فلما عرف قصتي أعطاني مائتي دينار.

ومن قصص الفقهاء في وادي العقيق، ما رواه عبد العزيز الماجشون[2]، قال: صلينا يوماً الصبح بالمدينة، فقال قوم: قد سال العقيق، فخرجنا من المسجد مبادرين إلى العقيق، فانتهينا إلى العرصة، فإذا من وراء الوادي قبالتنا دحمان المغني، وابن جندب مع طلوع الشمس، وقد تماسكا بينهما صوتاً وهو:

أسكنُ البدوَ ما أقمتِ ببدوٍ    فإذا ما حضرتِ طاب الحُضُور[3]

(١) بغشت السماء: أمطرت البغشة، وهي المطرة الخفيفة.

(٢) هو عبد العزيز بن يعقوب الماجشون: أصل الأسرة من أصبهان: «والماجشون» تعريب «ماه كون» قيل: لقب جده لحمرة وجهه، ومعنى «ماه كون» لون القمر، وقيل «الورد»، وقيل سمي لأنه كان يعلم الغناء ويتخذ القيان. كان أبوه يعقوب من رجال الحديث، وكان يعلم الغناء. وكان أخوه يوسف فقيهاً ثبتاً في الحديث، ويعلم الجواري الغناء. قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» عن ابن معين قال «كنا نأتي يوسف بن يعقوب الماجشون فيحدثنا في بيت، وجوار له في بيت آخر يضربون بالمعزفة. وقال: هو وإخوته يرخصون في السماع وهم في الحديث ثقات» «تهذيب التهذيب» جـ ١١ ترجمة يوسف بن يعقوب. وجـ ١١ ترجمة يعقوب الماجشون.

(٣) الشعر لحسان بن ثابت، في الأغاني جـ ٥/ ١٤٥.

أيّ عيش ألذه لستِ فيه  أو تُرى نعمة به وسرور

وإذا أطيب صوت في الدنيا. قال: وكان أخي يكره السماع، فلما سمعه طرب طرباً شديداً وتحرك، وكان لغناء دحمان أشدَّ استحساناً وحركة وارتياحاً فقال لي: يا أخي: أسمع إلى غناء دحمان والله لكأنه يسكب على الماء زيتاً[1]. وروى مصعب بن عبدالله الزبيري عن عروة[2] بن عبيد الله بن عروة قال: كان عروة بن أذينة نازلاً في دار أبي بالعقيق، فسمعته ينشد لنفسه:

إنّ التي زعمتْ فؤادك ملّها  خُلقتْ هواك كما خُلقتَ هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها  بلباقةٍ فأدقّها وأجلها
منعتْ تحيتَها فقلْتُ لصاحبي  ما كان أكثَرَها لنا وأقلَّها
فدنا وقال لعلها مَعْذورةٌ  في بعض رِقْبتها فقلتُ لعلَّها[3]

قال: فأتاني أبو السائب المخزومي، فقلت له بعد الترحيب به، ألك حاجة؟ فقال: نعم، أبيات لعروة بن أذينة بلغني أنك سمعته ينشدها. فأنشدته الأبيات، فلما بلغت قوله: فدنا، وقال لعلها معذورة. . .

طرب وقال: هذا والله الدائم الصبابة، الصادق العهد، لا الذي يقول:

إن كان أهلك يمنعونك رغبةً  عني فأهلي بي أضنُّ وأرغَبُ

---

(١) لم أعرف ما وجه الشبه، والذي نعرفه أن الماء إذا سكب عليه زيت أصبح سيء الطعم.

(٢) لم أجد لـ «عبيد الله بن عروة» أولاداً، ولم يذكروا لعبدالله بن عروة أولاداً أيضاً وفي «لسان الميزان» حدثنا فلان عن عروة بن عبدالله بن محمد بن يحيى بن عروة بالمدينة سنة ثلاثة عشرة ومائة «وانظر نسب قريش ص ٢٤٨ والقصة في زهر الآداب جـ ١/ ١٦٦ وصاحب الأبيات شاعر وفقيه. قال ابن قتيبة: كان الإمام مالك يروي عنه الحديث».

(٣) الرقبة: بكسر الراء: التحفظ وسالفرق.

لقد عدا هذا الأعرابي طوره، وإني لأرجو أن يغفر لصاحب هذه الأبيات لحسن الظن بها، وطلب العذر لها.

قال عروة: فعرضت عليه الطعام فقال: لا، والله، ما كنت أخلط بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل.

وروى مسلم بن عبدالله بن مسلم بن جندب الهذلي، قال: خرجت أريد العقيق، ومعي زبان السواق فلقينا نسوة فيهن امرأة جميلة، ، وأنشد [لعبد الله بن مسلم بن جندب ]:

ألا يا عبادَ الله هذا أخوكمُ قتيلٌ فهلْ فيكمْ له اليومَ ثائر
خذوا بدمي إن مُتّ كلَّ خريدةٍ مريضةِ جفن العين والطرفُ ساحر

ثم قال زبّان: شأنك بها يابنَ الكرامِ، فالطلاقُ لَه لازمٌ، إنْ لم يكن دمُ أبيك في نقابها. فأقبلت عليّ وقالت:

أنت ابن جندب؟ فقلت: نعم، قالت: إن قتيلنا لا يُودَى، وأسيرنا لا يُفدَى، فاغتنم واحتسب أباك(١).

وروى أبو الفرج، قال: «كان عبدالله بن جعفر(٢)، معه إخوان له في عشية من عشايا الربيع، فراحت عليهم السماء بمطر جَوْد، فأسال كل شيء، فقال عبدالله: هل لكم في العقيق. قال أبو الفرج: وهو متنزه أهل المدينة في أيام الربيع والمطر. فركبوا دوابهم ثم انتهوا إليه، فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد، مثل مدّ الفرات. فإنهم لينظرون إذ هاجت السماء، فقال عبدالله لأصحابه، ليس معنا جُنّة نستجسن بها، وهذه

---

(١) زهر الآداب جـ٢/ ٧٢٣ والعقد الفريد جـ٨/ ١٣٤.

(٢) عبدالله بن جعفر. . صحابي، توفي رسول الله وعمره عشر سنوات. وأخباره في الكرم مشهورة، وكان لا يرى بأساً بسماع الغناء. قال ابن كثير: كان الحسن البصري يذم ابن جعفر على سماعه الغناء واللهو وشرائه المولدات، توفي رحمه الله سنة ٨٠ هـ، انظر «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» «والإصابة» لابن حجر.

سماء خليقة أن تبل ثيابنا، فهل لكم في منزل طويس، فإنه قريب منا فنستكنّ فيه، ويحدثنا ويضحكنا؟».

وروى إبراهيم بن المهدي[1] قال: حججت مع الرشيد، فلما صرنا بالمدينة خرجت أدور في عرصاتها، فانتهيت إلى بئر وقد عطشت، وجارية تستقي منها. فقلت يا جارية، امتحي لي دلواً، فقالت: أنا والله عنك في شغل بضريبة مواليّ عليَّ، فنقرت بسوطي على سرجي وغنيتُ:

رام قلبي السلوّ عن أسماءِ وتعزّى وما به من عزاء
سخنةٌ في الشتاء باردةُ الصيف سراجٌ في الليلةِ الظلماء[2]

فرفعت الجارية رأسها إليّ فقالت: أتعرف بئر عروة؟ فقال: لا. قالت: هذه والله بئر عروة. ثم سقتني حتى رويت، وقالت: إن رأيت أن تعيده، ففعلت، فطربتْ، وقالت: والله لأحملنَّ قربة إلى رحلك، ففعلت، وجاءت معي تحملها، فلما رأت الجيش والخدم، فزعت، فقلت لها: لا بأس عليك، وكسوتها ووهبت لها دنانير، وحبستها عندي، ثم صرت إلى الرشيد، فحدثته حديثها فأمر بابتياعها وعتقها.

وبعد: فذاك قليل من كثير مما تزخر به كتب الأدب والأخبار عما كان في العقيق من لقاءات في مواسم العقيق، وإنما اجتزأت منه ما يتصل بأهل الشرف والمروءة من رجالات ذاع ذكرهم في الإمارة والأدب والعلم، وضربت صفحاً عن أخبار كثيرة تتعلق بأخبار بعض الشعراء والمغنين، لما يظهر فيها من التلفيق الذي لا يليق بهذا المقام.

---

(١) إبراهيم بن المهدي: أخو هارون الرشيد.. كان أسود اللون، أمه جارية سوداء، وكان حاذقاً بصنعة الغناء توفي سنة ٢٢٤ هـ.

(٢) الأبيات في شعر «الأحوص الأنصاري» ص ٧١ والقصة ص ٢٣٩ وقد نسبت في «وفاء الوفا» إلى السريّ الأنصاري في أخبار بئر عروة.

# العقيق والشعر

## أ ـ مقدمة في شعر الحنين إلى الديار:

الوطن نوعان: وطن يسكنه الجسد، ووطن تسكنه الروح. وموطن الروح أشد لصوقاً بالقلوب من مواطن الأجساد.. وكان العقيق من الديار التي هوت إليها الأفئدة، وهامت بها المشاعر، وسكنتها القلوب مهما تباعدت الأجسام، ولذلك كان من مواطن الحنين والحب على البعد والقرب، ونظم فيه المحبون أرق الأشعار..

وشعر الحنين إلى الديار والوطن والأرض من أرق ما قاله العرب من الشعر، لأنه يعبر عن أنبل العواطف الإنسانية وأرق المشاعر القلبية، ولأنه عنوان المحبة الصادقة وصدق الوفاء. شعر سُداه ولحمته العواطف، ليس للمادة فيه نصيب. لأن فيه حنين الوالدين إلى ابنهم، وحنين الابن إلى والديه وحنين الإخوان والخلطاء والأحباء، حنين الفرع إلى الأصل، والأصل إلى جزئه.

وكأن هذا الشعر يعبر عن فطرة فطر الله الناس عليها، ولا تبديل لفطرة الله، حيث يبقى هذا الحنين ما بقي الزمان، وهو فطرة في كلّ ذي روح خلقه الله: في الإنسان والحيوان، والطير...

وقد ذكروا في سبب الحنين إلى الوطن أقوالاً: قال أبو عمرو بن العلاء: مما يدل على حرية الرجل وكرم غريزته، حنينه إلى أوطانه،

وتشوقه إلى متقدم إخوانه وبكاؤه على ما مشى من زمانه. وقالوا: الكريم يحن إلى وطنه كما يحن الأسد إلى غابه.

وقالوا: يشتاق اللبيب إلى وطنه كما يشتاق النجيب إلى عطنه[1]... وقال آخر: الحنين إلى الوطن من رقة القلب، ورقة القلب من الرعاية، والرعاية من الرحمة، والرحمة من كرم الفطرة، وكرم الفطرة من طهارة الرِّشدة، وكرم الرشدة من كرم المحتد. قال الشاعر:

لَقُرْبُ الدار في الإقتار خيرٌ  من العيش الموسَّع في اغتراب

ورووا في القصص أن سيدنا سليمان عليه السلام، قال: آتُوني بأجمل الطيور غناء، فبحثوا عنه فوجدوه يسكن في أقل المناطق زراعة وأسوئها حالاً، ونقلوه إلى قصر الملك سليمان وطلبوا منه الغناء، فلم يغنِّ، فسألوه عن السبب فقال: أرجعوني إلى وطني تسمعوا غنائي.

وقيل لأعرابي: كيف تصنع بالبادية إذا اشتد القيظ وانتعل كلُّ شيء ظلَّه، فقال: وهل العيش إلا ذاك؟ يمشي أحدنا مِيلاً ويرفضّ عرقاً، ثم ينصب عصاه، ويلقي عليها كساءه، ويجلس يكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى.

قال الحُصْري في زهر الآداب: وكان الناس يتشوقون إلى أوطانهم ولا يفهمون العلة في ذلك، حتى أوضحها ابن الرومي في قصيدة لسليمان بن عبدالله بن طاهر يستعديه على رجل من التجار، أجبره على بيع داره، واغتصبه بعض جدرها، فقال:

ولي وطنٌ آليت ألا أبيعه  وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا
عهدتُ به شرخ الشباب ونعمةً  كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبب أوطانَ الرجال إليهمُ  مآربُ قضّاها الشباب هنالكا

(١) زهر الآداب للحصري جـ ٢/ ٦٨١.
(٢) ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري جـ ٢/ ١٨٨.

إذا ذَكَروا أوطانهمْ ذكَّرتهمُ عهودَ الصِّبا فيها فحنُّوا لذلكا
فقد ألفتْه النفسُ حتى كأنه لها جسدٌ إن بان غُودر هالكا

وقال ابن الرومي يتشوق إلى بغداد، وقد طال مقامه بسرّ من رأى:

بلدٌ صحبتُ به الشبيبةَ والصِّبا ولبستُ ثوب العيش وهو جديد
فإذا تمثّل في الضمير رأيتُه وعليه أغصانُ الشباب تميد

وشعر الحنين إلى الأوطان كثير والأسباب في الحنين متعددة، قال أبو تمام:

نقلْ فؤادك حيثُ شئتَ من الهوى ما الحُبُّ إلا للحبيب الأول
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى وحنينُه أبداً لأول منزل

وقال أعرابي:

أقول لصاحبي والعُيس تخدي بنا بين المُنيفَةِ فالضِّمار[1]
تمتعْ من شَميم عَرار نجدٍ فما بعد العشية من عَرار[2]
ألا يا حبذا نفحاتُ نَجْدٍ وريّا روضِه غِب القطار[3]
شهور ينقضين وما شعرنا بأنصافٍ لهنَّ ولا سِرار[4]

وقال ابن ميادة يخاطب الوليد بن يزيد:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بحرة ليلى حَيْث ربَّتني أهلي
بلاد بها نِيطتْ عليّ تمائمي وقُطّعن عني حين أدركني عقلي
فإن كنتَ عن تلك المواطن مانعي فأيسِرْ عليّ الرزق واجمع إذنْ شَمْلي

ولأن ذكر الديار يهيج العواطف الكامنة، فقد جعله العرب من مهيجات قول الشعر عندهم، حيث وقف الجاهليون على أطلال الأحبة،

---

(١) المنيفة، والضمار، أسماء أمكنة، وتخدي: من: خدى البعير والفرس: أسرع.
(٢) العَرار: نبت له ورد أصفر طيب الرائحة. واحدته عرارة.
(٣) القطار: المطر.
(٤) السَرار: بداية الشهر أو آخره، لأن القمر يستسرّ فيه. والأبيات في حماسة أبي تمام غير منسوبة، في باب «النسيب».

ووصفوها وليس لهم غرض من ذكرها، وبقيت بعد أن سكن النـاس المدن ولم يروا الأطلال.

قال ابن قتيبة في سبب وصف الأطلال والوقوف عليها[1]:

وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصّد القصيد، إنما ابتدأ بذكر الديار والدِّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستـوقف الرفيقَ، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العَمَد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه ساكنة المَدَر، لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان.

ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد، وألم الفراق، ليميل نحوه القلوب.. ثم قال: وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين فيقف على منزل عـامر أو يبكي عـنـد مشيّد البنيـان، لأن الأقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي».

وقد رأينا في تاريخ الشعر العربي، كيف بقي الشعراء على هذه العادة، في عصر الحضارة والمدنية بعد ترك البادية، وأصبح الوقوف على الأطلال من خصائص عمود الشعر العربي التقليدي، فإذا لم يفعل الشاعر، قالوا: إنه خرج على عمود الشعر[2].

ولكن الأطلال قد تغير مفهومها مع مرور الزمن، فلم تعد مقصورةً على أطلال المحبوبة، فقد يقف الشاعر على أطلال المدن والقصور التي كانت تضم أهل المجد والكرم... يقف عليها معجباً ويقف عليها راثياً، ويقف عليها متذكراً، وقد أجاد البحتري في وصف أطلال المجد الداثر، فوقف على أطلال الأكاسرة ووصف إيوان كسرى في قصيدته السينية

---

(١) الشعر والشعراء ص ٢٠.
(٢) كان الشعراء المولّدون أول مَنْ حارب الوقـوف على الأطلال، ووقفـوا منها مـوقف المستهزىء لأنهم لا تربطهم بالبادية العربية روابط عاطفية، فلم يحنوا إليها.

المشهورة التي عارضها كثير من الشعراء في العصر الحديث، ومما قاله في وصف الإيوان:

لــو تــراه علمتَ أن الليــالي جَعَلتْ فيه مأتماً بعد عُــرس
عُمّــرتْ للســرور دَهْــراً فصارتْ لـلتعــزّي ربــاعـهم والـتـأسـي
فـلهــا أن أُعـينَـهــا بــدمــوعٍ مُــوقفـاتٍ عَلى الصبــابة حُبس
ذاك عنـدي وليست الـدار دَاري باقترابٍ منهـا ولا الجنس جنسي
وأراني من بَعْـدُ أُكلف بــالأشـ ـراف طُـراً من كلّ سِنْـحٍ وأُس

ولا مزيد من التفجع على الديار والتوجع للدمن والآثار على قول البحتري من قصيدة يرثي بها المتوكل، ويصف قصره الجعفري:

مَحَلٌ على القاطـول أخلَق داثره وعادتْ صروف الدهر جَيْشاً تُغاوره[1]
تغيّــر حسنُ الجعفــريّ وأنسُــه وقُوّض بادي الجعفريّ وحاضره[2]
تحمّــل عنه ســاكنــوه فُجــاءةً فعــادتْ سَــواءً دورُه ومقــابــره
إذا نحن زرنـاه أجـدّ لنـا الأسى وقد كان قبـلَ اليوم يُبـهجُ زائره
ولم أنس وحش القصر إذْ ريع سربُه وإذ ذُعــرتْ أطــلاؤه وجــآذره
كأن لم تبتْ فيه الخِـلافةَ طَلْقَةً بشـاشتهـا والمُلْك يُشـرق زاهـره

وشعر بكاء الديار والمدن، كثير، كثرة ما حل بديار العرب من نكبات[4].

## ب ـ شعر الحنين إلى المدينة والحجاز:

ونقترب من موضوعنا ـ العقيق وهو جزء من المدينة المنورة ـ فنجد الحنين إلى المدينة المنورة، ومعالمها قد ملأ الشعور. وفاض على ألسنة

(١) القاطول: نهر كان في موضع سامراء قبل عمرانها.
(٢) الجعفري: قصر المتوكل.
(٣) الأطلاء: جمع الطلا، ولد الظبي ساعة يولد. والجؤذر: ابن البقرة الوحشية.
(٤) انظر «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب».

الشعراء عذباً رقراقاً، يشعر فيه القارىء بصدق المشاعر وحرارتها.

والحنين إلى المدينة المنورة ينقسم إلى قسمين: حنين من سكن فيها وسكن إليها فرمتْ به المقاديرُ إلى مواطنَ أخرى رغماً عنه، لا رغبة عنها. وقسمٍ آخر من الحنين الروحي إلى المعالم التي شهدت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام - وتباركت بموطىء قدميه، وتضمخت بعطر سيرته.

ومن القسم الأول، قال الشاعر محمد بن عبد الملك الفقعسي[1]:

ألا ليتَ شعري هل أبيتن ليلةً بسَلْعٍ ولم تُغلق عليّ دروب
وهل أُحدُ بادٍ لنا وكأنه حصانٌ أمام المقربات جنيب
وإنّ شفائي نظرةٌ لو نظرتُها إلى أُحدٍ والحرتان قريب
وإني لأرعى النجمَ حتى كأنني على كلِّ نجمٍ في السماء رقيب

وقال نفيلة بن المنهال يتشوق إلى المدينة:

تُعدُّ لنا الشهورُ ونحتصيها متى هو حائن منه قدوم
فإن يكتبْ لنا الرحمنُ أوباً ويقدر ذلك الملكُ الرحيم
فكم من حَرّة بين المنقّى إلى أحد إلى ما حاز ريم[2]
إلى الجمّاء من خدٍّ أسيل نقيّ اللون ليس به كُلُوم

ومن أرق ما قيل في الحنين إلى المدينة، قصيدة الشاعر ابن المولى[3]... قال أبو الفرج: قدم ابن المولى إلى العراق في بعض سنيه، فأخفق وطال مقامه وتشوق إلى المدينة فقال:

---

(١) شاعر عباسي متوفى سنة ٢١٠ هـ، وله مدائح في الرشيد والمأمون، انظر الأبيات في: تاريخ المدينة لابن شبة جـ١/ ٢٩٣. وفي «ديوان المعاني» منسوبة إلى عبدالله بن محمد الفقعسي.

(٢) المنقى: طريق بين أحد والمدينة.

(٣) محمد بن عبدالله، مولى الأنصار، عاش في الدولتين وتوفي سنة ١٧٠ (الأغاني جـ٣/ ٢٨٦).

ذهب الـرجالُ فـلا أُحسُّ رجـالاً  وأرى الإقامة في العـراق ضَلالا
وطـربتُ إذ ذكَـر المـدينـةَ ذاكـرٌ  يـومَ الخميس فهاج لي بَلْبـالا[1]
فـظللت أنظرُ في السمـاء كأنني  أبغي بنـاحيـة السمـاء هـلالا
طـربـاً إلى أهـل الحجـاز وتـارةً  أبكي بـدمـعٍ مُسبـل إسبـالا
قد كنتَ إذ تدعُ المدينة كـالذي  تـرك البحـار ويممّ الأوشـالا[2]

ومن أرق ما قيل في الحنين، حنين أبي قطيفة إلى المدينة لما أُخرج مع بني أمية إلى الشام، أيام فتنة ابن الزبير، ومما قال[3]:

إذا بـرقتْ نحو الحجـاز سَحابـةٌ  دعا الشوقَ مني بـرقُها المتيـامن
فلم أتـركْنهـا رغبـةً عن بـلادهـا  ولـكنَّـه مـا قـدَر اللّهُ كـائـن

وقال:

ألا ليت شعري هل تغيَّـر بعدنـا  قُبـاء وهل زال العقيقُ وحـاضـره
وهـل برحتْ بـطحاءَ قبـرِ محمدٍ  أراهطُ غـرٌّ من قـريشٍ تبـاكـره؟
لهم منتهى حُبّي وصفـوُ مـودتي  ومحضُ الهوى مني وللناس سائره

وكانت المدينة خاصة، والحجاز بعامة، من المواطن التي تطلعت إليها أرواح المؤمنين، حيث يُوجد الحرمان الشريفان. وفي الحجاز مكة وقد شهدتْ مولد الرسول ﷺ ونشأته وشبابه وبعثته.. كما شهدت المدينة المنورة جهاده وانتصاراته، وضمت أخيراً جثمانه الطاهر..

ولهذا نجد الشعراء، يعبرون عن تطلع المؤمنين إلى هذه الأماكن، فيذكرون في شعرهم الديني بعض المواطن والمعالم التي ترمز إلى الأراضي المقدسة.. وأكثر ما تلاحظ هذه الظاهرة في قصائد المديح النبوي.

---

(١) البلبال: شدة الهم.
(٢) الأوشال: جمع وَشَل وهو الماء القليل يتحلّب من جبل قليلاً قليلاً لا يتصل قطره.
(٣) الأغاني جـ ١/ ٢٨.

ومن أشهر القصائد التي قيلت في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام «بردة المديح» للشاعر محمد البوصيري. وقال في مطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلَمٍ    مزجتَ دمعاً جرى من مقلة بدم[1]
أم هبت الريح من تلقاء كاظِمةٍ    وأومض البرق في الظلماء من إضم[2]
لولا الهوى لم تُرقْ دمعاً على طلل    ولا أرِقتَ لذكرِ البان والعلم[3]

ومن هذا القبيل يمكن أن يكون ما ورد في حجازيات الشريف الرضيّ، فقد أكثر من ذكر أعلام الحجاز في مكة والمدينة، وربما يكون ذكره لهذه الأماكن رمز التشوق إلى مواطنِ أجداده الهاشميين: ومن أشهر قصائده قصيدته التي يقول فيها:

يا ظبية البان ترعى في خمائله    ليهنك اليوم أن القلب مرعاك
الماء عندك مبذولٌ لشاربه    وليس يرويك إلا مَدْمَعي الباكي
سهمٌ أصاب وراميه بذي سَلَمٍ    مَنْ بالعراق لقد أبعدت مرماك

ويقول في قصيدة أخرى:

أيها الرائح المُغذّ تحملْ    حاجةً للمتيم المشتاق
أقرِ عنّي السلام أهل المُصَلّى    فبلاغ السلام بعض التلاقي
وإذا ما مررت بالخَيْف فاشهدْ    أن قلبي إليه بالأشواق

والمعروف أن المدينة من الحجاز، وقد أكثر الشعراء من ذكر الحجاز، وإذا ذكر الحجاز فإن للمدينة النصيب الأوفر من مقصد الشعراء. فإن هذا الحنين، وإن كان ظاهره عاطفياً إنسانياً، ولكنه في الحقيقة ديني روحي. وقد وضع الله في أرض الحجاز من الخصائص ما

---

(١) ذو سلم: مكان بين المدينة ومكة في طريق الهجرة النبوية.
(٢) كاظمة: موضع بقرب المدينة المشرفة. وإضم: اسم الوادي الذي تجتمع فيه أودية المدينة.
(٣) العلم: جبل في الحجاز. والبان: شجر، واحدته: البانة، وهو شجر معتدل القوام.

يجعل المؤمنين يهوون بأفئدتهم نحو الحجاز بعامة، ومكة والمدينة بوجه أخص. قال عليه الصلاة والسلام: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»[1] وزاد الترمذي: «وليعقلنّ الدين من الحجاز معقل الأروية[2] من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، وهم الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنّتي».

قال أعرابي في الحنين إلى الحجاز[3]:

كفى حَـزَنـاً أني ببغـدادَ نـازلٌ ... وقلبي بـأكنـافِ الحجـاز رهين
إذا عنَّ ذكـرٌ للحجـاز استفـزني ... إلى مَنْ بـأكنـاف الحجـاز حنين
فـوالله مـا فـارقتهم قـاليـاً لهم ... ولكنَّ مـا يُقْضى فسـوف يكـون

وقال آخر:

سرى البرقُ من أرضِ الحجازِ فشاقني ... وكـلُّ حجازيّ لـه البـرقُ شـائق
فـواكبدي ممـا ألاقي من الهوى ... إذا جنَّ ليـل أو تـألّـقَ بـارق

وقال الأشجع بن عمرو السّلمي[4]:

بـأكنـاف الحجـاز هَـوىً دفينُ ... يـؤرِّقـني إذا هَـدت الـعـيـون
أحنُّ إلى الـحجـاز وسـاكنيـه ... حنيـن الإلف فـارقـه الـقـرين
وأبكي حين تـرقـدُ كـلُّ عـين ... بـكـاءً بيـن زفـرتـه أنـيـنُ

وقال ابن أبي عاصية وهو بالعراق[5]:

تـطاول ليلي بـالعـراق ولم يكنْ ... عليّ بـأكنـاف الحجـاز يـطول

---

(١) رواه البخاري. ومعنى يأرز: ينضم، وقيل: ينقبض. ورواه مسلم في «الإيمان» (١٤٧).

(٢) الأروية: جمع الأروى، وهي أنثى الوعول الجبلية، الترمذي في الإيمان (٢٦٣٢).

(٣) معجم البلدان «الحجاز».

(٤) أشجع بن عمرو السلمي، شاعر فحل، ولد باليمامة ونشأ بالبصرة، مدح البرامكة وقربه الرشيد، توفي سنة ١٩٥ هـ (الشعر والشعراء جـ٢/ ٧٦١).

(٥) تاريخ المدينة «لابن شبة» جـ١/ ٢٨٦ وفي معجم البلدان «وقال أعرابي».

فهل لي إلى أرض الحجاز ومَنْ به بعـاقبـةٍ قبـلَ الفـوات سبيـل
إذا لم يكن بيني وبينك مرسـلٌ فـريح الصَّبـا مني إليـك رسـول

قـال عبد الملك بن مـروان لفتى من فتيانهم: أتجـدك تشتـاق المدينة؟ قال: لا قال: أما والله، لو حُبست في مؤخّر المسجد بعد عَتَمة في ليلة مقمرة من ليالي الصيف قد توسدت طَرْف ردائك، مع لمـة أصحابك ينازعونك الحديث، لاشتقتها»[1].

وقال أبو قطيفة:

بكى أحـدٌ إذ فـارق النـوم أهله فكيف بذي وَجْدٍ من القوم آلِفِ
من أجل أبي بكرٍ جَلَتْ عن بلادها أُميَّـةُ والأيـام ذات تصـارف[2]

## جـ ـ أثر العقيق في الشعر:

راج الشعرُ في العصر الأموي وانتشر في أكثر المناطق، وقد ساعد الخلفاءُ الأمويون في رواج الشعر، إذ كانوا يحبونه ويكثرون من روايته.

وتميز كلّ إقليم بطابعٍ خاص يُعرف به شعره. وكان لبيئة المدينة أثر واضح في الشعر المدني وَسَمَتْه بسماته الظاهرة.

وكان كثيرٌ من المهتمين بـالشعر في ذلـك العصر يميـزون بين خصائص الشعر المدني وصفاته وألوانه فقال جرير: إنكم يا أهل المدينة يعجبكم النسيب. وقال الفرزدق للأحوص: قاتلكم الله يا أهل المدينة ما أرقّ أشعاركم وأحسن مناسبكم. وربط النقاد بين العقيق وبين الرّقة البادية في الشعر المدني، فقال ابن عبد ربه في وصف شعر المدينة: «هو أرق من الماء وأصفى من رقة الهواء وكل مدني رقيق قد غذّي بماء العقيق».

(١) «تاريخ المدينة» لابن شبة جـ ١/ ٢٨٦.
(٢) أبو بكر: كنية عبدالله بن الزبير، وفي البيت إشارة إلى جلاء الأمويين عن المدينة.

وقال البكري في تفسير أبيات للأحوص: هذا الشعر لشاعر إسلامي حضري مدني غذّي بماء العقيق لم يدخل باديةً قط[1].

وكما كان يُوحي لأهله وزواره برقيق الشعر فقد كان له تأثير على كل من قرأ أخباره أو مرَّ بدياره. وسوف نرى دليل ذلك فيما يأتي من الصفحات.

## د ـ العقيق في الشعر العربي:

كان ابتداء عمران عقيق المدينة في العصر الإسلامي.. وحيثما كان العمران تتجه القلوب، وتتولد المشاعر، وتنشأ الذكريات.. ولذلك فإن جلّ ما وصلنا من الشعر العقيقي، كان من العصر الإسلامي، وقلما كان له ذكر في العصر الجاهلي[2].

وقد تعلقت قلوبُ الناس بالعقيق، فحن إليه وتشوق لرؤياه، ووصفه كل من رآه، أو سمع به أو قرأ أخباره. وأصبح العقيق يذكر بالمدينة والمدينة تذكر بالعقيق: فهو عنوان الكرم، ودليل المجد، وسجل حضارة، يحيي ذكره قلوب المؤمنين والمحبين.

قال أمير البيان شكيب أرسلان[3]: وسيد الأعقة كلها عقيق المدينة، وهو الذي يدور ذكره على ألسنة الشعراء، وإذا قيل: العقيق وحاجر[4]، اشتد الشوق وسالت الدموع من المحاجر.

وروى أبو الفرج أن يزيد بن عبد الملك كتب في خلافته إلى أمير المدينة عبد الواحد النصري، أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومعبداً المغني.. قال الأحوص. فلما نزلنا «عمّان» أبصرنا غديراً وقصوراً،

(١) التنبيه على أوهام القالي. وانظر «شعر الأحوص» لمحمد علي سعد.
(٢) انظر «العقيق في اللغة» في بداية هذا الكتاب.
(٣) الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف «الطبعة الأولى» سنة ١٣٥٠ هـ.
(٤) حاجر: موضع بالمدينة قريب من حرة الوبرة، وهو المذكور في الأشعار.

فقعدنا على الغدير. . فخرجت جارية من بعض تلك القصور ومعها جرة تريد أن تستقي فيها الماء.

فتغنتْ بمدحي في عمر بن عبد العزيز:

«يا بيت عاتكة الذي أتعـزّل»[1]

فتغنتْ بـأحسن صوت سمعتُـه قـط، ثم طـربتْ فـألقت الجـرة فكسرتها. . فوثبا إليها وقالا لها: لمن أنت يا جـارية، فقـالت: لآل سعيد بن العاص. ثم اشتراني رجل من آل الوحيد بخمسين ألف درهم، وشغف بي، فغلبتْه بنت عم له طرأت عليه فتزوجها، فعاقبت منزلتها منزلتي، ثم علا مكانُها مكاني، فلم تزدها إلا ارتفاعاً، ولم تزدني إلا اتضاعاً، فلم ترض منه إلا بأن أخدمها، فوكلتني باستقاء الماء، فأنا على ما تريان، أخرجُ فأستقي الماءَ، فـإذا رأيتُ القصور والغُـدران ذكرتُ المدينة، فطربتُ إليها، فكسرتُ جرتي، فيعـذلني أهلي ويلومونني». . قالوا: فذُكر أمرها إلى يزيد بن عبد الملك فأمر بشرائها وإعتاقها.

وقد نظرت في الأشعار التي ذكرت العقيق ومعالمه، فوجدتها ثلاثة أقسام:

**الأول**: في وصف ما في العقيق من القصور والبساتين ومجالس الأنس.

**والثاني**: في الحنين إلى العقيق والبكاء على أيامه وتذكر أمجاده.

**والثالث**: يذكر العقيق مع غيره من الأماكن التي ترمز إلى الأماكن المقدسة، فيذكر العقيق ويراد به المدينة المنورة، وأكثر ما يكون هذا النوع في الشعر الديني ولا سيما المدائح النبوية.

---

(١) هذا شطر المطلع وهو يقول:

يـا بـيتَ عـاتـكـةَ الـذي أتعـزّل     حـذرَ العـدى وبـه الفؤادُ مُـوكّـل

وتعزل الشيء: تنحّى عنه.

**أما القسم الأول:**

فهو وصف قصور العقيق، ومعالمه، ومجالسه، وهو قليل، لأنه لم يكن من عادة شعراء العرب في القرن الأول، بل لم يكن من مذهب الشعراء العرب في الجزيرة العربية، وما وصلنا من شعر الوصف كان في مقدمات القصائد، ولم يكن موضوعاً مستقلاً وكانوا يصفون مرابع الأحبة بعد أن يهجرها أهلها، فإذا حصل لقاء الشاعر بمحبوبته في مرابعها، كان يبهره لقاؤه بالحبيبة فيتلهى بوصف لقائه معها، ووصف بعض محاسنها فإذا عاد إلى ديارها ولم يجدها خاطب المرابع ووصفها لأنها تذكره بها..

وهذا كان موقف الشعراء من مرابع العقيق، فلم نقرأ في شعر الشعراء المعاصرين لازدهار العقيق، قصائد في وصف قصوره وحدائقه، رغم أن التاريخ يحدثنا بأنها كانت جديرة بإلهام الشعراء أجود قصائد الوصف.

وما وصلنا من الشعر الذي يصف العقيق كان قليلاً، وتبدو عليه خصائص الشعر العباسي. ومن ذلك قول ذؤيب الأسلمي(١):

قد أقرّ اللَّهُ عيني     بغزالٍ يابنَ عَوْن
طاف من وادي دُجيلٍ     بفتى طَلْق اليدين
فقضاني في منامي     كلَّ موعودٍ ودين
بين أعلى عرصةِ الما     ء إلى قصرٍ وبيني(٢)

وقال أبو الأبيض سهل بن كثير:

قلتُ مَنْ أنتِ فقالتْ     بَكْرةٌ من بَكَرات
ترتعي نَبْتَ الخزامى     بين تلك الشَّجَرات

---

(١) «معجم البلدان» و «معالم طابة».

(٢) هذه رواية معجم البلدان. وفي معالم طابة (إلى قصر زبين).

حبذا العرصةُ داراً في الليالي المقمرات
طاب ذاك العيش عيشاً وحديث الفتيات

وقال بعض المدنيين يصف العَرْصة أيضاً:

وبالعرصة البيضاء إن زرتَ أهلها مهاً مهملاتٌ ما عليهن سائس
خرجن لحبِّ اللهو من غير ريبةٍ عفائف باغي اللهو منهن آيس
يدرن إذا الشمس لم يُخْشَ حرُّها خلال بساتين خلاهنَّ يابس
إذا الحر آذاهن لذن ببَحْرةٍ كما لاذَ بالظل الظباء الكوانس

وكتب سعيد بن سليمان المساحقيّ[1]، إلى عبد الأعلى بن عبدالله[2] ومحمد بن صفوان[3] وهم ببغداد، يذكرهما طيب العقيق والعرصتين في أيام الربيع:

ألا قل لعبدالله[4] إما لقيتَه وقل لابن صفوان على القرب والبعد
ألم تعلما أن المصلّى مكانه وأن العقيق ذو الأراك وذو الورد[5]
وأن رياض العرصتين تزينتْ بنوّارها المصفرّ والأشكل الفرد[6]
وأن بها لو تعلمانِ أصائلاً وليلاً رقيقاً مثلَ حاشية البرُد[7]
وأن غديرَ اللابتين مكانه وأن طريق المسجدين على العهد
فهل منكما مستأنس فمسلمٌ على وطنٍ أو زائر لذوي الودّ

(١) سعيد بن سليمان، قاضٍ، ولاه المهدي قضاء المدينة، وأمّره الرشيد، وله شعر وأخبار في «أخبار القضاة» لوكيعٍ. و(التحفة اللطيفة) جـ٢.
(٢) عبد الأعلى.. من بني جمح، من رجالات المدينة في عهد بني العباس، وكان يجالس جعفر بن سليمان أمير المدينة، وله ذكر في أخبار القضاة لوكيع جـ١/ ٢٣٦ و(التحفة اللطيفة).
(٣) محمد بن صفوان: أحد قضاة المدينة في أواخر عهد بني أمية، وعمل في عهد بني العباس.
(٤) في أخبار القضاة لوكيع أن المكتوب إليه عبدالله بن عبد الأعلى.
(٥) المصلى: مكان بعينه في العقيق.
(٦) الأشكل: ما فيه حمرة وبياض.
(٧) البرد: ثوب مخطط.

فأجابه عبد الأعلى:

أتـاني كتـابٌ من سعيــدٍ فشفّني ... وزاد غرام القلب جَهْداً على جهد
وأجـرى دموعَ العين حتى كـأنها ... بها رمدٌ عنـه المراود لا تُجـدي
بــأنَّ ريـاضَ العَـرْصتين تـزينتْ ... وأن المُصلّى والبلاطَ على العهد
وأن غــديـرَ الـلابـتيـن ونبتَــه ... له أرجٌ كالمسـك أو عَنْبر الهِنْـد
فكدتُ بما أضمرتُ من لاعج الهَوى ... ووجدي بما قد قال أقضي من الوَجد
لعــل الـذي حَمَّ التفـرقَ بيننـا ... يمنُّ علينـا بالـدنـوّ من البعـد(١)
فما العيش إلا قربكم وحـديثُكم ... إذا كان تقوى الله منا على عَمْد

وقد روت كتب الأدب أشعاراً غير منسوبة، يذكر أهلها فيها العقيق مطلقاً، ولا نعلم إن كان يريد عقيق المدينة أو غيره مـن الأعقة، ولذلك قال ياقوت في معجم البلدان «وقد أكثر الشعراء من ذكر «العقيق» مطلقاً» ويصعب تمييز ما قيل في العقيق.

ومما قيل في العقيق مطلقاً:

أيا نخلتيِ بطنِ العقيق أمـانـعـي ... جَنَى النخل والتين انتظاري جَناكما
لقـد خِفتُ ألاَ تنفعـاني بـطائـلٍ ... وأن تمنعـاني مُجْتنى ما سـواكما
لو ان أمير المؤمنين على الغِنى ... يُحدَّث عن ظليكما لاصـطفاكمـا

**القسم الثاني:**

شعر الحنين إلى العقيق، وهو الأكثر. . وقد يكون حنين من سكن فيه، وجال في مرابعه، ثم رمتْ به المقادير بعيداً عنه، أو حنين من يذكر أمجاده الغابـرة كمن يقف على أطلال حضـارة سلفت فيبكي عليها، ويتمنى عودها.

وممن حن إلى العقيق بعد غربة عنه، الشاعر أو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة، وكان قد أُخرج من المدينة إلى الشام مع الأمويين، فقال

---

(١) حَم بفتح أوله: قدّر. وحُم: بالمبني للمجهول قُضي.

يحن إلى المدينة والعقيق، ويفضلها على الشام وقصورها:

ليت شعري وأين مني ليتُ أعَلَى العهد يلبَنٌ فبرام[١]؟.
أم كعهدي العقيقُ أم غيرتْه بعديَ الحادثاتُ والأيام؟.
وبأهلي بُدِّلت عكّاً ولَخْماً وجُذاما وأين مني جذام[٢]؟.
وتبدلتُ مِنْ مساكن قومي والقصور التي بها الآطام[٣]
كلّ قصرٍ مُشَيّدٍ ذي أواسٍ يتغنى على ذُراه الحمام[٤]
أقر مني السلام إن جئت قومي وقليلٌ لهم لديَّ السلام

وقال أيضاً:

ليت شعري هل البلاط كعهدي والمُصلّى إلى قصور العقيق؟.
لامني في هواك يا أم يحيى من مبينٍ بغشّه أو صديق[٥]

وروى أبو الفرج قال: خرجت امرأة من بني زُهرة في جماعةٍ فرآها رجلٌ من بني عبد شمس من أهل الشام، فأعجبته، فخطبها إلى أهلها، فزوجوه إياها بكرهٍ منها، فخرج بها إلى الشام، وخرجتْ مرةً فسمعتْ متمثلاً يُنشدُ قولَ أبي قطيفة:

ألا ليت شعري هل تغيّر بعدنا جَبُوبُ المصلّى أم كعهدي القرائن؟
فلم أتركْها رغبةً عن بلادها ولكنه ما قدر الله كائن

قال فتنفست المرأة بين النساء، فوقعت ميتة[٦].

---

(١) يلبن وبرام: جبلان قرب المدينة، يسيل ماؤهما على العقيق.
(٢) عك، ولخم، وجذام: قبائل عربية كانت تسكن بلاد الشام.
(٣) الآطام: جمع أطم: وهو الحصن.
(٤) أواس: واحدها: أسيّ وهو الأصل، يقال: فلان في آسيه: أي أصله. والآسي والأساس بمعنى واحد.
(٥) قوله: «من مبين» من حرف جر زائد وقد تزاد مِنْ في الإثبات، وحمل عليه قوله تعالى: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾.
(٦) قيل: إن المرأة هي: حميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف.

قال ياقوت، وزُوجت أعرابية ممن يسكن عقيق المدينة، وحُملتْ إلى نجدٍ فقالت:

إذا الريحُ من نحو العقيق تنسمتْ ... تجدد لي شوق يضاعف من وجدي
إذا رحلوا بي بين نـجـدٍ وأهله ... فحسبي من الدنيا رجوعي إلى نجدي

وقال الأحوص الأنصاري يذكر أياماً جميلة قضاها في ربوع العقيق:

هـل تذكـرين عَقيـلُ أو أنسـاكِـه ... بعدي تقلب ذا الزمانِ المُفسدِ(١)
يومي ويومـك بالعقيق إذ الهـوى ... منـا جميعُ الشمـل لم يتبـدَد

وقال يتشوق إلى العقيق، وذكره بصورة المثنى(٢):

---

(١) عقيل: ترخيم عقيلة، وهي امرأة من ولد عقيل بن أبي طالب (شعر الأحوص ص ١٠٩).

(٢) لقد ثنى الشاعر (العقيق) فما العقيقان اللذان عناهما؟ هل يعني تقسيم العقيق إلى (كبير) و(صغير) كما قسمه بعض المؤرخين؟ ولا أظن أن ذلك كان شائعاً في أيام الشاعر الأحوص المتوفى سنة (١٠٥ هـ) وقد يريد (العقيق وعلماً آخر معه ثم ثناهما (العقيقين) من باب التغليب.

ولم أجد من ثنّى عقيق المدينة غير الأحوص إن كان يقصد ذلك. قال ابن منظور في اللسان: والعقيقان بلدان في بلاد بني عامر من ناحية اليمن فإذا رأيت هذه اللفظة مثناة فإنما يعنى بها ذانك البلدان. وإذا رأيتها مفردة فقد يجوز أن يعنى بها (العقيق) الذي هو وادٍ بالحجاز وأن يعنى بها أحد هذين البلدين لأن مثل هذا قد يفرد كـ(أبانين) قال امرؤ القيس فأفرد اللفظ به:

كـأن أبـانـاً فـي أفـانـيـن وَدْقـه ... كـبيـرُ أنـاس في بجَـاد مُـزمـل

وقال ابن سيده: وإن كانت التثنية في مثل هذا أكثر من الإفراد، أعني فيما تقع عليه التثنية من أسماء المواضع لتساويهما في الثبات والخصب والقحط، وأنه لا يُشار إلى أحدهما دون الآخر. ولهذا ثبت فيه التعريف في حال التثنية ولم يُجعل كزيدين، فقالوا: هذان أبانان (جبلان) حسنين. فنُصب النعت على الحال لأنه نكرة وُصفتْ بها معرفة، لأن الأماكن لا تزول فصار كالشيء الواحد، وخالف الحيوان إذا قلتَ: هذان زيدان حسنان. ترفع النعت ههنا لأنه نكرة وُصفتْ بها نكرة. وأما ثبات الألف واللام في العقيقين فعلى حدّ ثباتهما في العقيق. انظر (اللسان) مادة (عق) و(معجم البلدان في (أبانان).

أقول بعمّان وهل طربي به إلى أهل سلع إن تشوقت نافع[1]
أصاح ألم تُحزنك ريحٌ مريضةٌ وبرق تلالا بالعقيقين لامع[2]
فإن الغريب الدار مما يشوقُه نسيمُ الرياح والبروق اللوامع

وقال عليّ بن الجهم، وهو عراقي المنشأ، يذكر العقيق وبئر عروة في مقدمة قصيدة:

هذا العقيق فعدّ أيدي العيس عن غلوائها
وإذا أطفت ببئر عروة فاسقني من مائها

وقال إبراهيم بن موسى الزبيري:

ليت شعري هل العقيقُ فسَلْعٌ فقصورُ الجَمّاء فالعرصتان
فإلى مسجد الرسولِ فما حا ز المُصَلّى فجانبا بُطحان
فبنو مازنٍ على العهد أم ليسـ ـوا كعهدي في سالف الأزمان؟.

وقال عبد السلام بن يوسف الجماهري الدمشقي ثم البغدادي[3]:

على ساكني بطن العقيق سلامُ وإن أسهروني بالفراق وناموا
حَظَرتُمْ عليّ النومَ وهو محللٌ وحلّلتمُ التعذيبَ وهو حرامُ
ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودةٌ وهل لي بتلك البانتين لِمام
وهل نَهْلة من بئر عُروةَ عذبةٌ أداوي بها قَلْباً براه أوام

وقال أعرابي يتشوق إلى العقيق:

ألا أيها الركبُ المُخبّون هل لكمْ بأهل العقيق والمنازل من عَلَمْ؟[4]
فقالوا: نعم تلك الطلول كعهدها تلوح، وما معنى سؤالك عن عَلَمْ؟[5]

(١) سلع: جبل كان بطرف المدينة ثم وصله العمران. وتشوف: تطاول لينظر إلى شيء بعيد. يعني: هل ينفعه تطاوله هذا ونظره إلى المدينة وهو بعمان مع بعد ما بينهما.
(٢) أصاح: ترخيم صاحبي. وريح مريضة: لينة الهبوب رقيقة.
(٣) عبد السلام بن يوسف متوفى سنة ٥٨٢ هـ ودفن في سفح قاسيون، وكان قدم دمشق يسترفد صلاح الدين (فوات الوفيات جـ ٢ / ٣٢٦).
(٤) علم: العلم في اللغة: الجبل. وأراد هنا جبلاً بعينه.
(٥) علم هنا: قد يريد بها اسم جنس، وهو الجبل أيّ جبل، يريد ماذا يفيد سؤالك عن جبل خالٍ من السكان، وقد يقصد: العلم: بمعنى العلامة، لأن الأطلال علامة.

فقلت: بلى إن الفؤاد يُهيجُه تذكرُ أوطانِ الأحبةِ والخَدَمْ

وقال حكيم بن عكرمة الديلي يتشوق إلى المدينة:

لعَمَري لَلْبلاطُ وجانباه وحَرة واقمٍ ذاتُ المَنار
فجمّاء العقيقِ فعرصتاه فمُفضي السيلِ من تلك الحِرار
أحبُّ إليّ من فجّ ببُصرى بلا شك هناك ولا تمار
ومن قُريانِ حمصَ وبعلبكٍ لو اني كنتُ أُجعل بالخيار

وقال سعيد بن سليمان المساحقي يتشوق إلى عقيق المدينة، وهو ببغداد ويذكر غلاماً اسمه زاهر، وأنه ابتلي بمحادثته بعد أحبته:

أرى زاهراً لما رآني مُسهَّداً وأنْ ليس لي من أهل بغداد زائر
أقام يعاطيني الحديثَ وإننا لمختلفان حين تُبلى السرائر
يُحدّثني مما يُجمّعُ عقلُه أحاديثَ منها مستقيمٌ وجائر
وما كنتُ أخشى أن أرانيَ راضياً يُعللني بعد الأحبة (زاهر)
وبعد المُصلّى والعقيق وأهله وبعد البلاط حيث يحلو التزاور
إذا أعشبتْ قُريانه وتزينتْ عِراصٌ بها نبت أنيق وزاهر[1]
وغنّى بها الذِّبانُ تقرو لنبتها كما واقعتْ أيدي القيان المزاهر[2]

وقال يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب:

آليت أني لا أطيعُ عَذولي وإن اشتملتُ على جَوَىً وغليلِ
شرْعُ الهوى دارستُ فيه عصابةً أخذوا برأي كُثيّرٍ وجميل
يا برقُ حيّ على العقيقِ محلةً حالتْ وعهد الشوق غير مُحيل
شقّتْ عليه المعصراتُ جيوبَها وبكتْ بدمعٍ لا يجفّ، هَمُولِ

---

(١) قُريان: جمع مفرده: القَري وهو مسيل الماء من الربوة إلى الروضة.

(٢) الذبان: بكسر الذال المعجمة: هو الذباب، وقد يطلق على الذنابير والنحل والبعوض. وتقرو: تقصد.

وكـأنمـا وجـدتْ بهـا لمّـا عفت وَجْدي، فأعـولت الرعـودُ عويلي
لم يَبْقَ منهـا غيرُ أشعثَ دارسٍ مثلي على طـول الـزمـان نحيـل
فـوددت من وَلَهي بـه وصبـابتي لـو بتّ منه بنـاظـر مكحـول
لا عهدها عندي وإن بعدَ المدى عـافٍ ولا شكـري لهـا بقليـل

**القسم الثالث: من الشعر العقيقي:**

الذي يجعل العقيق معلماً من معالم المدينة المنورة، ويجمع معه غيره من الأماكن الحجازية البارزة التي تميز الإقليم الحجازي. وهو الشعر الديني الذي يحن إلى مهبط الوحي، وموطن الرسول ﷺ، ويتتبع الأماكن البارزة التي شهدت مرور الرسول عليها، ما بين مكة والمدينة.

وليس غريباً أن تتعلق قلوب المسلمين بآثار الرسول على القرب والبعد، فقد كان يفعل ذلك صحابة رسول الله ﷺ.

لما روي أن عبدالله بن عمر كان يتتبع آثار رسول الله يصلي فيها، وروى البخاري أن ابن عمر كان يتحرى الصلاة تحت الشجرة في ذي الحُليفة، وفي المعرس بالقرب من الشجرة.

وروى ابن كثير أن النبي ﷺ نزل تحت شجرةٍ، فكان ابن عمر يتعاهدها ويصب في أصلها الماء[1].

وروى الزبير بن بكار أن الرسول نزل الأكمة من الفُرْع، فقال في مسجدها الأعلى ونام فيه، ثم راح فصلى الظهر في المسجد الأسفل من الأكمة، ثم استقبل الفُرع فبرّك فيها (دعا بالبركة).

وكان عبدالله بن عمر ينزل المسجد الأعلى فَيقيلُ فيه، فيأتيه بعض نساء أسلم بالفراش، فيقول: لا، حتى أضع جنبيّ حيث وضع رسول الله جنبه.

---

(١) البداية والنهاية جـ ٩/ ٥.

وكان سالم بن عبدالله يفعل ذلك(١).

ومن أشهر الشعراء الذين مدحوا رسول الله ﷺ، الشاعر محمد بن سعيد البوصيري(٢) وقد مر بنا ذكر مطلع قصيدته، في شعر الحنين إلى الحجاز. والبوصيري شُهِر في عالم المديح النبوي ببردته لكثرة إنشادها، ولكنه لم يكن أكثر الشعراء مدحاً لرسول الله، ولم يكن أشعر الشعراء في هذا الميدان.

فهناك الشاعر يحيى بن يوسف المشهور بالصرصري(٣). قال ابن شاكر الكتبي: في ترجمته: «صاحب المدائح النبوية السائرة في الآفاق، لا أعلم شاعراً أكثر من مدائح النبي ﷺ، أشعر منه، وشعره طبقة عالية، وكان فصيحاً بليغاً. . ولكن شعره المطبـوع قليل، ولذلك قل ذكره بين الناس. وقد أكثر في شعره من ذكر العقيق ومواطن الحجاز، وهذا بعض ما قاله، قال يمدح النبي ﷺ:

ذكـرَ العقيقَ فهـاجَهـه تـذكـارهُ ... صبٌّ عن الأحبـاب شطَّ مزاره
وهفت إلى سَلْعٍ نـوازِعُ قلبـه ... فتضـرمتْ بين الجوانـح نـاره
كلِفٌ بـرامـة مـا تـألّق بـارقٌ ... من نحـوهـا إلا بـدا إضمـاره
يشتـاق واديهـا ولـولا حبُّهـا ... لـم يُـصْبـه وادٍ زهـتْ أزهـاره
شغفـاً بمن ملك الفؤاد بـأسـره ... وبـودِّه ألاّ يُـفـكَ إسـاره
لـولا هـواه لمـا ثنى أعـطافَـه ... بـانُ الحجـاز وَرنْـدُه وعَـراره(٤)

---

(١) معالم طابة/ ٣١٧، والبخاري رقم ٤٨٣ في الفتح.

(٢) أصله من صهناجة من المغرب، ومنسوب إلى «بوصير» من أعمال بني سويف بمصر، من أشهر شعره: البردة، شرحها وعارضها كثيرون، و«الهمزية» وله قصيدة على وزن بانت سعاد مطلعها:

إلى متى أنت بـاللذات مشغـول ... وأنت عن كـل مـا قـدَّمت مسؤول

توفي سنة ٦٩٦ بالاسكندرية.

(٣) منسوب إلى صرصر بالعراق، قتله التتار ٦٥٦ هـ.

(٤) الرند: شجرة صغيرة طيبة الرائحة. والعرار: نبت أصفر طيب الرائحة. . (النرجس البري).

وقال أيضاً من قصيدة يمدح بها النبي ﷺ:

بين العقيق وبين سَلْعٍ مَربعٌ ... للقلب فيه وللنواظر مَرْتَع
عَطِرُ الثرى أرجٌ كأنّ لطيمةً ... من مِسك دارين به تتضوع[1]
كلفي ببانات العقيق وإنما ... وجه اشتياقي بالحجاز مُبَرْقع
عجباً لجسم بالعراقِ مُخَلّفٍ ... وفؤاده مُغرى بطيبةَ مُولعُ

وقال أيضاً من قصيدة مطلعها:

يوم أراك به فلستُ أصومُه ... فالعيدُ عندي ثابتٌ تحريمه

ومنها يقول:

لولاك لم يُطل العقيقُ تلفتي ... ولما شجاني بالغُوير نسيمُه
ولرُبَّ خِلّ قال لي وبدا له ... ما ليس يُجهل في الهوى معلومُه
ما لي أراك إلى الأبارق طامحاً ... أبداً سنا برق فأنت تَشيمه[2]

وتعلقت قلوب الأندلسيين والمغاربة بمعالم الجزيرة العربية، فحنوا إليها وتشوقوا لرؤية صحرائها، ورندها وعرارها، رغم ما كانوا فيه من جنات وارفة الظلال، فقد كان حال شعراء المغرب كما قال ابن دقيق العيد[3]:

إذا كنتُ في نجدٍ وطيب نعيمه ... تذكرتُ أهلي باللوى فمَحسّر
وإن كنتُ فيهم زدتُ شوقاً ولوعةً ... إلى ساكني نجدٍ وعيل تصبُّري
فقد طال ما بين الفريقين موقفي ... فمن لي بنجدٍ بين أهلي ومَعْشري

---

(١) اللطيمة: نافجة المسك. ودارين: قرية في بلاد الشام.
(٢) الأبارق: الموضع المرتفع ذو الحجارة، وهو علم على عدد من الأماكن منها «أبرق العزاف» بين المدينة والربذة، سمى به لأنه كان يسمع به عزيف الجن. وذكره أهل السيرة في قصة إسلام خريم بن فاتك (انظر الإصابة في تمييز الصحابة) ترجمة خريم ٢٢٤٦.
(٣) هو محمد بن علي بن مطيع القشيري، متوفى سنة ٧٠٢ هـ مجتهد وعالم من أهل مصر، وانظر الأبيات في (نفح الطيب) جـ١/ ٦٨.

وكما كانوا يحنون إلى نجد، فقد كانوا أشد تشوقاً إلى طيبة الطيبة والعقيق. . . قال أحد الأندلسيين الوشاحين:

ولستُ من سكرتي مُفيقا حتى أرى حجرة الرسولِ
فإن يسهلْ لي الطريقا فذاك أقصى مني وسُولِ
متى ترى عيني العقيقا ويفرح القلب بالوصولِ

وقال عبد العزيز القشتالي من قصيدة يمدح بها رسول الله ﷺ[1]:

لقد نفحتْ من شِيح يثربَ نفحةٌ فهاجتْ مع الأسحار شوقي وأشجاني
وأذكرني نجداً وطيب عَراره نسيمُ الصَّبا من نحو طيبةَ حيّاني
ومن لي بأن يدنو لقاكمْ تعطُّفاً ودهريَ عنِّي دائماً عِطفه ثاني
وأنْعَمَ في شطّ العقيق أراكةً بأفيائها ظلُّ المنى والهوى داني

وقال محمد بن يوسف بن زمرك[2] من قصيدة مطلعها:

لعلَّ الصَّبا إن صافحتْ روضَ نَعْمانِ تؤدي أمان القلب عن ظبية البان

يقول فيها:

غريبٌ بأقصى الغرب قَيّد خطوه شبابٌ تقضى في مراح وخسران
يجدّ اشتياقاً للعقيق وبانه ويصبو إليها ما استجد الجديدان
وإنْ أومض البرق الحجازيُّ مَوهِناً يُردّد في الظلماء أنَّةَ لهفانِ[3]

وقال لسان الدين بن الخطيب مورِّياً:

بنفسي حبيبٌ في ثناياه بارق ولكنها للواردينَ عَذابُ
إذا كان لي منه عن الوصل «حاجر» فدمعي «عقيق» بالجفون مُذاب[4]

---

(١) وزير سلطان المغرب المنصور بن أحمد، متوفى سنة ١٠٣١ هـ. (نفح الطيب جـ ٥/ ٢٤).

(٢) محمد بن يوسف: وزير من كبار الشعراء في الأندلس انتهت حياته قتلاً سنة ٧٩٣ هـ وكان قد سعى في أستاذه لسان الدين الخطيب حتى قتل خنقاً.

(٣) موهناً من الليل: نحو منتصفه أو بعد ساعة منه (نفح الطيب جـ ٥/ ٤٨).

(٤) الحاجر: الأرض المرتفعة التي وسطها منخفض. والحاجر: أيضاً: ما يمسك الماء من =

وقال ابن لسان الدين عبدالله بن محمد من قصيدة طويلة:

تـذكـرتُ العقيقَ فسـال دمعي عـقيـقـاً مِـنْ تَـذَكُّـره مُـذابـا
أقـول لنسمـةٍ مـرتْ صبـاحـاً يُعـطّر عَـرْفُهـا القفـرَ اليبـابـا
ألا يـا هـذه كـوني رسـولي وكوني إن رجعتِ لي الجوابـا

وقال الشاعر الأندلسي رفيق بن جابر:

لـك يـا وادي العقـيق علينـا كـلُّ مـا شئت من ذِمـام وَثيق
فـمن الـبـر أنـني أتـبـرّى من عُقـوق لـمنـزل بـالـعقـيق

وقال أيضاً:

يـا راحـلاً يبغي زيـارة طيبـةٍ نـلتَ المُنى بـزيـارة الأخيـار
حيِّ العقيق إذا وصلتَ وصفْ لنا وادي مِنى بـأطـايبِ الأخبـار

---

= شفة الوادي. وهو موضع بالمدينة غربي النقا ـ والنقا غربيّ المصلى ـ إلى منتهى حرة الوبرة من وادي العقيق، قال المجد: وهو المذكور في الأشعار لا«حاجر» الذي هو منزل من منازل الحاج بالبادية. وفي الأقوال: «إذا قيل العقيق وحاجر، اشتد الشوق، وانحدر الدمع من المحاجر» «معجم البلدان» و«معالم طابة» و«لسان العرب» حجر.

# الفَصلُ السَّابِع

## «مجتمع العقيق»
## دراسة اجتماعية واقتصادية

أولاً: الدراسة الاجتماعية.

أ - عناصر المجتمع العقيقي.

ب - أحكام اجتماعية.

جـ - مجتمع المدينة في كتب الأدب.

د - بعض خصائص سكان المدينة بعامة وأهل العقيق بخاصة.

ثانياً: الدراسة الاقتصادية.

أ - جغرافية المدينة.

ب - جغرافية العقيق.

جـ - إخصاب العقيق.

خاتمة: العقيق في العصر الحديث.

# الدراسة الاجتماعية

**عناصر المجتمع العقيقي:**

كانت بداية عمران العقيق في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما نزع ملكيته من بلال بن الحارث حيث عجز عن إحياء مواته، وأقطعه عمر الناس، ولم يكن لعمر من أهداف سوى التوسعة على الناس، وعمران الأرض، وكان قلبُ المدينة كاد أن يضيق بسكانه، لكثرة الوافدين إلى حرم رسول الله، يطلبون الإقامة والمجاورة، فأحب عمر أن يوجد للناس أماكن جديدة للسكنى، وموارد جديدة للرزق، وأرض العقيق غنية بخيراتها، جديرة باستغلال المسلمين لها.

وربما كان هدف عمر من إعمار العقيق أن تكون أطراف المدينة عامرة بسكانها، ليكون ذلك بمثابة الدَّرْء والحماية، ولأن توسيع المدينة يعطيها هيبةً ويجعلها مرهوبة من الأعداء...

وقد عمل الرسول ﷺ بهذا المبدأ في حياته، ودعا الناس القاطنين في أطراف المدينة أن يبقوا في أماكنهم وألا ينتقلوا قريباً من مسجد رسول الله[١].

---

(١) انظر حديث جابر في مسند أحمد جـ / ٣/ ٣٣٢. ومسلم في (المساجد) ومسند أبي يعلى رقم (٢١٥٧). وفيه أن بني سلمة ذكروا للنبي بعد منازلهم عن المسجد فقال النبي ﷺ: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم».

وقد عقد البخاري في صحيحه باباً تحت عنوان «كراهية النبي ﷺ أن تُعْرَى المدينةُ» وروى عن أنس بن مالك، قال: أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد، فكره رسول الله أن تُعْرَى المدينةُ، وقال عليه الصلاة والسلام: «يا بني سَلَمة ألا تحتسبون آثاركم، فأقاموا»[1].

قال القسطلاني في شرح البخاري: «أراد عليه الصلاة والسلام أن تبقى جهات ـ المدينة عامرة بساكنيها ليعظم المسلمون في أعين المنافقين والمشركين، إرهاباً لهم، وغلظة عليهم. وقد علل رسول الله بقاء بني سلمة بالأجر، لأنه ذكر المصلحة الخاصة بهم ليكون ذلك أدعى لهم على الموافقة وأبعث على نشاطهم إلى البقاء في ديارهم».

فكان إقطاع عمر العقيق للناس، تجديداً لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام بأن تكون أطراف المدينة عامرة، وقد خص الرسول العقيق بعنايته، ووردت الآثار التي تحث على عمارته، وتفضيله على غيره من المواطن.

وقد قضت ظروف خاصة أن يتكون مجتمع العقيق من عناصر معينة، يغلب عليها القرشيون بوجه عام، والأمويون بوجه أخص.

ومن هذه الظروف أن الذين يحتاجون إلى الأرض والسكن هم المهاجرون: أما الأوس والخزرج، فهم ليسوا بحاجة إلى أرض العقيق، لأنهم أهل المدينة وهم يملكون البيوت والأرض والبساتين، ولو كانت تضيق بهم أرضهم لعمروا العقيق قبل الإسلام. يضاف إلى ذلك أنهم لم يكونوا من أهل الثراء، أو العطاء الكثير، ولم تكن حياتهم فيها الكثيرُ من الرفاه، وسكنى العقيق يحتاج إلى المال الوفير، وهو في الوقت نفسه، متعة وانتجاع ورفاهية، وهذه لا تتوفر أدواتها لدى رجالات الأنصار. ولم تظهر منهم الشخصيات القيادية التي تتولى الإمارة، وتتقرب إلى الخلافة،

(١) كتاب «فضائل المدينة» ورقم (١٨٨٧) من الفتح. وكتاب «الأذان» رقم (٦٥٥) وروايته «فكره أن يُعروا المدينة». يقال: أعراه، إذا أخلاه.

بل لم تكن الخلافة الأموية تطمئن إليهم، وهم لم يكونوا يطمئنون إليها، منذ أن اتهموا أنهم خذلوا عثمان بن عفان ولم يدافعوا عنه[1].

وهناك ظروفٌ وجدتْ في العصر الأموي، وهو العصر الذي اتسع فيه عمران العقيق وازدهر..

حيث كان الأمويون قد حموا أفضل الأراضي في العقيق، وأصبحت لا تُقطع إلا بإذن خاص من الأمير أو الخليفة الأموي.

قال المؤرخون عن عرصتي العقيق: «والعرصتان بعقيق المدينة من أفضل بقاع المدينة وأكرمها وأنزه أصقاعها، وبنو أمية كانوا يمنعون البناء في عرصة العقيق ضناً بها بينهم، وأن سلطان المدينة لم يكن يقطع بها قطيعة إلا بأمر الخليفة».

وقوله: «ضناً بها بينهم» أي بين بني أمية، فقد خصوا أنفسهم بأطيب الأماكن في وادي العقيق.

ورغم أن بني أمية كانوا قد نزحوا عن المدينة في عهد ابن الزبير، إلا أنهم عادوا جميعهم بعد القضاء على سلطان ابن الزبير في الحجاز. فلم يكن مقر الأمويين في الشام، حيث مركز الخلافة، وإنما كان مقرهم في الحجاز، وفي المدينة المنورة بصورة خاصة.

وأسباب استقرارهم في المدينة متعددة، ذكر منها المؤرخون: أن خلفاء بني أمية لم يكونوا يستغينون بالأمويين في تصريف أمور الدولة إلا في الحالات النادرة.. فلم يجد الأمويون خيراً من المدينة لكي يستمتعوا بحياة هادئة بعيداً عن القلاقل والفتن، وكانت تأتيهم أعطياتهم، وهبات الخلفاءِ لهم، وهم في مقر إقامتهم.

وكان أبناء الصحابة من القرشيين والأمويين من مواليد المدينة

(١) نظر كتاب «المدينة في العصر الأموي» للمؤلف. الحلقة السابعة من سلسلة دراسات حول المدينة.

المنورة، فاعتبروا المدينة موطناً لهم بالولادة والعيش، ووجدت في نفوسهم الرابطة التي تجذبهم إلى المدينة وتشدهم إليها، وتجعلهم يشعرون بالحنين إذا فارقوها... وقد وجدنا مثالاً على هذا في حياة الشاعر أبي قطيفة ابن الوليد بن عقبة الأموي.

ويجدون في المدينة تلبية لرغبة ملحة عند العربي، والقرشي، وهي التباهي والتفاخر والمنافسة، والقرشي إنما يباهي وينافس أقرانه من القرشيين.. وفي المدينة المنورة الفروع الأقوى منافسة في الإسلام من القرشيين، وهم الأمويون، والهاشميون وبنو الزبير.. فكان الشاب الأموي يجد نفسه وشخصيته في هذا المجتمع عندما يباهي بما لديه من الخصائص.

ونتيجة لما عرضت من الظروف فإننا نستطيع أن نقول: إن سكان العقيق في الأغلب الأعم كانوا من القرشيين، لأنهم أهل الحاجة إلى الأرض، ولأنهم أقدر الناس على عمران الأرض لما لديهم من المال.

ونجد في مقدمة القرشيين: الأمويين، فهم أكثر الناس عمراناً في العقيق، حيث خصوا أنفسهم بأكرم بقاعه، ولأنهم أكثر قدرة من غيرهم على العمران والبناء، حيث ينالون من الهبات والعطايا أكثر من غيرهم.

ويأتي في الدرجة الثانية آل الزبير، وقد سجل المؤرخون أن الزبير بن العوام رضي الله عنه أصلح أراضيَ واسعة في الغابة ووجدت له آثار عمران. وجاء بعد ذلك عروة بن الزبير فبنى قصراً في العقيق سكنه أبناؤه من بعده، وسكنه بعض أحفاده في العصر العباسي.

أما الهاشميون، أو العلويون: فإن المتتبع لقصور العقيق في العصر الأموي لا يكاد يجد ذكراً لهم.. وهناك أسباب كثيرة يمكن للمؤرخ أن يضعها لابتعاد العلويين عن سكنى العقيق من أهمها:

أن العلويين لم تنقطع حربُهم مع الأمويين، والعباسيين من بعدهم، والحرب الدائمة تمنع من الحصول على الأموال الضرورية لبناء

القصور، ولا توجد الفرصة للهدوء والاستمتاع بملاذ الحياة..

وبقي العلويون مدة العصر الأموي إما في حالة ثورة على الحاكم يعيشون للاستعداد لها، أو يعيشون في آلام الفشل في الحصول على ما أقدموا عليه. فلم يجدوا الوقت الكافي للانصراف إلى العمران، وليست عندهم أدواته. ثم إن سعيهم الحثيث وراء الخلافة يجعل من بقائهم في المدينة خير سبيل لتحقيق مأربهم، ليبقوا على اتصال بالناس في جوار الحرم النبوي الشريف. فهم يتعللون في ثوراتهم بأنهم من أحفاد النبي ﷺ، وأن حقهم في الخلافة نابع من قرابتهم القريبة من رسول الله، والرسول يرقد في حجرته الشريفة داخل المسجد النبوي، والناس يقصدون المدينة للصلاة في مسجد رسول الله والسلام عليه، ولذلك فلا يليق بطلاب ميراث النبي أن يتركوا مجاورة القبر الشريف.

وهناك قلة من غير الأمويين والزبيريين ممن سكن العقيق مثل أبي هريرة وسعيد بن زيد، اللذين سكنا الشجرة وقلة من بني مخزوم وكانت تربطهم بالأمويين صلة مصاهرة، وسعد بن أبي وقاص الذي سكن العقيق هروباً من الفتن، والمقداد بن عمرو، ولكن الذي يبدو أن سكنى هؤلاء كانت مقصورة على أشخاصهم ولم ينتقل ذلك إلى خلفهم، لأننا لم نقرأ لهم دوراً في المنافسات التي دارت في مجتمع العقيق.

**أحكام اجتماعية:**

ما مصادر الأحكام الاجتماعية؟

المجتمعات نوعان: إما مجتمع حاضر معاصر، وإما مجتمع مضى وأصبح في سجلات التاريخ.

أما المجتمع المعاصر: فإننا نصدر أحكامنا الاجتماعية عليه من خلال دراسة ميدانية شاملة، نستنتج منها الأحكام على المجتمع المدروس.

وأما المجتمع الماضي: فإننا نرجع إلى سجلات التاريخ لنأخذ منها أحكامنا الاجتماعية.

ومجتمع العقيق: من المجتمعات التاريخية، ولذلك نرجع إلى ما سجله المؤرخون عنه، وقبل الرجوع إلى المصادر، نصنف طبقات الناس الذين سكنوا العقيق، وعند التصنيف نجد منهم: الأمراء، والشعراء، والعلماء، والفقهاء، والمحدثين، ومنهم الصحابي، ومنهم التابعي، ومنهم من يلي هذين الجيلين.. ومنهم من لم يكن متميزاً باختصاص، فيكون من أهل الثراء أو النسب الرفيع.

وجميع هذه الأصناف نجد لهم تاريخاً خاصاً بهم.. ووجدت الكتب المتعددة التي تترجم لرجال كل طبقة من الناس..

ويكاد الإنسان يجزم، بأنه لم توجد أمة من الأمم اعتنت بتاريخ رجالها مثلما عني المسلمون بتاريخ رجالهم، ولا سيما رجال القرنين الأول والثاني من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وبما أن تاريخ العقيق جزء من تاريخ المدينة وكانت المدينة في القرنين الأول والثاني مرجع الناس في نقل تراث الإسلام، لذلك وجدنا عناية خاصة في كتب التراجم برجالات المدينة في هذين القرنين، فلا يخلو أن يكون أحدهم محدثاً أو فقيهاً، أو له علاقة قريبة أو بعيدة بهذين الصنفين من الناس.

ومن خلال ترجمة الرجل نعرف الكثير من حياته الاجتماعية وعلاقاته بالناس، ورأي الناس فيه، ومنزلته في مجتمعه، ونعرف سلوكه الاجتماعي وطريقة عيشه، وهذه الأمور هي التي تهمنا عند إصدار الأحكام الاجتماعية.

والكتب التي تحدثت عن رجال المدينة المنورة في العصر الأموي، هي:

١ ـ كتب تراجم الرجال التي ألفها رجال الحديث: وصلنا منها عدد كبير، أذكر منها: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر. «والاستيعاب في أسماء الأصحاب» لابن عبد البر. وكتابي «تهذيب التهذيب» و«لسان الميزان» لابن حجر. و«تذكرة الحفاظ» للذهبي ـ و«طبقات ابن سعد

الكبرى» و «سير أعلام النبلاء» للذهبي . . . وغيرها كثير[1] . . ويعتبر مثل هذه الكتب من أصدق ما دُوّن في التاريخ الإسلامي لأنها لم ترو إلا ما صح لديها من الأخبار عن الرجال، حيث تعتبر الترجمة حكماً على الرجل، فإن كان عدلاً أخذنا بما يرويه من الأحاديث، وإن كان مجروحاً رفضنا ما يرويه من الأحاديث.

٢ ـ كتب الأنساب: وهي تعطي أحكاماً موجزة عن الرجل ولكنها تلخص الكثير من حياته:

ومن هذه الكتب: «نسب قريش» لمصعب الزبيري. و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم. و «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار. وأصحابها موثقون فيما ينقلون لصدور الحكم عليهم بالثقة من غيرهم.

٣ ـ «كتب التاريخ العام» مثل تاريخ الطبري، وابن كثير، وابن الأثير، والمسعودي وكتب تاريخ الأدب ومن أشهرها كتاب «الأغاني».

والزمرة الثالثة من هذه الكتب تجمع كل ما وصل إلى أصحابها من الأخبار دون تمييز، وكتب الأدب خاصة غايتها القصص والتسلية، ولم يكن مقصدهم من سرد الأخبار إصدار الأحكام، ويمكن أن نضم إلى هذه الزمرة من الكتب، كتب التراجم التي يقصد بها التعريف بالرجال من باب الثقافة والمعرفة العامة التي يجب أن يجمعها الأديب في تلك العصور، ومنها «وفيات الأعيان» لابن خلكان، و «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي.

---

(١) يضاف إليها أبواب من كتب الحديث المعتمدة، ذكرت مناقب الصحابة، وقد عاش في العصر الأموي عدد كبير منهم، ووجود أيّ رجل في سلسلة سند حديث صحيح يعتبر تعديلاً للرجل، لا يحتمل الطعن فيه.

وإذا أردنا أن تكون أحكامنا صادقة، فلا بد من الرجوع إلى المصادر السابقة، ونستخرج منها أسماء الرجال الذين ورد لهم ذكر في تاريخ العقيق، ثم نصنفهم ونعرف من كثرتهم الغالبة نوع السيطرة السلوكية التي تسود المجتمع، فإذا كانت كثرتهم من الشعراء والعابثين، وقلة قليلة من الفقهاء، فإننا نحكم بأن الصفة الغالبة على المجتمع هي العبث، وإذا وجدنا كثرتهم الغالبة من العلماء والفقهاء والمحدثين فلا بد أن تكون الغلبة لسلوكهم وستكون مجالسهم هي الغالبة، ومقصد الناس إليهم أكثر.

ونرجع إلى سيرة الأمراء في ذلك العصر، ونطبق المثل القائل «كما تكونوا يولى عليكم» فإذا وجدنا أمراء المدينة في ذلك العصر ممن انغمسوا في اللهو والغناء، وعطلوا الحدود، فإننا نحكم بأن المجتمع كان منغمساً في اللهو والملذات، وإن وجدنا في سيرتهم محاربة لمظاهر اللهو وتطبيقاً لحدود الشرع، فإننا نعرف أن الخنا والفحش يتواريان في أماكن محدودة من المجتمع.

وعند الرجوع إلى الروايات الموثوقة عن تاريخ المدينة في العصر الأموي ـ والعقيق جزء من المدينة المنورة لا ينفصل عنها ـ فإننا نستطيع أن نقدم الأحكام التالية:

**أولاً: سياسة السلطة التنفيذية، الاجتماعية بعيدة عن الانحراف:**

كانت السلطة في المدينة بيد ثلاثة رجال: الأمير: ويعيّنه الخليفة الأموي ـ ورئيس الشرطة، وقاضي المدينة ويعينهما أمير المدينة.

أما أمراء المدينة في العصر الأموي: فإن سلوكهم الاجتماعي كان سلوكاً نظيفاً[1] بعيداً عن الشبهات التي تقدح في عدالتهم. ورغم ما رُوي عن قسوتهم السياسية على أهل المدينة، فإنه لم ينقل عنهم انهماكاً

(١) راجع «المدينة في العصر الأموي» للمؤلف.

في الملذات أو تقرباً لفسقة الشعراء، أو أنهم عقدوا مجالس الغناء، بل الكثير منهم معدّلون في رواية الحديث، وتُروى لهم اجتهادات في كتب الفقه.

وانظر سيرة: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وابنه عمرو بن سعيد، والوليد بن عتبة، وأبان بن عثمان، وهشام بن إسماعيل، وعثمان بن حيان المري... وغيرهم من الأمراء، نجد أن هؤلاء الأمراء كانوا ينفذون الحدود على الشارب والسارق، والقاذف، وغيرها من الحدود، وكانوا يطاردون الفساق والمراق، ويقيمون الصلوات للناس ويقودون الحجيج في الموسم.

وكان رجال شرطتهم ينفذون ما يأمرونهم به، لأنهم يستمدون سلطتهم من الأمير الذي عينهم.. ومما ترويه كتب التاريخ أن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف كان على شرطة المدينة أيام خلافة معاوية، في إمارة مروان بن الحكم، واشتد في محاربة الفساد حتى شكا بعض الشعراء من ذلك فقال[1]:

منع اللهوَ والهَوَى وسُرى الليل مصعبُ
وسياطٌ على أكف الرجال تقلب

وكان القضاة أيضاً منفذين لأحكام الله محاربين لكل خروج على شرع الله، ومن أخبار القضاة، ما روي عن القاضي سعد بن إبراهيم، أنه جلد رجلاً دخل عليه، فقال الرجل: في أي شيء جلدتني، فقال: في السماجة. فقال قائل في المدينة في ذلك[2]:

جلد الحاكمُ سعدٌ ابنَ سَلْمٍ في السماجة
فقضى اللّهُ لسعدٍ من أميرٍ كلّ حاجة

(١) نسب قريش للزبيري/ ٢٦٨.
(٢) المعارف لابن قتيبة/ ٢٣٧.

**ثانياً: سيادة العلماء في المجتمع:**

لقد امتد عصر الصحابة في المدينة حتى وصل إلى أواخر العشرة الثامنة[1] في القرن الأول، وكان يعاصرهم كبارُ التابعين من العلماء الذين كانوا يُفتون في حضور[2] الصحابة، وكان النصف الثاني من القرن الأول وبداية القرن الثاني يعج بالعشرات من الفقهاء والمحدثين، يلتف حولهم أهل المدينة لأخذ العلم عنهم، ويقصدهم التلاميذ من الأمصار الإسلامية. وإذا كانت الأمصار الإسلامية يبرز فيها عالم واحد في الفترة الواحدة فإن المدينة المنورة قد شهر فيها سبعة من العلماء، ممن يسمون «الفقهاء السبعة» وشهرة سبعة دلالة على وجود سبعين معهم في عصرهم[3].. ولكن هؤلاء السبعة ممن اشتهروا بالفتوى بين الناس. وكثرة العلماء تدل على كثرة التلاميذ وكثرة التلاميذ تدل على انكباب الشباب على طلب العلم، ولزوم العلماء، وحضور الصلوات في المساجد التي يجلس فيها العلماء، ولا شك أن طلب العلم كان يستغرق وقتاً طويلاً من طالبه، مما يجعله ينشغل عما سواه من ملهيات الحياة.

**ثالثاً: كان مجتمع المدينة يجمع بين فضيلتين:**

**الأولى**: أن السيادة في المجتمع للعرب، وكان العرب، ولا زالوا في ذلك الوقت محافظين على أعراضهم مبتعدين عن كل ما يؤذي جيرانهم، كما قال شاعرهم:

وأغضُّ طرفي إن بدتْ لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

وقول الآخر:

ولا أُلقي لذي الوَدَعات سَوْطي أُداعبُه وربَته أُريدُ

---

(١) توفي جابر بن عبدالله سنة ٧٨ هـ في المدينة، وكانت له في أواخر حياته حلقة في المسجد النبوي «الإصابة».

(٢) انظر ترجمة «أبو سلمة بن عبد الرحمن» في تذكرة الحفاظ جـ ١/ ٦٣.

(٣) انظر «طبقات التابعين في المدينة» في الطبقات الكبرى «لابن سعد» جـ ٥.

**والثانية**: الإسلام حيث جاء الإسلام، فاعتنقوه عن إيمان، ووجدوا في أخلاقه ما يوافق طبعهم، فكانت الأخلاق العربية الموروثة التي أقرها الإسلام، والإسلام المتغلغل في النفوس من خير الوسائل التي تحمي المجتمع، وتدفع عنه الانحراف.

**رابعاً: أن قمة النماء الاقتصادي ظهرت آثارها في وادي العقيق**: فقد سكن وادي العقيق كلّ مَنْ كان ذا ثراء موروث، أو صاحب سيادة وجاه، يفد عليه مِنْ عطاء الخليفة الكثير، أو صاحب عمل وتجارة تدران عليه الخير الوفير. وتَمثل في مجتمع العقيق أرقى ما وصل إليه المجتمع المدني من تطور في وسائل العيش.. وكان التنافس بين سكان العقيق في: تزيين البناء، وظهوره بالمظهر المعجب في ظاهره، وداخله ويتنافسون في كسب رضى المجتمع بالحمد والثناء بما يقدمونه من كرم الضيافة.. وكان رجال العقيق محافظين على كل ما تعارف عليه المَجتمع المدني من أخلاق، مبتعدين عن كل ما يسيء إلى الشرف والمروءة والأخلاق الفاضلة، وعلى كثرة ما ورد في كتب الأدب من قصص الماجنين والمغنين، فإننا لم نقرأ بأن قصراً من قصور العقيق، كان موطناً لما يشين الأخلاق.. مع أن طبيعة مجتمع العقيق تتوفر فيه دواعي الانهماك في الملذات، حيث كان العقيق متنزه أهل المدينة، وكان في بيئة العقيق «الماء والخضراء والوجه الحسن» وفي مجتمع العقيق «الشباب والفراغ والجدة»، وهذه أمور تسبب التفلت من قيود العرف الاجتماعي.. ولكن الخصائص المانعة من ذلك كانت أقوى، وهي: الدين، والشرف، والنسب الرفيع، والمحافظة على العرف العربي.. ولو كانت الانحرافات التي تتحدث عنها كتب الأدب، موجودة في وادي العقيق، لوجدناها فيما وصل إلينا من أخبار التهاجي الذي حصل بين أصحاب القصور. وعندما هجا بعضهم قصر «عاصم» كان الهجاء محصوراً في شكل القصر، وفي بخل صاحب القصر، ولو علم

الشعراء أشياء تسيء إلى المهجو لما توقفوا عن ذكرها.

**خامساً**: لا ندّعي أن مجتمع المدينة.. والعقيق جزء منه.. كان المجتمع المثالي الخالي من كل عيب، ولكن الذين يمثلون الخنا، والانهماك في الملذات كانوا قلةً، متوارين عن أعين المجتمع، ولم يكن لأخلاقهم سلطان على المجتمع، لا كما نفهم من كتب الأدب، ولا سيما كتاب الأغاني: والدليل على ذلك أن المجتمع كان ينفر من الأخلاق الاجتماعية الطارئة، ويُبدي الناس تذمرهم منها للسلطان، وبالتالي يقوم السلطان بمطاردة الوكور التي يتخذها الفساق مقراً لهم، ويقيم الأمير الحد الشرعي على كل من أمسك متلبساً بما يخالف الشرع[1].

**مجتمع المدينة المنورة في كتب الأدب:**

من أوسع الكتب التي تحدثت عن أخبار الشعراء، وما يتصل بالشعراء من المغنين، كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني. وهو كتاب قصص، وأخبار، ومسامرات، وفي أخباره، ما هو صادق، وما هو كاذب، وصاحب كتاب الأغاني «علي بن الحسين الأصبهاني الأموي»، قال فيه ابن حجر في «لسان الميزان» أبو الفرج الأصبهاني شيعي، وهذا نادر في أموي، كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء، يأتي بأعاجيب بـ«حدثنا وأخبرنا» فكتب ما لا يوصف كثرة حتى لقد اتهم. «ونقل عن العلماء.. أنه أكذب الناس، كان يشتري كثيراً من الصحف ثم تكون رواياته كلها منها».

وقد اعتمد عليه مؤرخو الأدب في العصر الحديث في تكوين فكرة عن المجتمع في المدينة المنورة في العصر الأموي.. ولا سيما أصحاب

---

(١) انظر كتابنا «المدينة في العصر الأموي» فصل «الحياة الاجتماعية» «وتراجم أمراء المدينة في العصر الأموي».

المذهب الاجتماعي في تفسير الأدب، حيث يرون أن الأدب والشعر صورة من المجتمع، فإذا أردنا أن نفهم مجتمعاً ما، فما علينا إلا أن ندرس حياة الشعراء، فنأخذ الصورة الصحيحة عن المجتمع.

ومن أقدم من أصدر أحكاماً اجتماعية على المجتمع الحجازي، وبخاصة مجتمع المدينة، المستشرق الإيطالي «كارلو نالينو» في محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصرية سنة ١٩١٠/ ١٩١١ م وجمعت تحت عنوان «تاريخ الآداب العربية»، وأخذ عنه فيما بعدُ الدكتور طه حسين في «حديث الأربعاء». وتبع طه حسين، الدكتور «شوقي ضيف» في كتبه التي أرخت للأدب في العصر الأموي.

وصورة المجتمع المدني عند مَنْ ذكرتُ، تجد فيها كل مظاهر اللهو والانغماس في الملذات، ومجالسة المغنين والمغنيات. وينسحب هذا الحكم على كافة طبقات المجتمع.

يقول شوقي ضيف «وقد أقبل أهل المدينة على هذا الغناء إقبالاً شديداً يشترك في ذلك عامتهم وخاصتهم وعبّادهم وزهّادهم وقُضاتهم، حتى لتؤثر عن عمر بن عبد العزيز أصواتٌ تغنّى بها في إمارته لهم. وكان من أشرافهم مَنْ جعل داره أشبه بفندق للمغنين والمغنيات على نحو ما هو مأثور عن عبدالله بن جعفر، وقصد الناس لداره يسمعون بها ألوان الغناء، وقد تخرج في هذه الدار كثيرون من المغنين والمغنيات المطربين»[١].

ويقول: وعلى هذا النحو عاشت المدينة في هذا العصر لفنّ الغناء تنمّيه وترقّيه ورقيّه، إنما هو رمز لما أصاب مجتمعها من تطور وتحول وتحضّر».

---

(١) انظر «العصر الإسلامي» ص ١٤١.

ويقول: «ومعنى ذلك كله أن مجتمع مكة كان على غرار مجتمع المدينة حضارة، وترفاً ومرحاً، ورقة وغناء، وعزفاً كلّ ليلة على أوتار العيدان والطنابير والآلات الموسيقية من كل لون»[1].

ويقول: «ولمع في هذا المجتمع كثيراتٌ من النساء قُدْن المرح فيه والظرف وعملن على تهذيب الأذواق، نذكر من بينهن سُكينة بنت الحسين، وقد ترجم لها أبو الفرج في أغانيه ترجمة صور فيها جمالها وبهاءها. . . وكانت تفسح في مجالسها للرجال والمغنين والمغنيات والشعراء، وكثيراً ما كانت تفاضل بينهم»[2].

واستشهد المؤلف على ذلك بحنين الشاعر أبي قطيفة إلى المدينة عندما نفاه ابن الزبير إلى الشام، فيقول: «ولعلنا الآن نفهم حزن أبي قطيفة الأموي على فراق هذا المجتمع. . فقد أخذ يبكي بلدته في شعر مؤثر ولا نقرأ هذا الشعر حتى نحس كأنه طرد من فردوسه الأرضي، يقول:

القصرُ فالنخلُ فالجماءُ بينهما     أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

ويقول:

أقْطَعُ الليل كلَّه باكتئابٍ     وزفيرٍ فما أكاد أنام

إلى أشعار كثيرة تصور رقة حسه وحنينه بل لهفته على الحياة الهنية في مسقط رأسه.

والجواب عن كل ما ذكر الدكتور شوقي ضيف من وجوه:

١ ـ اعتمد في نقل أخباره على كتاب الأغاني، ليحكم على مجتمع المدينة في القرن الأول، ومن أعضاء المجتمع الذين ينطبق

---

(١) العصر الإسلامي ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق/ ١٤٢.

عليهم الحكم: العلماء والفقهاء والقضاة.. وأبو الفرج ليس ثقة في النقل أصلاً، فكيف ننقل أقواله للحكم على أهل الفقه والحديث والصحابة. فإذا كان أبو الفرج مرجعاً في أخبار الشعراء فليس مرجعاً في أخبار صالحي القوم[1].

٢ ـ نقل عن عمر بن عبد العزيز، أنه نقلت عنه أصوات تغنى بها أثناء إمارته على المدينة.. وليس غريباً ذلك في سيرة عمر أن يتغنى ببعض الأصوات أثناء إمارته على المدينة. لأن سيرة عمر بن عبد العزيز التي تُعتبر سنة وقدوة كانت بعد خلعه عن إمارة المدينة، وبوجه أخص بعد توليه الخلافة.

أما في بداية حياته فقد عُرف عنه الاستمتاع ببعض متع الحياة في غير إسراف. روى ابن حجر في ترجمة «يعقوب بن أبي سلمة الماجشون» أنه كان يجالس عمر بن عبد العزيز في إمرته على المدينة ـ وكان يرى سماع الغناء ـ وكان عمر يأنس به، فلما استخلف عمر، قدم عليه، فقال له: إنا تركناك حين تركنا لبس الخزّ، فانصرف عنه».. ولكن عمر الذي كون مجلس شورى من علماء المدينة لا يمكن أن ينغمس في الغناء، وهو الذي طلب منهم أن يبلغوه عن كل انحراف يجدونه في المجتمع.

٣ ـ ونقل عن أبي الفرج، أن عبدالله بن جعفر جعل داره أشبه بفندق للمغنين والمغنيات.. ولو صحت هذه الأخبار عند أهل الحديث لما أخذوا عنه حديثاً واحداً. وعبدالله بن جعفر، معدود في الصحابة، وهو ثقة يُنقل عنه الحديث. وكل ما نقله نَقَدَةُ الرجال عنه، أنه كان لا

(١) انظر ترجمته في «لسان الميزان» لابن حجر، وانظر كتاب «النثر الفني في القرن الرابع الهجري» للدكتور زكي مبارك ص ٢٨٨ ـ ٢٩٠، حيث قال: «ولكن الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أن لرواية الأغاني قيمة تاريخية وأن يبنوا على أساسها ما يشاؤون من حقائق التاريخ». وانظر كتاب «مصادر السيرة وتقويمها» لفاروق حمادة ص ٩٨.

يرى بسماع الغناء بأساً. «وأنه كان مع سماعه الغناء ديناً محافظاً على فروض ربه ملازماً قراءة القرآن»[1].

٤ ـ وأما سكينة بنت الحسين بن علي، وزوجة مصعب بن الزبير: فالأخبار التي قيلت حولها ملفقة، وليست صحيحة، ولا تناسب حال سكينة ومكانتها الاجتماعية بلْه مكانةَ أسرتها الهاشمية. وقد ترجم لها الذهبي في سير أعلام النبلاء ولم يذكر عنها شيئاً مما رواه صاحب الأغاني.. ومع ذلك لا يمنع أن تشتغل سكينة بالشعر، وتسمع إلى الشعراء، وتفاضل بينهم، ولكن ذلك يكون من وراء حجاب[2].

٥ ـ أما حنين أبي قطيفة، فلم يكن حنيناً إلى مرابع اللهو التي كانت في المدينة، وقد رأينا قبل ذلك في فصل «العقيق في الشعر العربي» أن الحنين إلى الوطن طبع في الإنسان الحر، وأن الشعراء قد حنوا إلى المدينة المنورة وهم ليسوا منها، فليس غريباً على شاعر رقيق الإحساس أن يحن إلى مسقط رأسه، ورأينا أن أبا قطيفة حنَّ إلى الأرض والمعالم والأمجاد التي عهدها لبني أمية في المدينة. ولكن الدكتور شوقي ضيف قطع المثال الذي ساقه من سياقه وليس فيما استشهد به، ولا في سياق قصائد الشاعر ما يدل على حنينه إلى مواطن الغناء والترف بل كان أبو قطيفة في الشام، يسكن القصور المنيفة ويجد من المتاع ما لا يجده في المدينة، ولكنه فضل المدينة على دمشق، لأن المدينة موطنه.

٦ ـ لقد قلتُ إن أخبار أبي الفرج فيها الصحيح والسقيم، بل السقيم منها أكثر من الصحيح، ولا يحتاج الباحث إلى كثير من الجهد ليعرف الوهن في سند الأخبار ومتنها. وأقدّم هنا مثالاً واحداً، لكثرة

---

(١) انظر «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» لابن عبد البر. و«الإصابة» ٤٥٩١.

(٢) انظر «الحدائق الغناء في أخبار النساء» لأبي الحسن علي بن محمد المعافري. خطيب المسجد الأقصى، المتوفى سنة ٦٠٥ هـ. تحقيق «عائدة الطيبي».

دورانه في الشواهد التي يتخذها المؤلفون دليلاً على انهماك أهل المدينة في الغناء واللهو. أو على كثرة الغناء في العصر الأموي.

فقد شاع على ألسنة المؤرخين في عصرنا أن الإمام مالك رضي الله عنه كان في صباه يتبع المغنين، وكاد أن يصبح مغنياً لولا أن أمه صرفته عن هذا الاتجاه إلى الفقه، ونقل الأستاذ أحمد أمين في كتابه «فجر الإسلام» نصاً عن الأغاني يفيد هذا المعنى، مستدلاً به على كثرة الغناء في المدينة إبان العصر الأموي(١)، حيث ولد الإمام مالك في بداية العقد الأخير من القرن الأول، وكان قد بلغ سن الكهولة عندما انتهى العصر الأموي.

وقد رجعتُ إلى أصل الخبر في كتاب الأغاني لأبي الفرج - وكان أولَ من رواه - فوجدته كما يلي(٢):

أخبرني محمد بن عمرو العتابي قال: حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفي قال: حدثني حسين بن دحمان الأشقر قال: كنت بالمدينة، فخلا لي الطريق وسط النهار، فجعلت أتغنى:

ما بالُ أهلك يا رباب خُزْرا كأنهم غضاب(٣)

قال: فإذا خوخة(٤) قد فتحت، وإذا وجه قد بدا، تتبعه لحية حمراء، فقال: يا فاسق، أسأت التأدية، ومنعت القائلة، وأذعت الفاحشة، ثم اندفع يغنيه، فظننت أن طويساً قد نُشر بعينه، فقلت له:

---

(١) انظر «فجر الإسلام» ص ١٧٧ لأحمد أمين.

(٢) الأغاني جـ ٤/ ٢٢٢ ترجمة المغني طويس.

(٣) الشعر منسوب إلى علس ذي جدن الحميري، من ملوك حمير في الجاهلية ولقب: ذا جدن - لحسن صوته. ومعنى قوله «خُزرا» جمع أخزر الذي ينظر بلحظ عينه.

(٤) الخوخة: الباب الصغير.

أصلحك الله من أين لك هذا الغناء؟. فقال: «نشأت وأنا غلام حدث أتبع المغنين، وآخذ عنهم، فقالت لي أمي: يا بني إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه، فدع الغناء، واطلب الفقه فإنه لا يضر معه قبح الوجه، فتركت المغنين واتبعت الفقهاء، فبلغ الله بي ما ترى، قلت له: فأعد جعلت فداءك، قال: لا، ولا كرامة، أتريد أن تقول: أخذته عن مالك بن أنس! وإذا هو مالك بن أنس، ولم أعلم».

والمتفحص في متن الخبر، ومقارنته بما عرف عن حياة الإمام مالك يجد فيه الضعف والاختلاق. فقوله: إذا كان المغني قبيح الوجه - كما جاء على لسان والدته، هذا كلامٌ لا يصح، لأن المشهور أن الإمام «كان شديد البياض إلى الشقرة، طويلاً، عظيم الهامة»[1].

وقوله: «فقالت لي أمي..» ومعنى هذا لو كان مالك جميل الوجه - كما ترى الرواية أنه قبيح الوجه - لما صرفته أمه عن الغناء.. وهذا ينافي البيئة التي عاش فيها الإمام مالك طفولته:

فقد كان جده، مالك بن أبي عامر من كبار التابعين وعلمائهم وكان عماه ربيع ونافع من أهل رواية الحديث. وكان أبوه أنس بن مالك يروي الحديث على قلة. وكان له أخ اسمه النضر، [illegible]جه إلى مجالس العلم قبله.

فالأسرة كانت أسرة علم شرعي، فمن أين يأتيه الانصراف إلى الغناء؟[2].... ولم تكن العلاقات الأسرية مفككة حتى يخرج أحد أفرادها على السنة المتبعة في المجتمع.

وأما قوله: نشأتُ وأنا غلام حدث.. إلخ «فهذا أيضاً ينافي أخبار

---

(١) المعارف، لابن قتيبة ٤٩٨. ومقدمة شرح الموطأ.

(٢) انظر «مالك» للشيخ محمد أبي زهرة.

الإمام مالك في طفولته: لأن الروايات الموثوقة تقول: إنه ذكر لأمه أنه يريد أن يذهب فيكتب العلم، فألبسته أحسن الثياب، وعممته، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن، وكانت تقول: اذهب إلى ربيعة فتعلّم علمه قبل أدبه. وقد قال بعض معاصريه: «رأيت مالكاً في حَلْقة ربيعة، وفي أذنه شَنْفٌ[1]»، وهذا يدل على ملازمته طلب العلم منذ صغره.. فإذا كان قد لزم العلم وفي أذنه شَنْف، وهذا يكون قبل سن العاشرة، فمتى جالس المغنين وأجاد فن الغناء حتى حفظ صوت طويس، وبقي عالقاً في ذاكرته مدة طويلة، وأداه أداء حسناً كما صنعه صاحبه؟ إن هذا يقتضي أن يكون الإمام جالس المغنين مدة طويلة ليحذق هذا الفن.

وتقول الرواية: «وإذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء».

ونحن نقول:

إذا كانت القصة حصلت قبل شيب الإمام مالك، فإن الإمام مالكاً كان أسود الشعر. فقد روي في «ترتيب المدارك» عن بعض معاصريه، قال: دخلت المدينة سنة ١٤٤ هـ ومالك أسود الرأس واللحية، والناس حوله سكوت، لا يتكلم أحد هيبة.

وإذا كانت القصة قد حصلت بعد شيب الإمام مالك: فإنه لم يكن يصبغ لحيته، ولا يغير شيبه (المعارف لابن قتيبة)...

وتخالف أيضاً المعروف من أخلاقه، والوقار الذي كان له، فلم يأخذ عليه أحد لغواً في قول أو مزحة أو تندر بنادرة.

أما سند الخبر.. فيكفي أن يكون فيه إسحق بن محمد... لأنه كما يقول ابن حجر في «لسان الميزان» كذاب مارق من الغلاة، وكان

---

(١) الشنف: بفتح الشين، وسكون النون: الذي يلبس في أعلى الأذن (اللسان) وربيعة: هو: ربيعة بن فروخ، متوفى سنة ١٣٦ هـ. ويلقب: ربيعة الرأي. «تذكرة الحفاظ ١/ ١٨٣».

خبيث المذهب يقول: إن علياً هو الله، وكان يطلي بَرَصه بما يغيره فسمي بالأحمر.

قال: ولم يذكره في الضعفاء أئمة الجرح في كتبهم، وأحسنوا، فإن هذا زنديق، ثم قال: ولكنَّ تركَ ذكرِه لكونه زنديقاً، ليس بعذر، لأن له روايات كثيرة موقوفة ومرفوعة، وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج منها جملةٌ، فكيف لا يذكر ليُحذَر.

قال: وإسحق بن محمد هذا... هو الذي يروي محمد بن خلف المزربان عنه، عن حسين بن دحمان الأشقر (وذكر القصة التي في الأغاني).

قال: وفيه قصة مالك معه ـ أي مع حسين بن دحمان ـ وإخباره عن مالك أنه كان يجيد الغناء في حكاية أظنها مختلقة، رواها صاحب كتاب الأغاني، ولا يغترّ بها، فإنها من رواية هذا الكذاب (يقصد إسحق بن محمد)...

هذا مثال من الأخبار التي يعتمد عليها مؤرخو الحياة الاجتماعية في المدينة إبّان العصر الأموي، وغيرها كثير، وقد ضربته مثالاً ليعرف القارىء أن كتب الأدب في القديم والحديث لا يحتج بما ورد فيها من الأخبار والأحكام، لأن أخبارها قابلة للنقض[1].

## بعض خصائص سكان المدينة بعامة وأهل العقيق بخاصة

وعندما دققتُ في الروايات، والأخبار، وتراجم الرجال استطعت أن أخرج بحكم على مجتمع المدينة المنورة، إن لم يكن هو الصحيح، فهو بلا شك الأقرب إلى الصحة والأصدق في الحكم مما رآه مؤرخو الأدب:

(١) إذا قرأت قصة في كتب الأدب والتاريخ عن أهل القرن الأول فلا تقبلها بدون سند، وإذا عرفت رجال السند فارجع إلى كتب الجرح والتعديل لمعرفة مقام الرواة. ومن أمثلة هذه الكتب: «لسان الميزان» و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني. واقرأ في كتاب «منهاج السنة» لابن تيمية وكتاب «العواصم من القواصم» لابن العربي لتعرف نماذج من تهافت روايات المؤرخين ورواة الأدب.

١ ـ إن أهل المدينة ـ الأوس والخزرج ـ كان في طبعهم الرقة والظرف، ولم يكن في طبعهم جفاوة وغلظة، فكانوا يستحسنون الفكاهة الطريفة والنكتة اللطيفة، ويميلون إلى عذب الكلام، وكان الغناء معروفاً لديهم في الجاهلية، وكانوا يتخذون القيان. وعندما دخل النابغة الذبياني المدينة وأحسوا بالإقواء في شعره، لم يروا من اللياقة مواجهته به، فكلفوا قينة تغني له في شعره بطريقة تظهر له فيها ما كان يرتكبه من إقواء[١]، فتنبه إلى ذلك بنفسه.

وقد عرف الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الطبع في أهل المدينة، فيُروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت جاريةٌ من الأنصار في حجري فزففتها، فدخل رسول الله ولم يسمع غناءً، فقال: أهديتم الفتاة إلى بعلها؟ قلت: نعم. قال: فبعثتم معها من يغني؟ قلت: لم نفعل، فقال: «يا عائشةُ أو ما علمتم أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل؟»[٢].

---

(١) «المدينة في العصر الجاهلي» من (سلسلة دراسات حول المدينة) لمحمد الخطراوي.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٣٩١. من طريق أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن أجلح عن أبي الزبير عن جابر. ورجاله ثقات وفيه عنعنة أبي الزبير. وأخرجه ابن ماجه في (النكاح) باب (الغناء والدف) من حديث ابن عباس. وقال البوصيري في (الزوائد) إسناده مختلف فيه من أجل أجلح وأبي الزبير يقولون: إنه لم يسمع من ابن عباس وأثبت أبو حاتم أنه رأى ابن عباس. انظر (تهذيب التهذيب). وانظر (نيل الأوطار) باب (الدف واللهو في النكاح) وفي الباب أحاديث تشهد له.

وانظر الحديث رقم «٢٣٧٥» من صحيح البخاري والحديث «٣٠٩١» والحديث رقم ٥٤٧ من مسند أبي يعلى وكلها عن علي بن أبي طالب قال: أصبتُ شارفاً (المسن من النوق) في مغنم بدر مع رسول الله ﷺ وأعطاني رسول الله شارفاً فأنختهما عند باب رجلٍ من الأنصار أريد أن أحمل عليهما إذْخراً أبيعه ومعي رجلٌ صائغ من بني قينقاع (أستعين به على وليمة فاطمة) وحمزة بن عبد المطلب في البيت يشرب ومعه قينة تغنيه (وذلك قبل تحريم الخمر) تقول:

ألا يا حمزُ للشُّرف النِّواء وهنَّ مُعقَّلات بالفناء =

وقال الحصري في زهر الآداب: «وأهل المدينة أكثر الناس ظرفاً وأكثرهم طيباً وأحلاهم مُزاحاً وأشدهم اهتزازاً للسماع، وحسن أدب عند الاستماع، ونقل عن عبدالله بن جعفر قوله: إن لي عند السماع هزةً لو سُئلت عندها لأعطيتُ، ولو قاتلتُ لأبليتُ.

٢ ـ وناسب الطبع الرقيق، وجود أهل الفكاهة والملح في المجتمع المدني فكان في المدينة أشعب الطامع، واسمه أشعب بن جبير، وأبو السائب المخزومي، وابن أبي عتيق. وكان هؤلاء أهل فكاهة ولم يكونوا أهل مجون، وكانوا على درجة من الصلاح وأداء الفروض..

أما أشعب، فقد ترجم له ابن حجر في «لسان الميزان» وقال: «لا يكتب حديثه» ولم يذكر فيه مطعناً إلا أنه من أهـل الفكاهـة، وأهل الفكاهة مظنة للكذب. وابن أبي عتيق، واسمه عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر، قال مصعب الزبيري: كان امرءاً صالحاً»، وقد كانت فيه دعابة، وسمع من عائشة أم المؤمنين، وكان أهل المدينة يقبلون على سماع الدعابات إذا كانت لا تقدح في المروءة.

وقال أبو الدرداء: «إني لأستجم قلبي بشيء من اللهو لأقوى به على الحق».

وقال ابن مسعود: القلوب تمل كما تمل الأبدان، فاطلبوا لهـا طرائف الحكمة.

---

= ضـع السـكين في اللبـات منهـا   وضـرجـهـن حـمـزةُ بـالـدِّمـاء
وعـجـلْ مـن أطـايبـهـا لـشـربٍ   قـديـداً مـن طـبـيـخ أو شـواء
... الحديث».

قال الحافظ ابن حجر: في هذا الحديث أربع وعشرون سنةً وذكر منها: «جواز الغناء بالمباح من القول وإنشاد الشعر والاستماع من الأمة..» «فتح الباري جـ٦/ ٢٠١/ تصيح وتحقيق فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز».

وقال ابن الماجشون: «إني لأسمع بـالكلمة المليحـة ومالي إلا قميص واحد فأدفعه إلى صاحبها وأستكسي الله عز وجل».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً»[١].

وكانت رقة الطبع صفة يشترك فيها الناس، ومنهم بعض العلماء والفقهاء، وتنقل كتب الأدب أمثلة على رقة فقهاء الحجاز، منها ما رووه أن أبا حازم[٢] كان حاجاً، فخرج يرمي الجمار فإذا هو بامرأة حاسر[٣] قد فتنت الناس بحسن وجهها وألهتهم بجمالها، فقال لها: يا هذه إنك بمشعـر حرام، وقـد فتنت الناس وشغلتهم عن منـاسكهم فـاتّقي الله واستتري، فإن الله عز وجل يقول: «وليضربن بخُمُرهن على جيوبهن»[٤] فقالت: إني من اللاتي قيل فيهنّ[٥]:

أماطتْ كساء الخزّ عن حُرّ وجهها ... وأرخت على المتنين بُرداً مهلهلا
من اللائي لم يحجْجن يبغين حِسبةً ... ولكن ليقتلن البـريء المُـغفـلا

فقال أبو حازم لأصحابه: تعالوا ندع الله لهذه الصورة ألا يعذبها الله تعالى بالنار، فجعل أبو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون.

فبلغ ذلك الشعبي ـ فقيه عراقي ـ فقال: ما أرقكم يا أهل الحجاز وأظرفكم، أما والله لو كان من قُرى العراق لقال: اغربي عليك لعنة الله».

---

(١) حديث صحيح من حديث أنس. انظر «صحيح الجامع الصغير» للشيخ الألباني (٢٤٩٠).
(٢) أبو حازم: هو سلمة بن دينار. ويقال له: سلمة الأعرج، فارسي الأصل وكان زاهداً عابداً ثقة توفي سنة ١٤٠ هـ (تهذيب التهذيب).
(٣) امرأة حاسر: ليس على وجهها قناع.
(٤) سورة النور آية (٣).
(٥) البيتان للحارث بن خالد المخزومي متوفى سنة ٨٠ هـ. شاعر غزل، ولي إمارة مكة أيام يزيد بن معاوية، فلما ظهر ابن الزبير هرب.

٣ ـ ووافق ما سبق إجازةُ عدد من فقهاء الحجاز، سماعَ الغناء، وأن ما صح سماعه شعراً صح سماعه غناء، إذا كان المنشد رجلاً.

قيل لسعيد بن المسيب: إن قوماً من أهل العراق لا يرون إنشاد الشعر فقال: لقد نسكوا نُسكاً أعجمياً.

وقيل لابن سيرين: إن قوماً يزعمون أن إنشاد الشعر ينقض الوضوء، فأنشد[١]:

أُنبئت أن عجوزاًجئتُ أخطبها عرقوبها مثلُ شهر الصوم في الطول

وفي ترجمة يعقوب بن أبي سلمة الماجشون: وهو من رجال الحديث والفقه في المدينة نقل ابن حجر عن مصعب الزبيري: أنه لقب الماجشون لأنه كان يعلم الغناء، ويتخذ القيان، وكان يجالس عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز في إمرته على المدينة.

وفي ترجمة ابنه يوسف بن يعقوب: نقل ابن حجر عن ابن معين، قوله: كنا نأتيه فيحدثنا في بيت وجوارٍ له في بيت آخر يضربن بالمعزفة. وقال ابن حجر: وهو وإخوته يرخصون في السماع وهم في الحديث ثقات[٢].

وقال الإمام الشوكاني في (نيل الأوطار)[٣]، في باب «اللهو وآلاته» «وفي الباب أحاديث كثيرة، وقد وضع جماعة من أهل العلم في ذلك مصنفات، ولكنه ضعفها جميعاً بعض أهل العلم حتى قال ابن حزم[٤]: إنه

---

(١) زهر الآداب جـ ١/ ١٦٥.

(٢) تهذيب التهذيب (جـ/ ١١).

(٣) نيل الأوطار (جـ/ ٧/ ٩٦) وللعلامة الإمام الذهبي رسالة مخطوطة اختصرها من كتاب (الإمتاع في أحكام السماع) للشيخ أبي الفضل جعفر بن ثعلب الأدفوي الشافعي. وقد اطلعت على مصورة المخطوطة. ونقل الشوكاني عن الأصل في باب (ما جاء في آلة اللهو) جـ/ ٧/ ٩٦.

(٤) انظر «رسالة في أحكام الغناء» لابن قيّم الجوزية، وقد أبطل قول ابن حزم في تضعيف =

لا يصح في الباب حديث أبداً» وقد اختلف في الغناء مع آلة من آلات الملاهي وبدونها، فذهب الجمهور إلى التحريم، وذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر إلى الترخيص في السماع ولو مع العود. واستدلوا بعبدالله بن جعفر الذي كان يسمع الغناء على العود، ونقل عن الثقات أن عبدالله بن الزبير كان له جوار عوادات. ونقل أن مذهب الإمام مالك إباحة الغناء بالمعازف».

ومن فقهاء المدينة من قال النسيب، منهم عروة بن أذينة.. وقيل له: أتقول الشعر على شرفك؟ فقال: لا بد للمصدور أن ينفث. ومنهم عبيد الله بن عبدالله بن عتبة، أحد الفقهاء السبعة. قال ابن حجر: وكان عالماً فاضلاً مقدماً في الفقه تقياً شاعراً محسناً، ولم يكن بعد الصحابة فقيهٌ أشعر منه، ولا شاعر أفقه منه»[1].

ولكن الشعر الذي يسمعونه إنشاداً، ويسمعونه غناء كان الشعر الذي لا يخدش الحياء بل يدعو إلى الفضيلة:

كالذي رُوي أن سعيد بن المسيب سمعه فأُعجب به، حيث سمع منشداً ينشد شعراً وليس غناء[2].

فلم ترعيني مثلَ سرب رأيتُه خَرجن من التنعيم معتمرات[3]
مررن بفخّ ثم رُحن عشيةً يُلبّين للرحمن مؤتجرات[4]

---

= حديث البخاري الذي رواه في «باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه». وانظر الفتح جـ ١٠/ ٤١.

(١) «تهذيب التهذيب» جـ ٧/ ٢٤.

(٢) من شعر محمد بن عبدالله الثقفي النميري، كان يهوى زينب بنت يوسف أخت الحجاج، وكان يشبب بها (زهر الآداب جـ ١/ ١٧٣).

(٣) التنعيم: مكان قرب مكة يحرم المعتمرون منه.

(٤) فخ: موضع كان قرب مكة دفن فيه عبدالله بن عمر، ثم وصل العمران إليه، فأصبح من مكة.

ولما رأتْ، ركبَ النُميري أعرضتْ     وَكنّ من أنْ يلقيْنَه حَذِرات
دعتْ نسوةً شمَّ العرانين بُزّلًا     نواعمَ لا شُعثاً ولا غَبِرات
تضوّع طيباً بطنُ نَعْمان إذ مشتْ     به زينبٌ في نسوةٍ خَفِرات(1)
يُخبّئن أطراف البَنان من التُقى     ويخرجْن شطر الليل مُعتجرات

فقال سعيد بن المسيب: هذا والله مما يلذ سماعُه، ثم قال:

وليست كأخرى وسّعتْ جيب درعها     وأبدتْ بنان الكف للجمرات
وقامتْ تَراءى بين جَمْعٍ فأفتنتْ     برؤيتها مَنْ راح من عرفات

ومع هذا التجوز في السماع، فلم يكن لهم الانكباب عليه كما يصفهم أهل الأدب، وإنما كان سماعهم مصادفة، أو في وقت يحلو السماع، كما قرأنا أمثلة منه على وادي العقيق عندما يسيل واديه ويخرج الناس معبرين عن فرحتهم، فلم يكن الغناء واللهو منتشراً بالصورة التي نراها في كتاب الأغاني، وكما وصفه مؤرخو الأدب في العصر الحديث.
ويبدو لي أن السبب في تضخيم صورة الغناء واللهو في المدينة في العصر الأموي:

أنه روى عن طريق رواة الأشعار وقصص السمر، وليس لهؤلاء ضابط يمنعهم من زيادة الأخبار وتلفيق الحكايات، لأنه ليس من شرط أهل السمر الصدق في القول.

وإن أبا الفرج الشيعي الأموي كان مدفوعاً إلى ذلك دفعاً، إما لمذهبه الشيعي وإما لتلبية رغبة أهل السلطان في تشويه العصر الأموي.
ويضاف إلى ذلك أن مذهب أهل العراق ـ في العصر الأموي ـ كراهة السماع أو تحريمه، ولذلك ضُخمت أخبار الإباحة المعتدلة التي تُنقل عن أهل الحجاز(2).

---

(1) بطن نعمان: واد قريب من الفرات.
(2) وفي العصر الحديث: بدأت الدراسات التاريخية والأدبية والاجتماعية على يد =

**خلاصة**: يمكن أن نوجز القول في مجتمع العقيق في النقاط التالية:

١ - إن المجتمع المدني يتمثل في المجتمع العقيقي، فقد كان سكان العقيق يمثلون الأمراء، والفقهاء، والأثرياء، وأبناء الأسر التي سادت في العصرين الأموي والعباسي، وسكنه الصحابة، والتابعون، وتابعو التابعين، أما رواد العقيق الذين يقصدونه للتنزه في أوقات خاصة فهم يمثلون كافة طبقات المجتمع: من الشعراء، والقضاة، وأهل الفكاهة، ويقصده الرجال والنساء والصبيان.

٢ - كان الذين يبنون القصور على صنفين: صنف بنى من أجل السكنى الدائمة، فليس له مكان غير ما بنى في العقيق. ومنهم من جعل قصره من أجل النزهة والتبدّي في أوقات معلومة من السَّنة، أو في أي وقت يحلو لصاحبه الاستمتاع بأجواء العقيق، ولذلك قال بعض المؤرخين وهم يعرفون ببعض مناطق العقيق «وفيه متبدّى للناس ومتصيد».

٣ - نأخذ من تاريخ العقيق في هذه الفترة، أنهم كانوا ذوي عزيمة قوية في العلم والعمل، فلم يركن أحدهم إلى منزلته الاجتماعية أو مكانته العلمية ليجمع عن طريقها رزقه، بل كانوا يضربون في الأرض سعياً وراء الرزق، واستصلاح الأرض، رغم قلة ما بأيديهم من الوسائل والآلات.

ونستفيد من حياة المجتمع العقيقي - في العصر الأموي، وأوائل

---

= المستشرقين، فاختاروا من تراثنا ما يناسب أهواءهم، واعتمدوا على مصادر هزيلة وقدموا من خلالها آراءهم، واعتنقها رُواد حركة التأليف في بلاد العرب لاعتقادهم بصبغتها العلمية، وهي تحمل في طياتها الكراهية لأمتنا، ولا يقصدون إلّا تشويه تاريخنا. انظر (تاريخ الآداب العربية) كارلو نالينو.

العصر العباسي ـ أن الحياة كانت رخية إلى حد ما، وكان الناس في بُحْبوحة من العيش، وكان الأمن مخيماً على المجتمع، فسكنى الناس في تلك المنطقة موزعين في قصور، بعيداً عن قلب المدينة، يدل على أنهم كانوا آمنين على نفوسهم وأموالهم ولا يخشون غارات اللصوص، وبالقياس إلى الفترات التالية من العصر العباسي، فإننا نجد الناس قد ضووا إلى قلب المدينة، وبدأ بناء السور حولها، بسبب ما كان يحصل من السطو حتى استفحل الأمر فيما بعد، ولم نعد نجد خارج السور ساكناً، فلما عاد الأمن والخير يعمان البلاد، عاد العقيق إلى عمرانه في العصر الحديث.

٤ ـ كانت أشد أوقات العقيق ازدحاماً: في فصل الربيع عندما تلبس الأرض زينتها وعندما يسيل الماء في وادي العقيق.

في هذين الوقتين يخرج الناس إلى العقيق جماعات وزمراً، ويعبرون عن فرحتهم بما يرون بأنواع المتع البريئة: من إنشاد شعر، أو التفاف حول صاحب فكاهة، أو حول بعض أصحاب الأصوات الجميلة، يسمعهم أطيب الإنشاد فيما عذب لفظه وشرف معناه من الأشعار.

٥ ـ لا يصح ما ترويه كتب التاريخ(١) والأدب القديمة والحديثة حول انكباب أهل المدينة على الغناء وسماع المغنين. وإذا أردنا أن نعرف صورة المجتمع المدني فعلينا أن نرجع إلى كتب الحديث الشريف وكتب تراجم الصحابة والتابعين وطبقات الحفاظ والفقهاء، لأنها تتحرى الصحة والصدق فيما ترويه. أما كتب الأدب والتاريخ فهي تجمع السقيم والصحيح من الأخبار، وتحتاج إلى دراسة سندها ومتنها عندما ننقل عنها، وهذه مهمة لا يقدر عليها إلا أهل العلم بالجرح والتعديل.

---

(١) راجع كتاب «أغاليط المؤرخين» للدكتور محمد أبو اليسر عابدين.

## الدراسة الاقتصادية

**جغرافية المدينة:**

المدينة واحةٌ تحيط بها الجبال والجُبيلات، وتتداخل معها الحرات وتتخللها وتدور حـولها، وتنتهي إليهـا الوديـان والمفيضات والسيـول، وتتوزع في منطقتها مساحات مزروعة وأخرى قابلة للزراعة تبعاً لطبيعة التربة وكفاية المياه.

أما الجبال فتحيط بالمدينة من جميع جهاتها، وأقرب ما تكون الجبال إليها من الشمال والجنوب. فعلى بعد ٥,٥ كم شمالاً يقع جبل أحد ممتداً (٩ كم) حيث يتصل طرفه الشرقي بطريق المطار ويشرف طرفه الغربي على قرية العيون ويتـراوح عرضـه بي (١٠٠ - ٣٠٠ م) بارتفاع يصل إلى (٣٥٠ م) عن مستوى الواحة. وتحفه من جميع جوانبه مسايل الأودية وتتصرف منه شعاب تنتهي إلى (المِهْراس)[1] وتحيط به مجموعة جُبيلات أشهرها جبل (عينين) أو جبل الرماة في الجنوب. وإلى شماله يقع جبل (ثَوْر) المذكور في حدّ حرم المدينة.

أما في الجنـوب على بعد (ثمانية أكيال) فيمتد جبل (عير) بين

---

(١) المهراس: بكسر الميم: إسم لعدد من النقر، الكبار، والصغار، يجتمع فيها ميـاه المطر. بالقرب من جبل أحد، والمهراس: حجر مستطيل منقور يوضع فيه الماء. (معجم البلدان)، (ومعالم طابة).

ذي الحُليفة غرباً وحدائق (الوسيطة) شرقاً. لمسافة (٤ كم) ومتوسط عرضه (٧٠ م) ويطل جبل عير من ارتفاع (٣٠٠ م) على وادي أبي هريرة من الشرق وعلى (الحُليفة العليا) من الجنوب. ويميل لونه إلى الاحمرار ـ مثل أحد ـ ومياهه قليلة لأن به اثنتي عشرة بئراً معطلة.

والمدينة تقع بين ثلاث حرات: تحيطها من الشرق حرة (واقم) ومن الغرب حرة (الوَبْرة) ومن الجنوب حرة (شوران). وتمتد الحرار فيما يشبه الرؤوس متداخلة مع المنطقة المسكونة. ومن حرار المدينة: حرة قباء قرب قرية (قباء) وفي ناحية الاتجاه إلى العاقول حرة (ليلى) وتتميز جميع الحرات بوجود الشقوق والانكسارات التي تجري خلالها الأودية.

أما حرة واقم: فقد كانت أكثر عمراناً لأنها كانت مسكونة قبل الإسلام بأشهر قبائل اليهود من بني قريظة والنضير. كما كانت تسكنها أهم البطون الأوسية. وينحدر من حرة واقم وادي مهزور (الغاوي) ويتصل به وادي (مذينيب) ويصبان مع بطحان في (زغابة).

وأما حرة الوَبْرة: فهي كثيرة الشقوق والأودية تتناثر فيها الجبيلات وتنتشر فيها القيعان والأحواض. والأجزاء المنبسطة فيها قليلة المساحة. وتفصل حرة الوبرة بين المدينة والعقيق. وفي بعض شقوقها مُدَّ خط سكة حديد الحجاز. وفي الجهة الغربية من حرة الوبرة الجماوات الثلاث على مجرى العقيق إلى الجرف. وهي تكوينات سوداء متوسطة الارتفاع تجاورها شمالاً جماء أم خالد.. وتنحدر إلى واحة المدينة الوديان وتتجه جميعها في اتجاه عام نحو الشمال الغربي حيث تلتقي في (زغابة) وهذه الوديان من أهم المظاهر التي ساعدت في تكوين المدينة لأنها تحيط بمواضعها السكنية وبخاصة من الشمال والغرب. وأهمها أودية (قناة) و (العقيق) و (بُطحان) ثم ثلاثة أودية أقل أهمية وهي (رانوناء) و (مذينيب) و (مهزور) ويحدد واديا (العقيق وقناة) المدينة من الشمال والغرب، أما الأربعة الأخرى فتجتمع في وادي بطحان من جنوب المدينة

حتى تبلغ سفح جبل سَلْع ثم تفضي إلى زغابة.

أما وادي قناة فالمرجح أن مصدره من (وجّ بالطائف) ويعرف محلياً باسم (سيل سيدنا حمزة) واستدلوا على ذلك بما رُوي عن شريح بن هانىء الشيباني أنه قدم على عمر بن الخطاب ومعه امرأته أم الغمر فأسلمت ففرق بينهما عمر فقال: يا أمير المؤمنين اردْدْ عليّ زوجتي فقال: لا تحل لك إلا أن تسلم فأردَّها عليك فنزل شريح بقناة وأقام بها فقال:

ألا يا صاحبيَّ ببطن وجٍّ رواحاً لا أرى لكما مقاما
ألا تريان أم الغمر أمستْ قريباً لا أُطيق لها مقاما

فجعل (بطن قناة) بطن وجّ لأن السيل يأتي منه[1].

وبعد (قناة) عن المدينة (٤ كم) شمالاً ويفصل بينها وبين جبل أُحد الذي يقع شمال الوادي بنحو (١,٥ كم). ويتجمع في وادي قناة ما يسيل من الأودية النجدية أو يدخل المدينة منحدراً من جبل (تيم) ثم يملأ حوض العاقول ويتجه شمالاً في موازاة الحرة حتى يرجع إلى اتجاهه الغربي.

وأما وادي بُطْحان: فهو الوادي الوحيد الذي يخترق سكن المدينة ويأتي من الحرة العليا ومصدره جبل (ذي جَدْر)[2].

وتتوزع مصادر المياه في المدينة:

طبقات المياه المحصورة: والمياه الجوفنية هنا مختزنة في التكوينات التي تحمل المياه الواقعة تحت الضغط.

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة جـ / ١/ ١٧٢.

(٢) جدر: بفتح الجيم وسكون الدال: وذو جدر: مسرح بناحية قباء، كانت فيها لقاح رسول الله، ﷺ تروح عليه إلى أن أُغير عليها، وأُخذتْ.

وطبقات المياه غير المحصورة: والمياه الجوفية هنا لا تتدفق تلقائياً على سطح الأرض كما هو الحال في المياه المحصورة. وتدخل الآبار اليدوية ضمن هذا النوع.

والنوع الثالث من مصادر المياه: مجاري المياه والأودية. وقد أُقيمت السدود لتجميع مياه السيول والاستفادة منها للزراعة وتغذية آبار المدينة بما يتسرب منها في باطن الأرض.

وقسّم القدماء المدينة إلى: عالية المدينة وسافلتها. أما العالية: فتقع جنوبي وشرقي المنطقة السكنية الرئيسية وتشرف عليها بشكل أشبه بنصف دائرة تحيطها. وهي عند أهل المدينة تشمل القرى الزراعية الجنوبية (قباء، وقربان، والعوالي) ومعظمها قد اتصلت بالمدينة سكنياً

أما السافلة: فهي ما دون ذلك من المدينة. ويشمل الناحية الشمالية والغربية حيث تسفل الأرض وتنحدر إليها السيول. وكان لهذا التقسيم أثره على الحياة في المدينة: فالزراعة قد تأثرت من ناحية الريّ وطرقه (العيون أو الآبار)، ومن ناحية موارد المياه التي تتفاوت عذوبتها بين الأجزاء العالية والمنخفضة. وكانت ـ في القديم ـ تَحُول السيول في السافلة دون تنقل الناس عند فيضانها أو عند نضوبها حيث يكون الوحل. كما كانت سافلة المدينة مباءة للبعوض الذي يسبب الحمى[1].

**جغرافية العقيق:**

من المعروف أن الناس يعمرون الأرض، ويقطنونها إذا توفرت فيها إمكانات العيش، وإمكاناتُ العيش في أي أرض: هي الماء، والإنبات

---

(١) انظر: صحيح البخاري. كتاب (فضائل المدينة) وفيه حديث عائشة رضي الله عنها وقد قالت ـ في بيان سبب الحمى التي أصابت أبا بكر وبلال بن رباحٍ في بداية الهجرة ـ قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله فكان بطحان يجري نجلاً. (تعني ماءً آجناً). ثم تغير الحال فيما بعدُ حيث كثر الناس وسكنوا الأماكن المهجورة وأصلحوا أرضها واستفادوا من كل قطرة من المياه.

وهذا ينطبق على جميع المواطن في الجزيرة العربية، ماعدا مكة - في القدم - التي كان إنشاؤها استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام، فجعل الله أفئدة من الناس تهوي إليها، ورزق أهلها من الثمرات، وهيأ لأهلها رحلتي الشتاء والصيف للتجارة.

أما المدينة، فقد كانت تتوفر لها أسباب العيش في أرضها، ولم يعرف عن أهلها أنهم عنوا بالتجارة كثيراً، إلا ما كان من أمر اليهود الذين لا يتركون طريقاً من طرق الكسب إلا طرقوه.

وإذا كانت للمدينة أسواق تجارية في العصر الجاهلي، فإنما كانت مهبطاً لعرب الحجاز يمتارون منها ما يحتاجونه ولا سيما التمر الذي اشتهرت به المدينة... إذن كان اعتماد أهل يثرب على الإنتاج المحلي والتجارة الداخلية في الدرجة الأولى وإذا كان لهم نشاط تجاري وعلاقات تجارية مع مدن الحجاز، فقد كان يأتي هذا النشاط في الدرجة الثانية في اعتماد الناس عليه، لإكمال النقص في البيئة(١)، ذلك أن أرض المدينة غنية بالخيرات تنتج من الثمرات ما يكفي حاجة أهلها ويزيد عنهم، مع أنهم لم يكونوا يستغلون جميع الأراضي الصالحة للزراعة في المدينة، والدليل على كثرة خيراتها وسعة أراضيها الصالحة للاستغلال، أنها اتسعت لعدد كبير من المهاجرين دون أن يشعروا بنقص في الأرزاق قبل أن ينطلق المهاجرون لاستغلال أراض جديدة.. والعقيق من أرض المدينة البكر التي لم تستغلها يد الإنسان قبل الإسلام وتتوفر فيها كل مقومات العيش الرغيد، من بدايته في النقيع حتى نهايته عند الغابة.

فالعقيق وادٍ عقته السيول - شقته - وفي كل موسم مطر تنهمر

---

(١) تأتي أهمية المدينة التجارية من كونها محطة على طريق القوافل، ولم تكن تنافس مكة في منزلتها التجارية، انظر «المدينة المنورة» للدكتور: عمر الفاروق السيد رجب «وقد نشطت قوافل التجارة من المدينة وإليها في العهد الراشدي حيث هاجر إليها أصحاب الخبرة التجارية من أهل مكة».

الأمطار الغزيرة على المرتفعات والهضاب المحيطة، وتندفع في مجرى السيل، ويتسرب جزء منه إلى باطن الأرض، ويستخرجه الناس بعد ذلك عن طريق الآبار. وما يسيل في بداية الوادي، لا بد أن يصل إلى نهايته، إذا كان المطر غزيراً، ولهذا فإن جميع ضفاف الوادي تكون قابلة للسكنى والزرع لتوفر أسباب العيش.

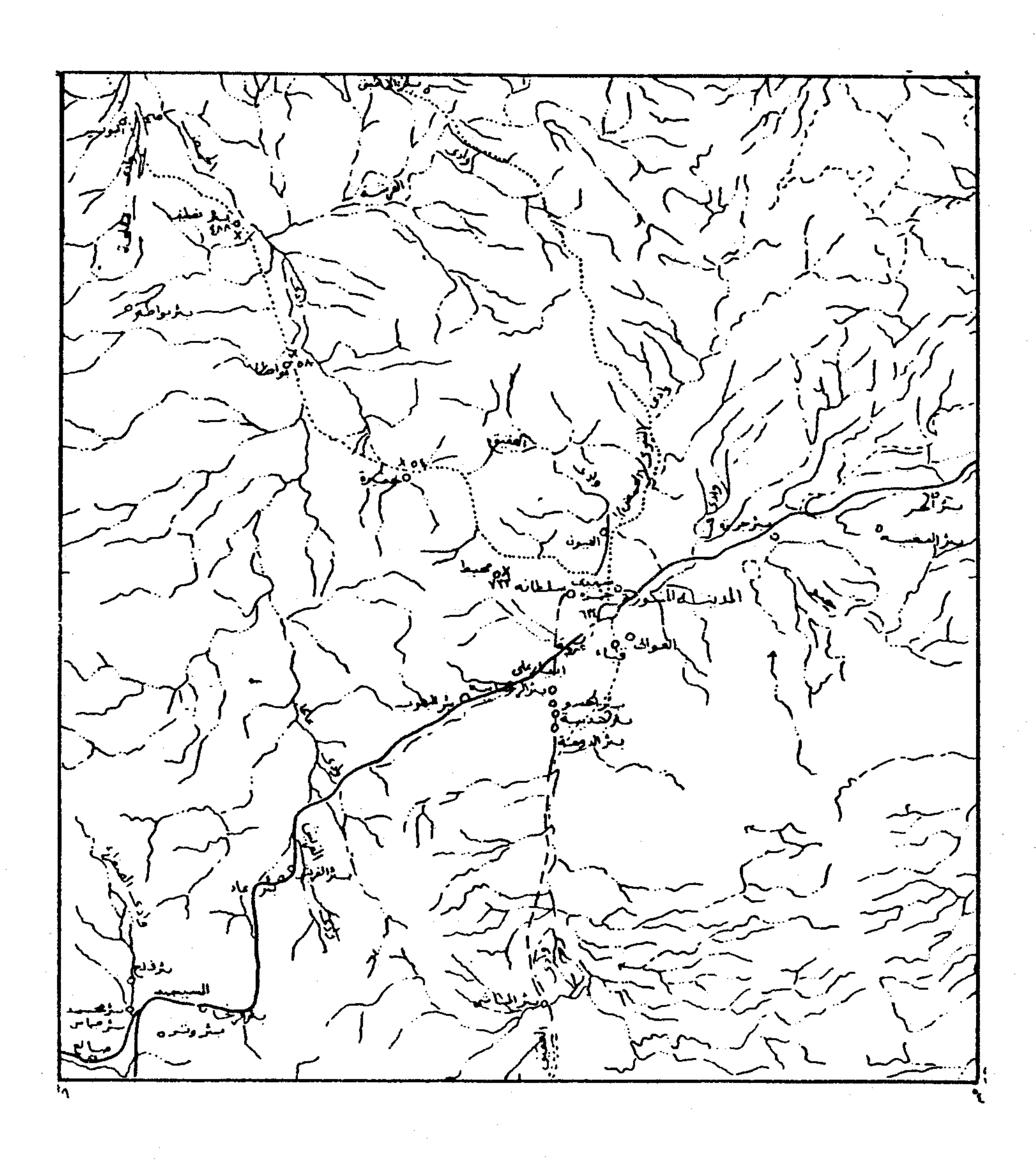
وعندما اشترى عروة بن الزبير مكان قصره، قيل له: إنك لست بموضع مدرّ، فقال: يأتي الله به من النقيع، فجاء سيل فدخل في مزارعه فكساها من خليج كان خلجه.

وينطبق على جغرافية الوديان ما ينطبق على جغرافية الأنهار[1]، ونحن نعرف أن كثيراً من البلدان لا تسقط فيها الأمطار، ولكن يسوق الله إليها أمطاراً تسقط في بلاد بعيدة، فتكوّن الأنهار، فتصل إلى بلاد ما كانت لتوجد لولا أن يسوق الله إليها غيثاً يسقط على غير أرضها. فهذه مصر ـ هبة النيل ـ يسوق الله إليها أمطار إفريقيا فتنعم بخيرات نهر النيل.

وكذلك الحال في أودية المدينة، فإنها تمتلىء بالمياه المرسلة من مكان بعيد. فإذا هطلت المياه على جبال الطائف البعيدة وكانت غزيرة فإنها تصل إلى المدينة المنورة ويفيض وادي قناة.. ووادي العقيق يرسل الله إليه مياه الأمطار التي تسقط على مرتفعات قاصية، تبعد عن المدينة مئات الأكيال.

وهكذا تتوفر لضفاف العقيق إمكانيات العيش في الشتاء والصيف، في الشتاء: من الأمطار والمياه الجارية في مسيل الوادي. وفي الصيف: من المياه التي ادخرتها الأرض لعُمّارها عندما اختزنتها في باطنها، وكأنها تحدب على أهلها كما تحدب الأم على أولادها، فالأرض تحب من يحبها، وتكرم من يقصدها طالباً معروفها، ولكنها لا تقدم ما عندها إلا

(١) انظر «مصادر المياه في المدينة» في كتاب المدينة المنورة، للدكتور عمر الفاروق.



الأودية في منطقة المدينة المنوّرة (خريطة طبوغرافيّة)
عن كتاب «المدينة المنورة» للدكتور عمر الفاروق.

بعد اختبار، فمن فاز فيه سكن إليها، ومن أخفق طردته من أفيائها، لأنها لا تضم إلا المجتهدين.

وإذا كانت أرض العقيق قد هُجرتْ بعد العصر الأموي، فلم يكن ذلك لنضوب معين العيش فيها.. فكم من أرض خصبة، لو زرعت لأجادت، ولكنها مهجورة. لقد وُجدت أسباب جعلت الناس يهجرون أرض العقيق. ومن هذه الأسباب:

١ ـ قد تكون قلة عدد السكان بعد كثرتهم، حيث هجر المدينة عددٌ كبير من الناس لظروف اقتصادية أو سياسية أو أمنية. فأصبح العدد الباقي تكفيه الأراضي القريبة من المدينة والتي لا تحتاج إلى مزيد من الجهد والنفقة.

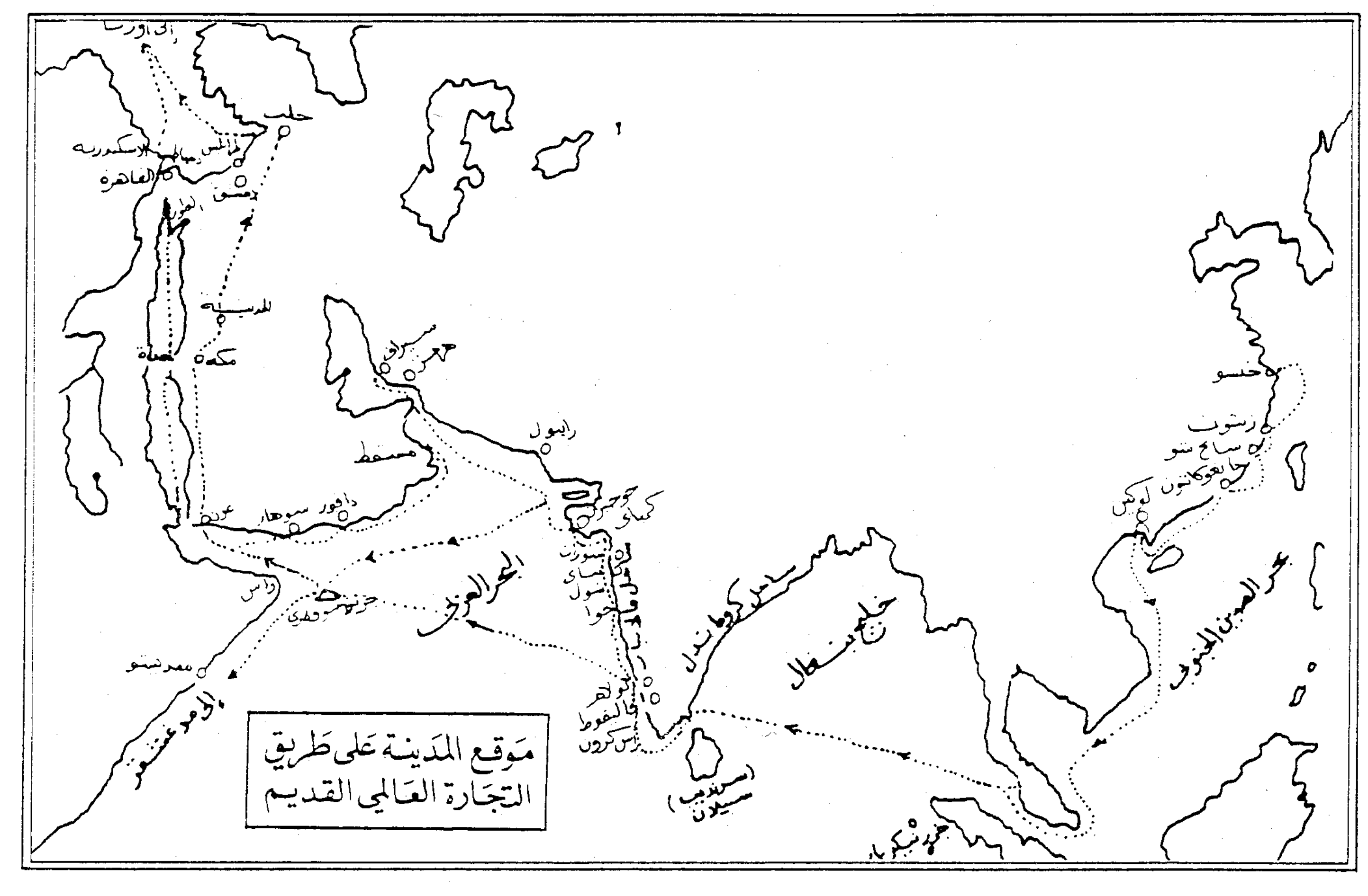
٢ ـ وقد يكون السبب انعدام الأمن في المنطقة لضعف السلطان، فلا يجرؤ الناس على الانفراد بالسكن. والدليل على فقدان الأمن أنه أصبح للمدينة سور وله أبواب تقفل عند كل مساء خوفاً من اللصوص وأهل الغزو، وفي مثل هذه الحال يتجمع الناس في أماكن متقاربة. ولذلك قال السمهودي: ولما طرق المدينة الشريفة الخراب من أطرافها، جعلوا لها سوراً. ويسجل التاريخ وجود أول سور للمدينة في منتصف القرن الرابع الهجري في خلافة الطائع لله بن المطيع لله[1].

٣ ـ وأحياناً الفقر الشديد يؤدي إلى العجز الشديد عن إعمار الأرض. لأن خدمة الأرض لا تحتاج إلى اليد العاملة فقط، وإنما تحتاج إلى الدابة التي تحمل صاحب الزرع وينقل عليها محصوله، وتحتاج إلى مَنْ يساعد صاحب الأرض في الحرث والسقي واستخراج الماء من الآبار وهذه الأشياء تحتاج إلى مال ولو كان قليلاً، فالقليل غير موجود.

ونحن نعرف أن العيشة الضنك قد وصلت إلى درك الفاقة، وكان

---

(١) انظر ـ من هذا الكتاب. «العقيق في العصر العباسي».



عن كتاب «المدينة المنورة» للدكتور عمر الفاروق

الناس قبل العهد السعودي بقرونٍ متعددة تعيش كثرتهم على الصدقة وما يحصلون عليه من عملهم في خدمة الحجاج. ولا شك أن هذه الحال تدعو إلى الكسل، وتخلق أجيالاً من الناس يميلون إلى التواكل ويرضون بالقليل الذي يحفظ عليهم رمقهم، وتصبح حالهم حال المستعطين الذين اتخذوا السؤال مهنة تدر عليهم المال دون جهد.

وقد لاحظت الدولُ في العصر الحديث هذه الظاهرة وأولتها الاهتمام وقدمت لها العلاج. فكل دولة توزع أرضاً زراعية على مواطنيها وتمدهم بالآلة والبذور والمعونة حتى يستطيعوا خدمة الأرض وإنبات الزرع. فإذا اشتد عود المزارع، وجنى المحصول، وحصل على الربح، ذاق حلاوة طعم العمل، وعندها يؤمن أدوات الزراعة اللازمة لحاجة الأرض في المستقبل، وهكذا تبقى الأرض في عمران مستمر.

**شواهد تاريخية على إخصاب أرض العقيق:**

رأينا فيما سبق أن إمكانيات الزرع والعيش في العقيق، موجودة في طبيعة الأرض والشواهد من التاريخ تدل على هذا:

عندما أقطع الرسول عليه الصلاة والسلام، العقيق لبلال بن الحارث، لم يكن ليقطعه له، لو لم يكن أرضاً تدر الخير على مالكها.

وعندما استرجع عمر بن الخطاب العقيق من بلال بن الحارث وأقطعه الناس، لأن بلالاً لم يُحيي الأرض، ولم يستغل ما فيها من الخيرات، فشعر عمر بحاجة الناس إليها فأخذها عمر وأقطعها الناس لأنه لم يقو على إحيائها.

وعندما حمى الرسول عليه الصلاة والسلام حمى النقيع، لأن في أرضه مرتعاً خصباً للأفراس والمواشي، ويذكر لنا التاريخ أن آلافاً من الخيل في عهد عمر، كانت مرصودة للجهاد وكانت ترعى في حمى النقيع وغيره من الأحماء، ورُوي عن الرسول ﷺ قوله: «حمى النقيع

نعم مرتع الأفراس يحمى لهن ويجاهد بهنَّ في سبيل الله»[١].

ووصفه المؤرخون فقالوا: «بأنه قاع طيب يُنبت أحرار البقل والطرفاء ويتشابك شجره حتى يصبح كالأجمة، وهو كثير العضاة والغَرْقد والسّدر والسَّلم والطَّلْح والعوسج».. وفي ترجمة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أنه كان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً[٢] وأرض يعمل فيها عشرون بعيراً لاستخراج الماء، لا بد أن تكون كبيرةً، وعبد الرحمن بن عوف الخبير بطرق جمع المال، لن يضيع وقته في زراعة الأرض لو لم تدر عليه الخير الوفير الكثير، ونحن نعرف أنه كان من كبار تجار المدينة، وروى أن رجلاً زار المدينة ليلقى أصحاب رسول الله، فلقيهم إلا عبد الرحمن بن عوف، وسأل عنه فقيل له: إنه في أرض في الجرف، فلما جاءه ألفاه واضعاً رداءه وبيده المسحاة يُحوّل الماء.

ونقل السمهودي أن الزبير بن العوام، كان قد اشترى أرضاً بالغابة بمائة وستين ألفاً، وبيعت في تركته بألف ألف وستمائة ألف، ولا بد أن الزبير قد عمرها وزرعها وأصبحت جنة وارفة حتى قدر لها هذا الثمن من المال.

وبستان سعيد بن العاص بالقرب من قصره، بيع في تركته بألف ألف، وقد تحدث عنه المؤرخون فقالوا: إن الحَمام لم يكن يطير عن أشجاره لكثرة ما فيه من الثمار.. وقد ذكرتُ في فصل عمران العقيق عدداً من المزارع المشهورة التي تجاور قصور العقيق، وكان من لوازم القصر أن يكون بجانبه مزرعةٌ عامرةٌ بأشجار النخيل والعنب، وغيرها من

(١) انظر «تاريخ المدينة» لابن شبة، الجزء الأول «ما جاء في النقيع»، (وفتح الباري) رقم (٢٣٧٠) باب «لا حمى إلا لله ولرسوله».

(٢) الناضح: البعير، أو الثور، أو الحمار الذي يُستقى عليه الماء. والنضح: سقي الزرع وغيره بالسانية. والنواضح من الإبل: التي يستقى عليها، واحدها ناضح (اللسان).

أنواع المزروعات التي تجود في أرض المدينة. وما كثرة الآبار التي تحفر بجوار كل قصر إلا لزراعة الأرض وسقيها، ولو كان الأمر مقصوراً على شرب الناس لما احتاجوا إلى الآبار الكثيرة، وكانوا أيضاً يحفرون الخلجان، ويبنون السدود لحجز مياه السيل، والاستفادة منها بعد زوال ماء السيل.

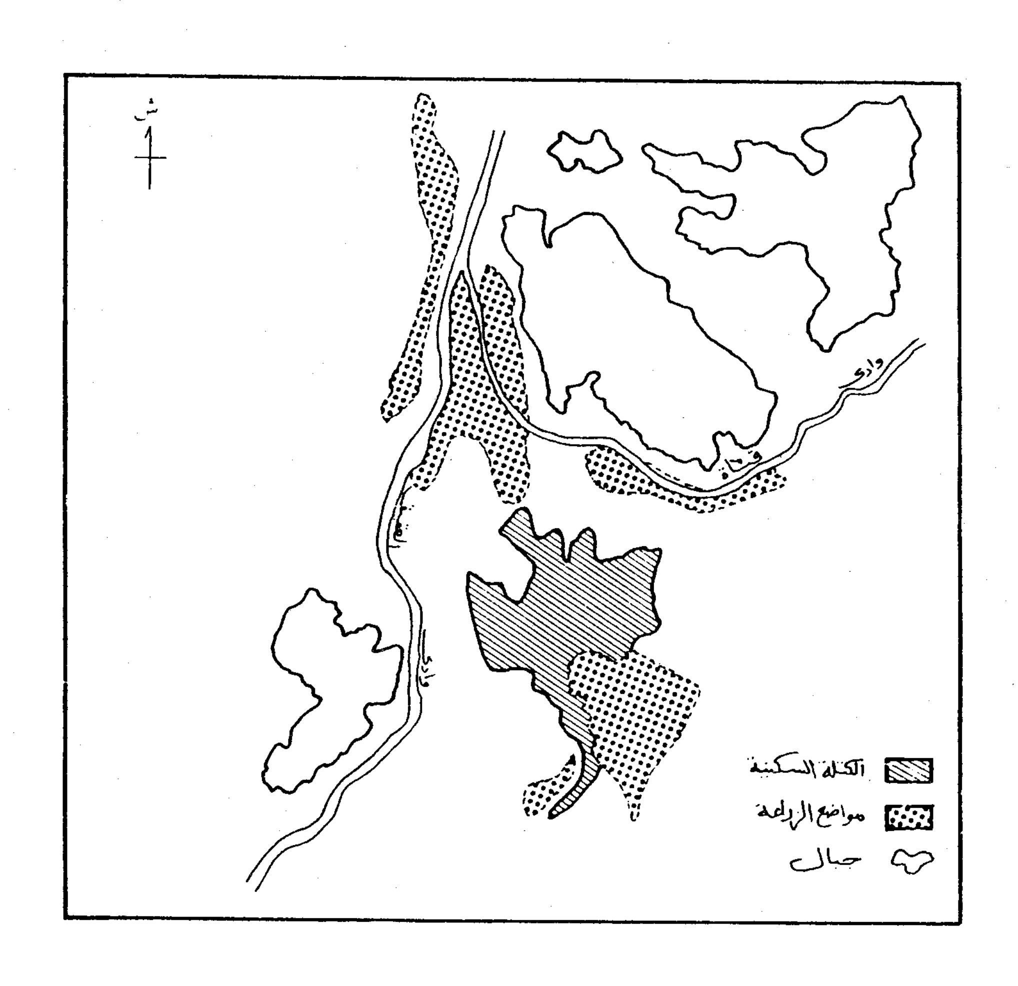
ويروون في وصف مزارع ثنية الشريد، أنها كانت تحوي أعناباً ونخلاً لم يُرَ مثلها، وكانت مزارع عنبسة بن سعيد يسقيها أربعون بختياً[1].

ويؤخذ مما يذكره الإمام مالك في الموطأ في «باب الزكاة» أن الزراعة كانت متعددة الوسائل في المدينة المنورة، لأنه يذكر السنة المعمول بها عند أهل المدينة، فيقول: «والسُنّةُ عندنا» ويقصد بها ما جرى عليه الناس في المدينة المنورة، يقول في زكاة «الحبوب والزيتون» والسنة عندنا في الحبوب التي يدخرها الناس ويأكلونها أنه يؤخذ مما سقته السماء من ذلك، وما سقته العيون، وما كان بعلاً العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر».

ويؤخذ مما يذكره من أنواع المزروعات أنها كانت كثيرة ومتعددة، فيذكر من أنواع الحبوب: الحنطة والشعير والذرة والدخن والأرز والعدس والجلبان واللوبيا... ويتحدث عن الزيتون حديث الخبير العارف بشؤون زراعته فيقول: وإنما يؤخذ من الزيتون العشر بعد أن يعصر ويبلغ زيتونه خمسة أوسق.. ويقول: والزيتون بمنزلة النخيل، ما كان منه سقتْه السماء والعيون أو كان بعلاً العشر، وما كان يُسقى بالنضح ففيه نصف

---

(١) البخت: الإبل الخراسانية، أعجمي معرّب، الواحد بختيّ، والجمل بختيّ والناقة بختية، وهي جمال طوال الأعناق، ويجمع على بخت، وبَخات، وقيل: الجمع بخاتيّ (اللسان).




توزيع مواضع الزراعة في المدينة المنورة
عن كتاب «المدينة المنورة» للدكتور عمر الفاروق

العشر». ويذكر أنواعاً من المزروعات التي لا زكاة فيها فيقول: «والسنة التي لا اختلاف فيها عندنا، والذي سمعت من أهل العلم أنه ليس في شيء من الفواكه كلها صدقة: الرمان، والفرسك، والتين..

وكانت لهم عناية مع الزراعة بتربية المواشي ولا سيما الأغنام، ويعيرونها اهتماماً، ويعتبرونها خيراً من قنية القصور والدور، ولذلك يروى عن كثير من الصحابة أنهم كانوا يملكون قطعان الماشية زيادة على ما عندهم من الأموال والقصور، روى الإمام مالك عن حميد بن مالك قال: كنت جالساً مع أبي هريرة بأرضه بالعقيق، فأتاه قوم من أهل المدينة على دواب فنزلوا عنده. قال حميد: فقال أبو هريرة: اذهب إلى أمي فقل إن ابنك يقرئك السلام، ويقول: أطعمينا شيئاً، قال: فوضعت له ثلاثة أقراص في صحفة وشيئاً من زيت وملح ثم وضعتها على رأسي وحملتها إليهم، فلما وضعتها بين أيديهم كبر أبو هريرة وقال: الحمد لله الذي أشبعنا من الخبز بعد أن لم يكن طعامنا إلا الأسودين، الماء والتمر. فلما انصرفوا قال: يابن أخي أحسن إلى غنمك وامسح الرغام عنها، وأطيب مراحها وصلّ في ناحيتها فإنها من دواب الجنة، والذي نفسي بيده ليوشك أن يأتي على الناس زمان تكون الثلةُ من الغنم أحبَّ إلى صاحبها من دار مروان[1].

وتدل الدراسات الحديثة، على أن وادي العقيق يُعتبر أهم أودية المدينة من حيث موارده المائية، وهذا يفسر كثرة المزارع التي أنشأها المسلمون بعد الهجرة. وتشير الدراسات إلى أن مساحة الأراضي التي كانت تزرع على ضفتي العقيق قد تناقصت في الوقت الحاضر عما

---

(١) الموطأ (جامع ما جاء في الطعام والشراب) جـ / ٢/ ٢٢٢. وفي مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: (يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن). ودار مروان: دار مروان بن الحكم أمير المدينة في عهد معاوية.

كانت عليه سابقاً. لأن المدينة واحة زراعية، وقد كانت لهذه الحقيقة دورها الهام في ظهورها واستمرارها وجذبها للهجرات المختلفة، بحيث أصبحت الزراعة أهم مظاهر استثمار الموضع، وتهيأت للزراعة بها مجموعة من الظروف الطبيعية المواتية، تمثلت في موارد مائية كافية وتربة على قدر من الخصوبة مستمدة من الرواسب البركانية التي تجرفها السيول من الحرار المحيطة بها.

وتبين الدراسات بعد معاينة الأراضي المحيطة بجبل أحد وبرْكة الزبير بالغابة أنه يمكن تقدير المساحة القابلة للزراعة بحوالي خمسين ألف فدان. وقد ظهر من معالم البرْكة وما حولها من المساقي والمنشآت والمجاري أنها لو زُرعت حبوباً ـ كما كان الحال قديماً ـ فقد يكفي لتموين سكان المدينة وضواحيها وشحن الفائض وتصديره[1].

---

(١) (المدينة المنورة) للدكتور عمر الفاروق و( مشروعات الري بالمدينة وصحراء الحجاز) تأليف أحمد عزت.

# العقيق في العصر الحديث

في العهد السعودي الحديث، شمل المدينةَ المنورَة العمرانُ كما شمل غيرها من المدن والقرى، وعادت المدينة إلى اتساعها القديم في عهد الازدهار الأول ـ في صدر الإسلام والعصر الأموي. . فامتدت من شرق لابتها الشرقية إلى أقصى غرب لابتها الغربية، ومن أقصى قباء جنوباً، إلى ما خلف جبل أحد شمالاً. وانضمت إليها قرى كانت منفصلة عنها وأصبحت من أحيائها، فقد اتصل العمرانُ حتى لم يعد بين المدينة وقرية قباء فاصلٌ، وكانت في القديم منفصلة[1] وعُمرت الطريق المؤدي إلى ذي الحليفة (آبار علي) فلم تعد قرية نائية، وأحاطت المنشآت بقرية القبلتين فأصبحت في أحضان المدينة.

---

(١) إنما فُصلتْ في القرون السابقة على العصر الحديث، أما في القرون الأولى من الهجرة فقد كانت متصلة بالمدينة. قال السمهودي يصف سعة المدينة في عهد النبي ﷺ: «ومن تأمل ما ذكر في دور المهاجرين ومنازل القبائل منهم مع ما سبق من منازل الأنصار، رأى أمراً عظيماً، فيما كان من عمارة المدينة وسعتها واتصال بعضها ببعض. وآثار ما كان من العمارة شاهدٌ بذلك اليوم «القرن التاسع» واسم المدينة صادق على ذلك كله».
قال: «وسيأتي في ترجمة «قباء» أنها كانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة الشريفة، أي بما بينها من النخيل، ولهذا لم تكن الجمعة تقام بغير المسجد النبوي، ولو كانت قباء وغيرها من القرى المنفصلة اليوم منفصلة في زمنه ﷺ، وبها تلك القبائل من الناس، لوجب إقامة الجمعة في كل قرية بها أربعون. فقد كانت كلها في حكم البلد الواحد. فسبحان من يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين». «وفاء الوفا» ص ٧٦٥.

وأما وادي العقيق، فقد نال حظاً وافراً من رعاية الحكومة، وأهلِ المدينة فبدأت الحكومةُ في بناء المؤسسات التعليمية في عرصاته، وعلى ضفافه، ومن أقدم المؤسسات التعليمية: الجامعة الإسلامية، ثم تلتها كلية التربية من فروع جامعة الملك عبد العزيز، ولما كانت أنحاؤه قد عمرت بالسكان، فقد بنيت فيه الكثير من المدارس الثانوية والإعدادية والابتدائية.. وكان اختياراً موفقاً من الحكومة عندما اختارت وادي العقيق ليكون مقراً لأضخم مستشفى في المدينة المنورة، وهو مستشفى الملك فهد.. وعمرت أنحاء كثيرة منه بالمزارع، وعاد إليه الازدهار وأصبح مهوى أفئدة أهل المدينة يقصدونه للتنزه في أنحائه، وقامت بلدية المدينة بإعداد أماكن جميلة للنزهة، فزرعت الحدائق وأعدت فيها متطلبات الناس للراحة والاستجمام.. فما أطيب صباحه الندي العابق بعطر الزهور، وما أجمل أمسياته المبهجة للنفس في ضوء القمر ونسيمُه العليل، يتسرب ما بين الضلوع. وكان جميلاً لو رأت بلدية المدينة إحياء وادي العقيق على طراز قريب من النظام القديم، وقررت أن تتناثر القصور في أنحائه تذكّر بما كان له من المجد القديم، وعلى غرار ما كانت البداية في عمرانه وسكناه في العصر الحديث حيث كان قصر أمير المدينة من أقدم ما بُني في عرصة سعيد بن العاص وضم بين أسواره آثار قصر سعيد فكانت بداية حسنةً جديرة بالاقتداء بها والعمل على غرارها..

ولا زال في ساحاته المزيد من الاتساع لمن يرغب من أصحاب الثراء لبناء القصور على الطراز العربي.

ولعل الحكومة قصدت إلى هذا عندما بُني القصر الملكي على أحد الجبال المطلة على وادي العقيق، ليكون دعوة إلى المواطنين إلى البناء والسكنى في أجمل وأبهى بقاع المدينة.

ولما عاد إلى العقيق جماله وبهاؤه، فقد أوحى إلى الشعراء في

العصر الحديث القصائد الرقيقة التي تذكر بعهده الزاهر، وتعبر عن الفرحة بعودة العمران إلى ربوعه.

ومن أجمل ما قرأت، قصيدة للشاعر محمد العيد الخطراوي يقول فيها[1]:

لمن الهتافُ اليوم يصعدُ مُوقظاً ... وادي العقيق مُنَمْنم الأطواء
شُطئانه انتفضتْ وراحتْ تنتضي ... أكفانها وتتيه في استعلاء
وتساءل الأهلُ الكرامُ بفرحةٍ ... ماذا جرى ماذا يتم إزائي
هل عاد لي شرخ الشباب وسحرُهُ ... الفياض بالأشذاء والأنداء
أكذا يكون البعثُ إني شمتُه ... فلقَ الصباح يشيع في أرجائي
أنا ذلك الوادي العريقُ توسّدتْ ... كفّاي رَحْلَ المجدِ والعلياء
قومي بُناةُ المجدِ ما وهنوا ولا ... ناموا على ضَيْمٍ ولا استخذاء
من ها هنا شعَّ الهُدى فتمزقتْ ... سُحُبُ الغواية والقوى الرعناء
حسبي فَخَاراً في الوجود على الورى ... ما بارك المختار من أجزائي[2]
إيهٍ عقيقَ الخير يا ذكرىَ على ... جَفن المدينة جمة الآلاء
ما زلتَ حُلْماً في النفوس ومُنْية ... مرسومةً في سُوحها الفيحاء
وعلى ضفافك كم تضوّع أمسُها ... عطراً وباهى المجدُ بالآباء
واليوم فجرك من جديدٍ لألأت ... أنواره في ألف ألف رداء
فاهنأ بفجرك في زمانٍ باسمٍ ... في ظل (فهدٍ) ناعم الأفياء
هذا الذي ملأ الحياة مفاخراً ... ومضى بركب المجد نحوَ ذُكاء

وللشاعر المبدع محمد هاشم رشيد الغزي ديوان «على ضفاف

---

(1) جريدة المدينة ٢/ ٧/ ١٤٠٣ هـ. وقد ألقاها الشاعر بمناسبة تخريج دفعة جديدة من كلية التربية بالمدينة المنورة.

(2) يشير إلى الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن عمر بن الخطاب قال: سمعتُ رسولَ الله بوادي العقيق يقول: «أتاني الليلةَ آتٍ من ربي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك وقلْ: عمرةٌ في حجةٍ».

العقيق» استوحى فيه الشاعر التاريخ العابق بالمجد، وقدم لنا صورة ساحرة كما تراءت له في خياله المجنح.

يقول من قصيدة بعنوان «الفجر الأول»:

فـي لـيـلـةٍ مُـخـضـلّةِ الأشـوا ق نـاضـرةِ الأمـانـي
عـربـيـدة الـصـبـوات غـرقى بـالمفـاتن والأغـاني[1]
كـنـا بـعـروةَ فـوقَ ربـو تـنـا الـجـمـيـلة نـحـلُم
والـنـسـمـةُ الـهـيـفـاءُ تـخـطِر بـالـشـذا وتُـغـمـغِـمُ
كـنـا بـعُـروةَ فـوق ربـو تـنـا عـلى شطّ الـغـديـر
تـهـفـو بـنـا رغـبـاتـنـا الـظـمـأى وراء مـدى الشعـور

ويقول من قصيدة بعنوان «على ضفاف العقيق»:

في شاطئيك عرفتُ سرّ وجودي وقبستُ من ألَقِ السماء نشيدي
ووقفتُ في ثبج الرؤى أرنو إلى رقص السنا في موجك العربيد
وصدى خطاك على الرّمال ملاحنٌ تنسابُ بالأفراح ملء البيد

وفي ديوانه «في ظلال السماء» قصيدةٌ جميلةٌ تعبر عن هيام الشاعر بماضي العقيق، وهي من أجمل ما قرأتُ له في هذا الموضوع، يقول فيها: تحت عنوان «أصداء العقيق»:

أنا في الطريق..
أمشي على خطو القمرْ..
والأفق ينبِض بالصور..
والليل يهمِس بالذِّكرْ..
ويقول لي هذا المقر..

* * *

(١) قوله: عربيدة: أظنه لم يوفق في هذه الكلمة، لأن العربيد: الشرير والعربدة: سوء الخلق والعربيد: مؤذي نديمه في سكره، كأنه يشبه الحيةَ الخبيثة. وإذا أراد بها الشدة الخشنة فإنها لا تتناسب مع المفاتن والأغاني. (انظر اللسان والقاموس).

فهنا العقيق..
هذا ثراه ألا تَرَاه..
والطيبُ يَنْفَحُ من رُباه..
وهنا تضمك ضفتاه..
لتغوص في سرِّ الحياه..
أنا في مدى الوادي الحنون..
أملي بريق..
لم يبق منه سوى ضباب..
ورؤاي مهزلةُ السراب..
وهواي أوهام الشباب..
وأعود أُصغي للعُباب..
فإذا العقيق
يروي على سمع الصخور..
أمجادنا عَبْر العصور..
فيمضي طوفانُ نور..
ورؤى غدٍ عذب طَهور..
حلو البريق
مثل العقيق

ويقول الشاعر عبد الرحمن رفّه في ديوان «جداول وينابيع»..

حيِّ العقيق وساكني تلك الربا ... يا صاحبي من ضفتي بُطْحان
وانشد قصيدي في مدارج حُبّنا ... حيث التصابي والصّبا جَذِلانِ
فرعى الإلّه ملاعباً أحببتها ... حيثُ المصلَّى ملتقى الإخوان
فبها وفيها جيرتي وأحبتي ... وملاذ نفسي وارتشاف دناني

وليس غريباً أن يترنم شعراء المدينة في العصر الحديث، بذكر وادي العقيق، فقد انهدم السُور الذي كان يحجز بين المدينة وضواحيها

وتفتحتْ أعينهم وهم يرون علماء المدينة ومؤرخيها، يفتشون عن آثار المدينة ويحيون ذكر ما اندثر منها، ويقدمون لها وصفاً جميلاً، يبين الأسباب التي جعلت الشعراء القدماء يُفتتنون بها. ويقولون فيها أجمل الأشعار، فانطلق أبناء المدينة في مسارح الذكريات، وعايشوا أهل هاتيك البقاع وعادوا وهم يتغنون بأعذاب الألحان.

وعندما نؤرخ للشعر المدني في العصر الحديث، فإن وادي العقيق يُعتبر عنصراً مهماً من عناصر فهم الدوافع التي أدت إلى الإثراء في العطاء حيث كانت الندواتُ الأدبيةُ الأولى تعقد على ضفاف العقيق واتخذت اسم «ندوة أسرة الوادي المبارك» وتشير الدلائل إلى أن أكثر اجتماعات الندوة كانت في ضواحي العقيق، قبل أن يُصبحَ مقرّها النادي الأدبي.

وأختتم كلامي عن العقيق في العصر الحديث، بأبيات لمؤرخ المدينة والمنقب عن آثارها، ومن كان أول من جلّى وادي العقيق أمام الناظرين في العصر الحديث. وهو المرحوم الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، يقول في وصف وادي العقيق يوم انهماره سنة ١٩٤٠ م[١].

هذا العقيقُ وقد همـا مُتبسمـا طلقَ المُحيّـا شـادياً بسـروره
وتـراه في لآلائـه مُتـدفـقـاً ينسـابُ بين سُهـولـه ووعـوره
تتكسـرُ الأمـواجُ فـوق صُخـوره فـتئنّ من تـأثيـره وعُبـوره
وتهبّ من جنبـاتـه نسمـاتُـه فتفـوحُ عـطراً منعشـاً بعبيـره
وتحفُّـه أشجـارُه مـزدانـةً بنُـوَارهـا المفتـرّ من تـأثيـره
حَـرّاتُـه السـوداء أشرق وجهُهـا وتـهـللتْ بـقـدومـه ومـروره
اللونُ يحكي التبرَ في لمعانـه وصفـاءِ صفحته ونقش سطوره

والشاعر المدني حسن مصطفى صيرفي تفوح من شعـره أشذاء

---

(١) «الشعر الحديث في الحجاز» تأليف المرحوم الأستاذ عبد الرحيم أبو بكر ص ١٦٦.

البيئة المدنية ويجعل(٢) العقيق مسرح شعره وملتقى أخيلته. يقول في قصيدته «ليالي العقيق».

يا ليالي الصيف في عروة في حضن المسيل
والسواني تُنعش السُّمار باللحن العليل
والنسيم العاطر المغمور في النور الضئيل
من كُوى الغيب تدفق.... يترقرق

ويقول من قصيدة بعنوان «يا ليل» في ديوانه «دموع وكبرياء».

آهٍ على وادي العقيق كساه الشمس تِبْرا
والقصر والجماء والزهر يفوحُ عطرا
وأنا وأنت وعالم نفث الغرامُ عليه سحرا

وأترك القارىء مع هذه اللوحة الساحرة التي رسمها الشاعر في إحدى أمسيات العقيق الشاعرة فجاءت معبرة عما يكنه الشاعر لبيئته من الحب والوفاء:

على ربوةٍ عانقتْها الزهورُ ... وحاك الربيعُ لها حاشية
يدِبُ العقيقُ على راحتيه ... ليلثمَ أطرافها اللاهية
وراحَ يلفُّ على خَصْرها ... ذراعيه في رقةٍ حانية
ويجهش وهو القويّ العتيّ ... وأعينه ثَرّة جارية
ويبكي ويُعرب عما يُكنُّ ... وفي صدره رعْشة عاتية
ونام على ثغرها ثغرهُ ... ومصتْ سلافته الحالية
فعربد فيها أريجُ الزهور ... من الورد والفُلّ والفاغية(١)
ومازجه السيسبانُ الغيورُ ... مع النَّفَل الصارخ الطاغية(٢)

---

(١) «شعراء من أرض عبقر» للدكتور محمد العيد الخطراوي.
(٢) الفاغية: نور الحناء.
(٣) النفل: نبات سنوي أو مُعمَّر ثلاثي الأوراق زهره أبيض أو وردي أو أصفر طيب الرائحة =

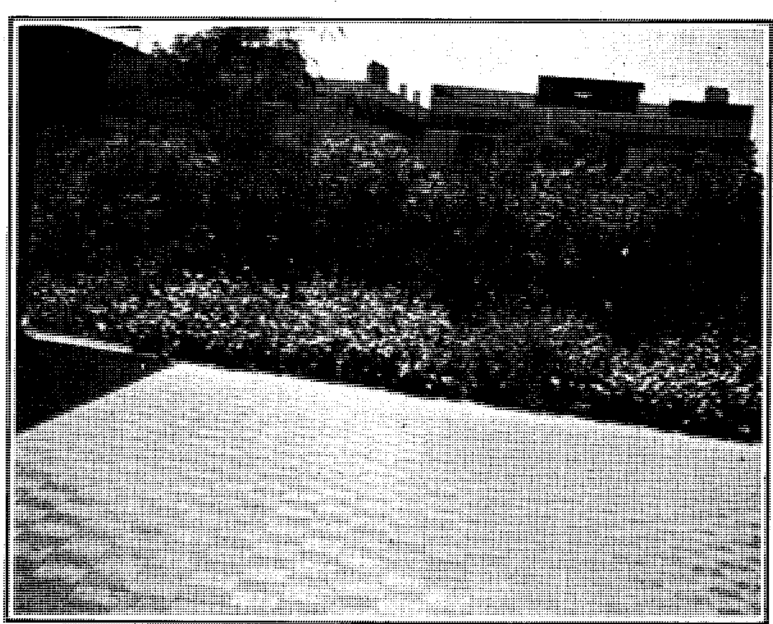
وفاح بعطر يهيج المشاعـر(م) يحســده العُـود والغــاليــة
وهيجها الطيب فاستسلمتْ لقبضـة محبـوبهـا الـداهيـة
فغضت ذُكـاءُ حيـاءً وألقتْ خمـاراً على الفتنة البـادية
وقفتُ بها ساعةً في المساءِ أرود مـتــاهــاتِ أيــاميــه
وأسـرح في نجم وادي العقيق ودُومـا وقربـانَ والعـاليـة[3]
لنا كلّ يـوم هنا أو هنـاك مــواقفُ أذكـارهــا بـاقيــة
سلامٌ على ربــوةٍ بــالعقيق بجـانب جَمّـائـه الجـاثيــة
«وعروة» مهد الهـوى والغرام وكل المراتع في الضاحيـة

= تسمّن عليه المواشي ولا سيما الخيل.

(١) دوما: قال السمهودي: الدومة ـ بالفتح ـ المعروف اليوم بذلك حديقة قرب بني قريظة وإلى جانبها الدويمة مصغرة.

## مشاهد من عمران العقيق في العصر الحديث



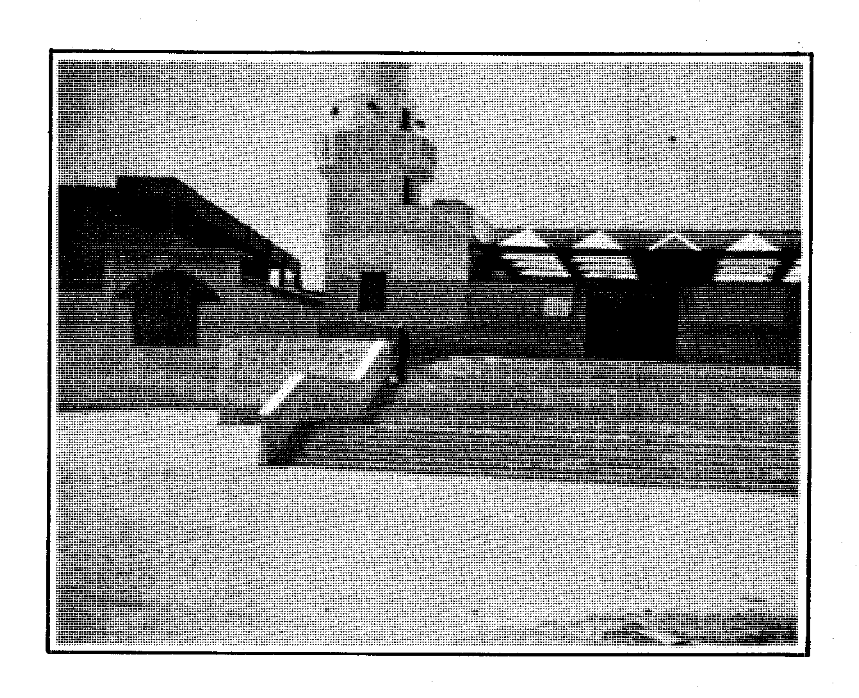


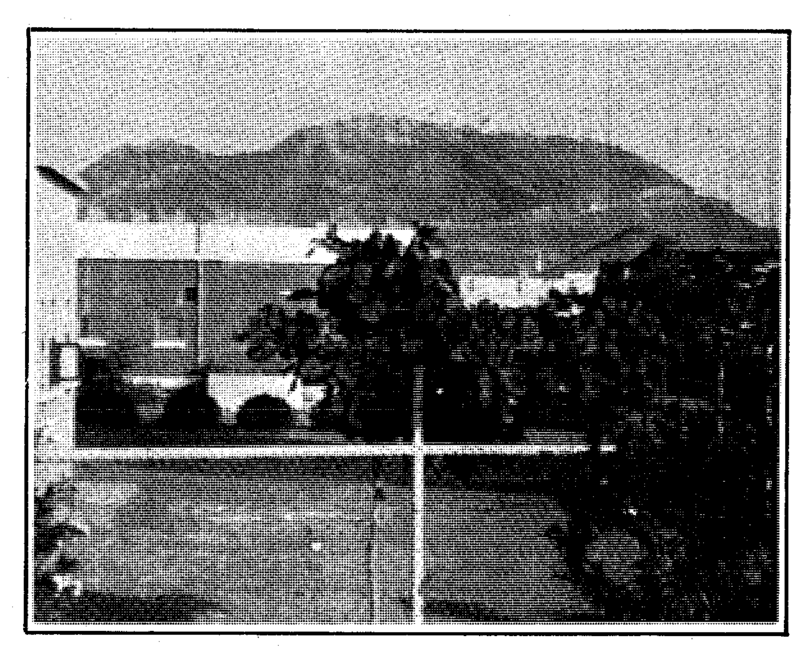
تقع ثانوية أحد سنة ١٤٠٤ هـ في إحدى عرصات العقيق، وهذه المشاهد تمثل الحديقة الغناء التي تحيط بمبنى المدرسة.





تمثل الصورتان مشهدين من مزرعة بئر رومة (بئر عثمان) في عقيق المدينة.





١ ـ الصورة الأولى: مسجد القبلتين، بالقرب من عرصة العقيق.

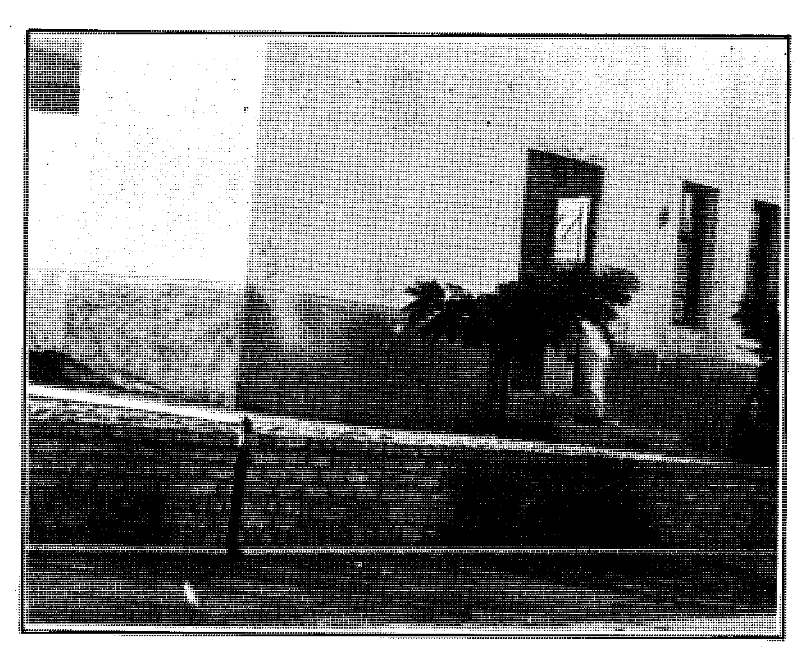
٢ ـ الصورة الثانية: تمثل أحد الجبال المطلة على العقيق وقد علاه العمران.

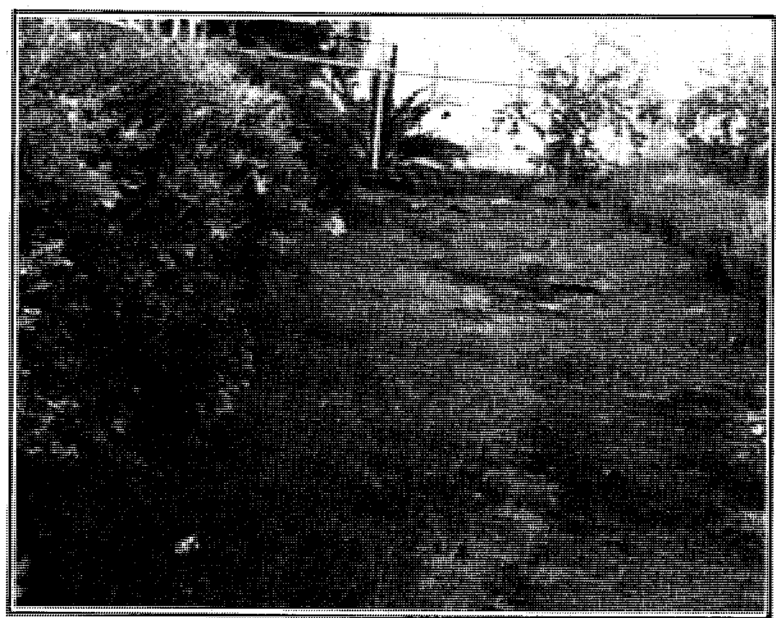




١ ـ في الصورة الأولى المؤلف أمام أشجار الجوافة في مزرعة بئر رومة.

٢ ـ في الصورة الثانية الأستاذ عبدالله المطوع يغترف من ماء بئر على مسافة خطوات من بئر رومة.





١ ـ الصورة الأولى تمثل مسجد بئر رومة في العقيق.
٢ ـ الصورة الثانية جانب من أشجار الحناء في حدائق العقيق.

# أهم المصادر والمراجع


**أولاً: مراجع تاريخ المدينة المنورة:**

- **تاريخ المدينة المنورة**، عمر بن شبة النميري - المتوفى سنة ٢٦٢ هـ.
- **الدرة الثمينة في أخبار المدينة**، محمد بن محمود بن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ هـ.
- **التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة**، محمد بن أحمد المطيري سنة ٧٤١ هـ.
- **المغانم المطابة في معالم طابة**، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي سنة ٨١٧ هـ.
- **تحقيق النصرة**، أبو بكر بن الحسين المراغي سنة ٨١٦ هـ.
- **وفاء الوفا**، علي بن عبدالله السمهودي سنة ٩١١ هـ.
- **عمدة الأخبار**، أحمد العباسي القرن العاشر.
- **آثار المدينة المنورة**، عبد القدوس الأنصاري ١٤٠٣ هـ.
- **المدينة بين الماضي والحاضر**، إبراهيم العياشي.
- **«أبو علي الهجري»**، حمد الجاسر.
- **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، شمس الدين السخاوي (٩٠٢ هـ).

**ثانياً: معاجم الرجال والبلدان والقبائل:**

- **معجم البلدان**، ياقوت الحموي سنة ٦٢٦ هـ.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر أحمد بن علي (. . - ٨٥٢ هـ).

ـ **تهذيب التهذيب**، ابن حجر أحمد بن علي.
ـ **لسان الميزان**، ابن حجر أحمد بن علي.
ـ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي ـ محمد بن أحمد (٧٤٨ هـ).
ـ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي.
ـ **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، ابن عبد البر يوسف بن عبدالله ـ ٤٦٣ هـ.
ـ **معجم قبائل العرب**، عمر رضا كحالة.
ـ **الأعلام**، خير الدين الزركلي ـ (١٩٧٦ م).
ـ **معجم ما استعجم**، عبدالله بن عبد العزيز البكري ـ ٤٨٧ هـ.
ـ **معجم معالم الحجاز**، عاتق البلادي.

## ثالثاً: في تراجم الرجال والشعراء:

ـ **الطبقات الكبرى**، ابن سعد. محمد بن سعد (١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ).
ـ **طبقات الفقهاء**، الشيرازي.
ـ **فوات الوفيات**، الكتبي ـ محمد بن شاكر (٧٦٤ هـ).
ـ **الشعر والشعراء**، ابن قتيبة ـ عبدالله بن مسلم (٢٧٦ هـ).
ـ **المعارف**، ابن قتيبة.
ـ **معجم الشعراء**، المرزباني ـ محمد بن عمران (٣٨٤ هـ).
ـ **وفيات الأعيان**، ابن خلكان ـ أحمد بن محمد (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ).
ـ **تهذيب تاريخ دمشق**، (ابن عساكر علي بن الحسن ـ ٥٧١ هـ) هذبه عبد القادر بدران (١٣٤٦ هـ).
ـ **نسب قريش**، المصعب الزبيري (المصعب بن عبدالله ١٥٦ ـ ٢٣٦ هـ).
ـ **جمهرة أنساب العرب**، ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد) (٤٥٦ هـ).
ـ **أنساب الأشراف**، البلاذري ـ أحمد بن يحيى (٤٥٦ هـ).
ـ **أخبار القضاة**، وكيع ـ محمد بن خلف (٣٠٦ هـ).

## رابعاً: كتب عامة في التاريخ والأدب:

ـ **السيرة النبوية**، ابن هشام ـ عبد الملك بن هشام (٢١٣ هـ).

- **البداية والنهاية**، ابن كثير - إسماعيل بن عمر (٧٠١ - ٧٧٤ هـ).
- **المقدمة**، ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ).
- **زهر الآداب**، الحصري - إبراهيم بن علي (٤٥٣ هـ).
- **نفح الطيب**، المقري التلمساني - أحمد بن محمد (١٠٤١ هـ).
- **الأغاني**، الأصبهاني - علي بن الحسين (٣٥٦ هـ).
- **شعر الأحوص الأنصاري**.
- **الأوائل**، أبو هلال العسكري - الحسين بن عبدالله (٣٩٥ هـ).
- **مجالس ثعلب**، ثعلب - أحمد بن يحيى (٢٠٠ - ٢٩١ هـ).

**خامساً: في الحديث والفقه:**

- **شرح صحيح البخاري**، القسطلاني - أحمد بن محمد (٩٢٣ هـ).
- **فتح الباري**، ابن حجر أحمد بن علي (٨٥٢ هـ).
- **الموطأ (تنوير الحوالك)**، الإمام مالك بن أنس (٩٥ - ١٧٩ هـ).
- **الجامع الصغير**، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (٨٤٩ - ٩١١ هـ).
- **نيل الأوطار**، الشوكاني - محمد بن علي (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ).
- **مسند أبي يعلى الموصلي**، تحقيق الأستاذ حسين أسد.

**سادساً: كتب حديثة في التاريخ والأدب:**

- **المدينة في العصر الجاهلي**، الدكتور محمد العيد الخطراوي.
- **تاريخ الأدب العربي**، الدكتور شوقي ضيف.
- **حديث الأربعاء**، الدكتور طه حسين.
- **المدينة في العصر الأموي**، محمد محمد شراب.

**سابعاً: دواوين عدد من الشعراء، ممن لهم شعر في هذا الكتاب.**

**ثامناً: المعاجم اللغوية:**

- لسان العرب لابن منظور.
- القاموس المحيط (مجد الدين الفيروزأبادي).

# محتويات كتاب «الوادي المبارك» العقيق

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

## الفصل الثاني

## العقيق الأقصى

## من نهاية النقيع إلى الشجرة

## الفصل الثالث
## العقيق الأدنى

## الفصل الرابع
## تاريخ وادي العقيق

## الفصل الخامس
## العمران في وادي العقيق

## الفصل السادس
## العقيق بين الضلوع

## الفصل السابع
## مجتمع العقيق
### دراسة اجتماعية واقتصادية